



مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبحان

للغافل



عليه
صباح
الرمضان

www.

www.

www.

www.

Ghaemiyeh

.com

.org

.net

.ir

مختصر في تفسير القرآن الكريم
التفسير الميسر

مُرْهُ عَلَى الْقُرْآنِ

الجزء الثالث

سورة المائدة - سورة البقرة - سورة آل عمران

دار الفكر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

من هدى القرآن

كاتب:

آيت الله سيد محمد تقى مدرسى

نشرت فى الطباعة:

دار محبى الحسين (عليه السلام)

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

٥	الفهرس
٣٢	من هدى القرآن المجلد ٣
٣٢	اشاره
٣٣	اشاره
٣٧	سوره الانعام
٣٧	اشاره
٣٧	فضل السوره:
٣٩	الإطار العام
٣٩	ثلاث حقائق (الله-الإنسان-الكون):
٤٠	معرفة الله:
٤١	لماذا اسم الأنعام
٤٣	[سوره الأنعام (٦): الآيات ١ الى ٣]
٤٣	اشاره
٤٣	اللغه
٤٤	هكذا تجلّى الرب
٤٤	بينات من الآيات:
٤٤	اشاره
٤٥	الشك لماذا و كيف؟
٤٨	[سوره الأنعام (٦): الآيات ٤ الى ١١]
٤٨	اشاره
٤٩	و هكذا يحتجب الخلق عن الرب
٤٩	هدى من الآيات:
٥٠	بينات من الآيات:
٥٠	الاستعداد النفسى:

- ٥١ عاقبه الاستهزاء بالحق:
- ٥٢ سنه العذاب:
- ٥٧ [سوره الأنعام (٦): الآيات ١٢ الى ١٦] -
- ٥٧ اشاره -
- ٥٨ آيات الله بشائر رحمه و نذير عذاب -
- ٥٨ هدى من الآيات:
- ٥٩ بينات من الآيات:
- ٥٩ عالم الخلق دليل رحمه الله:
- ٦٠ السكون و الحركة فى الكون:
- ٦١ دوافع الايمان:
- ٦٣ [سوره الأنعام (٦): الآيات ١٧ الى ١٩] -
- ٦٣ اشاره -
- ٦٤ بالله يفلح الإنسان -
- ٦٤ هدى من الآيات:
- ٦٤ بينات من الآيات:
- ٦٤ و هو القاهر فوق عباده:
- ٦٦ قُلْ أَى شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً :
- ٦٨ [سوره الأنعام (٦): الآيات ٢٠ الى ٢٤] -
- ٦٨ اشاره -
- ٦٩ القرآن عصمه البشر -
- ٦٩ هدى من الآيات:
- ٧٠ بينات من الآيات:
- ٧٠ علاقه القرآن بالشخصيه الانسانيه:
- ٧٠ وَ لَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ :
- ٧٣ [سوره الأنعام (٦): الآيات ٢٥ الى ٢٨] -
- ٧٣ اشاره -

اللغه ٧٣

حينما تكون القلوب فى أكتفه ٧٤

هدى من الآيات: ٧٤

بينات من الآيات: ٧٥

العوامل النفسيه للكفر: ٧٥

على شفير الهاويه: ٧٦

[سوره الأنعام (٦): الآيات ٢٩ الى ٣١] ٧٨

اشاره ٧٨

اللغه ٧٨

حينما يقصر النظر ٧٩

هدى من الآيات: ٧٩

بينات من الآيات: ٧٩

اشاره ٧٩

كيف تستوعب الغيب؟ ٨٠

شئ من الواقع: ٨١

[سوره الأنعام (٦): الآيات ٣٢ الى ٣٥] ٨٢

اشاره ٨٢

اللغه ٨٢

كيف تحدى الرسل ٨٣

اشاره ٨٣

هدى من الآيات: ٨٣

بينات من الآيات: ٨٣

واقع الحياه و حقيقه الآخره: ٨٣

لماذا الحزن؟ ٨٤

[سوره الأنعام (٦): الآيات ٣٦ الى ٣٩] ٨٧

اشاره ٨٧

٨٨ هكنا استجاب من سمع،

٨٨ اشاره

٨٨ هدى من الآيات:

٨٩ بينات من الآيات:

٨٩ عند ما يعطب جهاز الاستقبال:

٩٠ وَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمُّ وَ بُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ :

٩٢ [سوره الأنعام (٦): الآيات ٤٠ الى ٤٥]

٩٢ اشاره

٩٢ اللغه

٩٣ هكنا ترفع المآسى حجب الضلال

٩٣ هدى من الآيات:

٩٤ بينات من الآيات:

٩٤ و تنسون ما تشركون:

٩٥ حكمه الشدائد:

٩٨ أشراف العذاب:

١٠٠ [سوره الأنعام (٦): الآيات ٤٦ الى ٥٠]

١٠٠ اشاره

١٠٠ اللغه

١٠١ هل يستوى الأعمى و البصير

١٠١ هدى من الآيات:

١٠٢ بينات من الآيات:

١٠٢ أسباب الهدايه:

١٠٤ مهمات الرسل و واجب الناس:

١٠٥ حكمه الرسالات:

١٠٧ [سوره الأنعام (٦): الآيات ٥١ الى ٥٥]

١٠٧ اشاره

- ١٠٨ حقيقه الايمان و ميزات المؤمنين
- ١٠٨ هدى من الآيات:
- ١٠٩ بينات من الآيات:
- ١٠٩ أصحاب الرساله:
- ١١٠ حقيقه الانتماء:
- ١١٢ [سوره الأنعام (٦): الآيات ٥٦ الى ٥٨]
- ١١٢ اشاره
- ١١٣ دور الرسل فى مسيره التوحيد
- ١١٣ هدى من الآيات:
- ١١٤ بينات من الآيات:
- ١١٤ من هو الرسول:
- ١١٤ اطار التحرك الرسالى:
- ١١٦ [سوره الأنعام (٦): الآيات ٥٩ الى ٦٢]
- ١١٦ اشاره
- ١١٦ اللغه
- ١١٧ مفتاح الغيب بين العلم و القدره
- ١١٧ هدى من الآيات:
- ١١٨ بينات من الآيات:
- ١١٨ مظاهر علم الله:
- ١١٩ آيات قدره الله:
- ١١٩ ما هو النوم؟ و كيف يحدث؟
- ١٢٣ [سوره الأنعام (٦): الآيات ٦٣ الى ٦٥]
- ١٢٣ اشاره
- ١٢٣ اللغه
- ١٢٤ عند لحظات الخطر حجه الله
- ١٢٤ هدى من الآيات:

- ١٢٥ بينات من الآيات:
- ١٢٥ مع الله:
- ١٢٦ احتمال عوده الخطر:
- ١٢٨ [سوره الأنعام (٦): الآيات ٦٦ الى ٦٩]
- ١٢٨ اشاره
- ١٢٩ مواقف الناس من آيات الله
- ١٢٩ هدى من الآيات:
- ١٣٠ بينات من الآيات:
- ١٣٠ التكذيب و المسؤوليه:
- ١٣٠ تميمع الأحكام:
- ١٣١ الموقف السليم:
- ١٣٣ [سوره الأنعام (٦): الآيات ٧٠ الى ٧٣]
- ١٣٣ اشاره
- ١٣٣ اللغه
- ١٣٥ أسباب حيره المبلسين
- ١٣٥ هدى من الآيات:
- ١٣٦ بينات من الآيات:
- ١٣٦ موقفنا منهم:
- ١٣٨ الصلاة معراج المؤمن:
- ١٣٩ اراده الله بين الكاف و النون:
- ١٤٠ [سوره الأنعام (٦): الآيات ٧٤ الى ٧٩]
- ١٤٠ اشاره
- ١٤٠ اللغه
- ١٤١ الشك المنهجي طريق الى اليقين
- ١٤١ هدى من الآيات:
- ١٤٢ بينات من الآيات:

- ١٤٢ نعم للاحترام لا للعبودية:
- ١٤٣ كيف نحصل على اليقين؟
- ١٤٤ الفطره هي الدليل:
- ١٤٥ بك عرفتك:
- ١٤٦ التسليم المطلق..المرحلة الاخيره:
- ١٤٨ [سوره الأنعام (٦): الآيات ٨٠ الى ٨٣]
- ١٤٨ اشاره
- ١٤٩ هكذا يتحدى الايمان الخالص -
- ١٤٩ هدى من الآيات:
- ١٥٠ بينات من الآيات:
- ١٥٠ مسئوليه الهدايه:
- ١٥٢ مضار الشرك:
- ١٥٤ [سوره الأنعام (٦): الآيات ٨٤ الى ٨٨]
- ١٥٤ اشاره
- ١٥٥ خط إبراهيم عليه السلام
- ١٥٥ اشاره
- ١٥٥ هدى من الآيات:
- ١٥٥ بينات من الآيات:
- ١٥٥ انتصار إبراهيم:
- ١٥٦ خط إبراهيم عليه السلام :
- ١٥٨ قانون الهدايه:
- ١٥٩ [سوره الأنعام (٦): الآيات ٨٩ الى ٩٢]
- ١٥٩ اشاره
- ١٥٩ اللغه -
- ١٦٠ أولئك هم قدوه المؤمنين
- ١٦٠ هدى من الآيات:

بينات من الآيات: ١٦١

فِيهِدَاهُمْ أَقْتِدَهُ : ١٦١

الايان بالرسالات جوهرا الايمان: ١٦٢

خصائص رسالتنا و أهدافها: ١٦٣

[سوره الأنعام (٦): الآيات ٩٣ الى ٩٤] ١٦٥

اشاره ١٦٥

اللغه ١٦٥

الافتراء على الله أشد الظلم ١٦٦

هدى من الآيات: ١٦٦

بينات من الآيات: ١٦٧

الجريمه المنظمه: ١٦٧

عند ما تنتزع الروح: ١٦٨

من لضعف الى الضعف: ١٦٨

[سوره الأنعام (٦): الآيات ٩٥ الى ٩٩] ١٧٠

اشاره ١٧٠

اللغه ١٧٠

الطريق الى معرفه الله ١٧٢

هدى من الآيات: ١٧٢

بينات من الآيات: ١٧٣

النشأه الاولى: ١٧٣

بين العلم و الهدى: ١٧٥

دوره المياه: ١٧٥

[سوره الأنعام (٦): الآيات ١٠٠ الى ١٠٣] ١٧٨

اشاره ١٧٨

اللغه ١٧٨

أسماء الله الحسنى ١٧٩

- ١٧٩ ----- هدى من الآيات: -----
- ١٨٠ ----- بينات من الآيات: -----
- ١٨٠ ----- حين يجهل المخلوق قدر خالقه؟! -----
- ١٨١ ----- الخلق و ليست الولاده: -----
- ١٨٣ ----- القريب البعيد: -----
- ١٨٤ ----- [سوره الأنعام (٦): الآيات ١٠٤ الى ١٠٨] -----
- ١٨٤ ----- اشاره -----
- ١٨٤ ----- اللغه -----
- ١٨٥ ----- مسئوليه البشر فى الهدايه -----
- ١٨٥ ----- هدى من الآيات: -----
- ١٨٦ ----- بينات من الآيات: -----
- ١٨٦ ----- بصائر الرساله و مسئوليه الاهتداء: -----
- ١٨٨ ----- لا تسبوا المشركين: -----
- ١٨٩ ----- [سوره الأنعام (٦): الآيات ١٠٩ الى ١١١] -----
- ١٨٩ ----- اشاره -----
- ١٨٩ ----- اللغه -----
- ١٩٠ ----- لما ذا المطالبه بالآيات الجديده؟ -----
- ١٩٠ ----- هدى من الآيات: -----
- ١٩١ ----- بينات من الآيات: -----
- ١٩١ ----- الايمان الكاذبه: -----
- ١٩٢ ----- محكمه الفطره: -----
- ١٩٤ ----- [سوره الأنعام (٦): الآيات ١١٢ الى ١١٣] -----
- ١٩٤ ----- اشاره -----
- ١٩٥ ----- الإصغاء الى زخرف القول -----
- ١٩٥ ----- هدى من الآيات: -----
- ١٩٦ ----- بينات من الآيات: -----

- ١٩٦ المعارضه المنظمه:
- ١٩٧ الايمان بالآخره و مسؤليه الضلال:
- ١٩٩ [سوره الأنعام (٦): الآيات ١١٤ الى ١١٧]
- ١٩٩ اشاره
- ١٩٩ اللغه
- ٢٠٠ اتباع الاكثرية الضاله
- ٢٠٠ هدى من الآيات:
- ٢٠١ بينات من الآيات:
- ٢٠١ أنزل عليكم الكتاب مفصلا:
- ٢٠٢ الصدق و العدل و سيله و هدف الرسالات:
- ٢٠٣ عند ما لا تتبع رسالتك!
- ٢٠٥ [سوره الأنعام (٦): الآيات ١١٨ الى ١٢١]
- ٢٠٥ اشاره
- ٢٠٦ اتباع الهوى و اكتساب المآثم
- ٢٠٦ هدى من الآيات:
- ٢٠٧ بينات من الآيات:
- ٢٠٧ قاعده الاضطرار:
- ٢٠٨ الإثم بين الظاهر و الباطن:
- ٢١١ [سوره الأنعام (٦): الآيات ١٢٢ الى ١٢٧]
- ٢١١ اشاره
- ٢١١ اللغه
- ٢١٣ دور أكابر المجرمين
- ٢١٣ اشاره
- ٢١٣ هدى من الآيات:
- ٢١٤ بينات من الآيات:
- ٢١٤ أو من كان ميتا فأحييناه!

- ٢١٥ التنظيم الهرمي في جهاز الطغاه:
- ٢١٧ الشروط المساعدة للايمان:
- ٢١٨ منافع الايمان:
- ٢١٨ دار السلام:
- ٢٢٠ [سوره الأنعام (٦): الآيات ١٢٨ الى ١٣٢]
- ٢٢٠ اشاره
- ٢٢١ عاقبه تولى الظالمين
- ٢٢١ هدى من الآيات:
- ٢٢٢ بينات من الآيات:
- ٢٢٢ لماذا عبدوا الجن؟
- ٢٢٣ كيف يهدم الظلم بناء المجتمع؟
- ٢٢٤ حب الدنيا رأس كل خطيئه:
- ٢٢٥ لا نهلك القرى بظلم:
- ٢٢٦ [سوره الأنعام (٦): الآيات ١٣٣ الى ١٣٥]
- ٢٢٦ اشاره
- ٢٢٧ لمن عاقبه الدار؟
- ٢٢٧ هدى من الآيات:
- ٢٢٨ بينات من الآيات:
- ٢٢٨ الغنى ذو الرحمه:
- ٢٢٩ التسليم أو العاقبه:
- ٢٣١ [سوره الأنعام (٦): الآيات ١٣٦ الى ١٤٠]
- ٢٣١ اشاره
- ٢٣١ اللغه
- ٢٣٣ المظاهره التشريعيه للشرك
- ٢٣٣ هدى من الآيات:
- ٢٣٤ بينات من الآيات:

- ٢٣٤ متى يكون الإنفاق لله شركاً؟
- ٢٣٥ موقف الشريعة من تحديد النسل:
- ٢٣٦ الخرافات إفراز للشرك:
- ٢٣٩ اعدام الطفوله البريئه:
- ٢٤٠ [سوره الأنعام (٦): الآيات ١٤١ الى ١٤٤]
- ٢٤٠ اشاره
- ٢٤٠ اللغه
- ٢٤٢ كيف يحرم الشرك طبيبات الحياه؟
- ٢٤٢ هدى من الآيات:
- ٢٤٣ بينات من الآيات:
- ٢٤٣ الطبيبات..ما لك و ما عليك:
- ٢٤٥ الأنعام و فوائدها:
- ٢٤٨ [سوره الأنعام (٦): الآيات ١٤٥ الى ١٤٧]
- ٢٤٨ اشاره
- ٢٤٨ اللغه
- ٢٤٩ الأفق الايجابى
- ٢٤٩ اشاره
- ٢٤٩ هدى من الآيات:
- ٢٥٠ بينات من الآيات:
- ٢٥٠ دود الحرام:
- ٢٥١ ملحقات المحرمات:
- ٢٥٢ ذو الرحمه و البأس:
- ٢٥٤ [سوره الأنعام (٦): الآيات ١٤٨ الى ١٥٠]
- ٢٥٤ اشاره
- ٢٥٥ الشرك بين التصور و التوهم
- ٢٥٥ هدى من الآيات:

- ٢٥٦ بينات من الآيات:
- ٢٥٦ جذور الانحراف:
- ٢٥٨ لا للحمية:
- ٢٥٨ الاستشهاد:
- ٢٦٠ [سوره الأنعام (٦): آيه ١٥١] -
- ٢٦٠ اشاره -
- ٢٦٠ اللغة -
- ٢٦١ هكذا يفسد الشرك النظام الاجتماعي -
- ٢٦١ هدى من الآيات:
- ٢٦٢ بينات من الآيات:
- ٢٦٢ حرمان الله:
- ٢٦٣ الشرك اولا ثم الروابط العائليه:
- ٢٦٤ ما هي الفواشش؟ -
- ٢٦٦ [سوره الأنعام (٦): الآيات ١٥٢ الى ١٥٣] -
- ٢٦٦ اشاره -
- ٢٦٦ اللغة -
- ٢٦٧ و هكذا ينظم التوحيد -
- ٢٦٧ اشاره -
- ٢٦٧ هدى من الآيات:
- ٢٦٨ بينات من الآيات:
- ٢٦٨ كيف نتصرف في مال اليتيم؟ -
- ٢٦٩ المسؤوليه الاجتماعيه:
- ٢٧١ الخطوط السياسيه في المجتمع:
- ٢٧٢ [سوره الأنعام (٦): الآيات ١٥٤ الى ١٥٧] -
- ٢٧٢ اشاره -
- ٢٧٣ اتباع الكتاب شرط التوحيد -

- ٢٧٣ ----- هدى من الآيات:
- ٢٧٤ ----- بينات من الآيات:
- ٢٧٤ ----- أهداف رساله موسى:
- ٢٧٤ ----- أهداف رساله الرسول:
- ٢٧٤ ----- إتمام الحجه:
- ٢٧٩ ----- [سوره الأنعام (٦): الآيات ١٥٨ الى ١٦٠]
- ٢٧٩ ----- اشاره
- ٢٨٠ ----- عقبات فى طريق التوحيد
- ٢٨٠ ----- هدى من الآيات:
- ٢٨١ ----- بينات من الآيات:
- ٢٨١ ----- عقبات الايمان بالرساله:
- ٢٨١ ----- السبب الأول:
- ٢٨٢ ----- السبب الثانى:
- ٢٨٣ ----- السبب الثالث:
- ٢٨٤ ----- [سوره الأنعام (٦): الآيات ١٦١ الى ١٦٥]
- ٢٨٤ ----- اشاره
- ٢٨٤ ----- اللغه
- ٢٨٤ ----- الركائز الأساسيه لملمه التوحيد
- ٢٨٤ ----- هدى من الآيات:
- ٢٨٧ ----- بينات من الآيات:
- ٢٨٧ ----- مله إبراهيم:
- ٢٨٩ ----- معنى التوحيد:
- ٢٩٣ ----- سوره الأعراف
- ٢٩٣ ----- اشاره
- ٢٩٥ ----- فضل السوره:
- ٢٩٧ ----- الإطار العام

٣٠٣ [سوره الأعراف (٧): الآيات ١ الى ٩]

٣٠٣ اشاره

٣٠٤ الرسالة الميزان الحق

٣٠٤ هدى من الآيات:

٣٠٥ بينات من الآيات:

٣٠٥ اشاره

٣٠٥ ربانيه الكتاب:

٣٠٦ زنانه الحياه:

٣٠٩ [سوره الأعراف (٧): الآيات ١٠ الى ١٨]

٣٠٩ اشاره

٣٠٩ اللغه

٣١١ جذور الانحراف فى حياه البشر

٣١١ هدى من الآيات:

٣١٢ بينات من الآيات:

٣١٢ بين النعمه و الجريمه:

٣١٣ لماذا عصى إبليس؟

٣١٤ من حقائق الجزاء:

٣١٧ [سوره الأعراف (٧): الآيات ١٩ الى ٢٥]

٣١٧ اشاره

٣١٧ اللغه

٣١٩ الغرور الشيطانى سبب الهبوط

٣١٩ هدى من الآيات:

٣٢٠ طبيعه العجز البشرى:

٣٢١ جذر الخطأ:

٣٢٤ [سوره الأعراف (٧): الآيات ٢٦ الى ٣٠]

٣٢٤ اشاره

- اللغه - ٣٢٤ -----
- كيف يوارى لباس التقوى - ٣٢٤ -----
- اشاره - ٣٢٤ -----
- هدى من الآيات: - ٣٢٤ -----
- بينات من الآيات: - ٣٢٧ -----
- لباس التقوى: - ٣٢٧ -----
- بين ولايه الله و سلطان الشيطان: - ٣٢٨ -----
- [سوره الأعراف (٧): الآيات ٣١ الى ٣٣] - ٣٣١ -----
- اشاره - ٣٣١ -----
- اللغه - ٣٣١ -----
- تشريعات الرساله تكامل و واقعيه - ٣٣٢ -----
- هدى من الآيات: - ٣٣٢ -----
- بينات من الآيات: - ٣٣٣ -----
- كيف نعرف طبيعه الديانات؟.. - ٣٣٣ -----
- هل حزم الله الزينه؟ - ٣٣٤ -----
- تحريم الفواحش جوهر الدين: - ٣٣٥ -----
- [سوره الأعراف (٧): الآيات ٣٤ الى ٣٩] - ٣٣٨ -----
- اشاره - ٣٣٨ -----
- عاقبه الذين يفترون - ٣٤٠ -----
- اشاره - ٣٤٠ -----
- هدى من الآيات: - ٣٤٠ -----
- بينات من الآيات: - ٣٤١ -----
- بين الأجل و العمل: - ٣٤١ -----
- حوار التابع و المتبوع: - ٣٤٢ -----
- [سوره الأعراف (٧): الآيات ٤٠ الى ٤٣] - ٣٤٤ -----
- اشاره - ٣٤٤ -----

- اللغه - ٣٤٦
- عاقبه المكذبين و المستكبرين - ٣٤٨
- هدى من الآيات: - ٣٤٨
- بينات من الآيات: - ٣٤٩
- كيف يخسر المستكبرون - ٣٤٩
- عاقبه المؤمنين - ٣٥١
- [سوره الأعراف (٧): الآيات ٤٤ الى ٤٧] - ٣٥٣
- اشاره - ٣٥٣
- اللغه - ٣٥٣
- جزاء الظالمين - ٣٥٤
- اشاره - ٣٥٤
- هدى من الآيات: - ٣٥٤
- بينات من الآيات: - ٣٥٥
- كيف نتذكر الحقيقه - ٣٥٥
- ظلم النفس و المجتمع: - ٣٥٦
- [سوره الأعراف (٧): الآيات ٤٨ الى ٥٣] - ٣٥٨
- اشاره - ٣٥٨
- هكذا ينسى الله - ٣٦٠
- اشاره - ٣٦٠
- هدى من الآيات: - ٣٦٠
- بينات من الآيات: - ٣٦١
- التصور أجنحه الحقيقه: - ٣٦١
- الدين منهج حياه: - ٣٦٣
- قيمه العقل: - ٣٦٤
- [سوره الأعراف (٧): الآيات ٥٤ الى ٥٦] - ٣٦٦
- اشاره - ٣٦٦

اللغة ٣٦٦

بالدعاء ٣٦٧

اشاره ٣٦٧

هدى من الآيات: ٣٦٧

بينات من الآيات: ٣٦٨

من هو الرب و ما هو دور الزمن؟ ٣٦٨

الدعاء مصنع الإنسان: ٣٦٩

إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ : ٣٧٠

[سوره الأعراف (٧): الآيات ٥٧ الى ٦٤] ٣٧٢

اشاره ٣٧٢

اللغة ٣٧٢

الإنسان بين سنن الطبيعه ٣٧٤

اشاره ٣٧٤

هدى من الآيات: ٣٧٤

بينات من الآيات: ٣٧٥

الاداره الحكيمه و القدره المهمينه: ٣٧٥

بين البصيره و الاستنباط: ٣٧٧

لماذا نوح بالذات؟ ٣٧٧

[سوره الأعراف (٧): الآيات ٦٥ الى ٧٢] ٣٨٠

اشاره ٣٨٠

اللغة ٣٨٠

الإنسان بين رسالات الرب ٣٨٢

اشاره ٣٨٢

هدى من الآيات: ٣٨٢

بينات من الآيات: ٣٨٣

افتراءات الملأ: ٣٨٣

- ٣٨٤ نزاهه الرسول دليل صدقه:
- ٣٨٥ مواقف المجتمع المتخلف:
- ٣٨٨ [سوره الأعراف (٧): الآيات ٧٣ الى ٧٩]
- ٣٨٨ اشاره
- ٣٨٨ اللغة
- ٣٩٠ رساله الرب
- ٣٩٠ اشاره
- ٣٩٠ هدى من الآيات:
- ٣٩١ بينات من الآيات:
- ٣٩١ رسالات الله منطلق التحضر:
- ٣٩٢ صفات المستكبرين(الملا):
- ٣٩٤ النهايه الحتم:
- ٣٩٤ [سوره الأعراف (٧): الآيات ٨٠ الى ٨٤]
- ٣٩٤ اشاره
- ٣٩٤ اللغة
- ٣٩٧ قوم لوط عاقبه الجريمة الخلقيه
- ٣٩٧ هدى من الآيات:
- ٣٩٨ بينات من الآيات:
- ٣٩٨ قوم لوط من الألف الى الياء:
- ٤٠١ [سوره الأعراف (٧): الآيات ٨٥ الى ٨٧]
- ٤٠١ اشاره
- ٤٠١ اللغة
- ٤٠٢ رسالات الرب
- ٤٠٢ اشاره
- ٤٠٢ هدى من الآيات:
- ٤٠٣ بينات من الآيات:

- ٤٠٣ التمثيليه التاريخيه:
- ٤٠٣ ماذا تعنى عباده الله؟
- ٤٠٦ الهدم أصعب:
- ٤٠٨ مراحل الانحطاط:
- ٤٠٩ الثقافه التبريريه نسيج التخلف:
- ٤١٠ [سوره الأعراف (٧): الآيات ٨٨ الى ٩٣]
- ٤١٠ اشاره
- ٤١٠ اللغه
- ٤١٢ المكذبون برسالات الرب
- ٤١٢ اشاره
- ٤١٢ هدى من الآيات:
- ٤١٣ بينات من الآيات:
- ٤١٣ المستكبرون العائق الأكبر:
- ٤١٣ الصمود شاهد صدق:
- ٤١٥ الخساره العظمى:
- ٤١٦ معيار الخساره:
- ٤١٧ [سوره الأعراف (٧): الآيات ٩٤ الى ١٠٢]
- ٤١٧ اشاره
- ٤١٧ اللغه
- ٤١٩ أسباب الحضاره
- ٤١٩ اشاره
- ٤١٩ هدى من الآيات:
- ٤٢٠ بينات من الآيات:
- ٤٢٠ المصاعب امتحان و تربيته:
- ٤٢١ لا حتميات بل حقائق:
- ٤٢٤ آثار الذنوب:

٤٢٧ [سوره الأعراف (٧): الآيات ١٠٣ الى ١٠٨]

٤٢٧ اشاره

٤٢٧ اللغه

٤٢٨ الظلم بآيات الله

٤٢٨ اشاره

٤٢٨ هدى من الآيات:

٤٢٩ بينات من الآيات:

٤٢٩ ظلم الحقائق:

٤٣٠ بين التأكيد والتضيق:

٤٣٣ [سوره الأعراف (٧): الآيات ١٠٩ الى ١١٦]

٤٣٣ اشاره

٤٣٣ اللغه

٤٣٤ تضليل الملائك ضد رسالات الله

٤٣٤ هدى من الآيات:

٤٣٥ بينات من الآيات:

٤٣٥ التهم الرخيصة:

٤٣٧ التحدى الرسالى:

٤٣٩ [سوره الأعراف (٧): الآيات ١١٧ الى ١٢٦]

٤٣٩ اشاره

٤٤٠ الرسالة تتحدى التضليل والإرهاب

٤٤٠ هدى من الآيات:

٤٤١ بينات من الآيات:

٤٤١ التوكل على الله عز العظمة:

٤٤٢ فلسفه الاستبداد:

٤٤٥ [سوره الأعراف (٧): الآيات ١٢٧ الى ١٢٩]

٤٤٥ اشاره

٤٤٦ حكمه حياه البشر تجربه إرادته

٤٤٦ هدى من الآيات:

٤٤٧ بينات من الآيات:

٤٤٧ بعد العسر يأذن الله بالنصر:

٤٥٠ [سوره الأعراف (٧): الآيات ١٣٠ الى ١٣٧]

٤٥٠ اشاره

٤٥٠ اللغه

٤٥٢ و هكذا نصر الله عباده بالغيب

٤٥٢ هدى من الآيات:

٤٥٣ بينات من الآيات:

٤٥٣ الغرور سبب الكفر:

٤٥٥ التطرف في الكفر:

٤٥٧ كذب و استكبار:

٤٥٨ سوء المصير:

٤٦٠ [سوره الأعراف (٧): الآيات ١٣٨ الى ١٤١]

٤٦٠ اشاره

٤٦١ بنو إسرائيل و الردة الجاهليه

٤٦١ هدى من الآيات:

٤٦٢ بينات من الآيات:

٤٦٢ الكفر بعد الايمان:

٤٦٤ العبوديه لله تحرر الإنسان:

٤٦٦ [سوره الأعراف (٧): الآيات ١٤٢ الى ١٤٥]

٤٦٦ اشاره

٤٦٦ اللغه

٤٦٨ تنميه روح الايمان بالله

٤٦٨ هدى من الآيات:

- ٤٦٩ بينات من الآيات:
- ٤٦٩ حكمه الغيبه:
- ٤٧٠ من أين تبدأ الثورة الثقافيه؟
- ٤٧١ هدف المعجزه:
- ٤٧٢ محتوى رسالات الله:
- ٤٧٤ [سوره الأعراف (٧): الآيات ١٤٦ الى ١٤٧]
- ٤٧٤ اشاره
- ٤٧٥ كيف يضل المتكبر؟
- ٤٧٥ هدى من الآيات:
- ٤٧٦ بينات من الآيات:
- ٤٧٦ طريق الانحدار:
- ٤٧٧ العاقبه فى الحقل العملى:
- ٤٧٩ [سوره الأعراف (٧): الآيات ١٤٨ الى ١٥٣]
- ٤٧٩ اشاره
- ٤٧٩ اللغه
- ٤٨١ عجل السامرى
- ٤٨١ اشاره
- ٤٨١ هدى من الآيات:
- ٤٨٢ بينات من الآيات:
- ٤٨٢ لماذا العجل؟
- ٤٨٤ امتحان و فرز:
- ٤٨٥ عاقبه عباد العجل:
- ٤٨٧ [سوره الأعراف (٧): الآيات ١٥٤ الى ١٥٦]
- ٤٨٧ اشاره
- ٤٨٨ عاقبه التقوى
- ٤٨٨ اشاره

- ٤٨٨ هدى من الآيات:
- ٤٨٩ بينات من الآيات:
- ٤٨٩ حكمه الغضب:
- ٤٩٠ كيف نصفى الشوائب:
- ٤٩١ واجب الإنسان:
- ٤٩٣ [سوره الأعراف (٧): الآيات ١٥٧ الى ١٥٩]
- ٤٩٣ اشاره
- ٤٩٣ اللغه
- ٤٩٤ وَ يَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ
- ٤٩٤ اشاره
- ٤٩٤ هدى من الآيات:
- ٤٩٥ بينات من الآيات:
- ٤٩٥ من خصائص الرسول صلى الله عليه و آله
- ٤٩٦ شروط الفلاح
- ٤٩٧ كيف نعرف الله؟
- ٥٠٠ [سوره الأعراف (٧): الآيات ١٦٠ الى ١٦٦]
- ٥٠٠ اشاره
- ٥٠٠ اللغه
- ٥٠٢ الرجز عقبى الظلم بعد الايمان
- ٥٠٢ هدى من الآيات:
- ٥٠٣ بينات من الآيات:
- ٥٠٣ التكامل الاجتماعى:
- ٥٠٥ نقاط الضعف الحضاريه فى المدينه:
- ٥٠٧ ظلم الذات:
- ٥٠٨ مواقف المجتمع تجاه الجريمه:
- ٥١٠ [سوره الأعراف (٧): الآيات ١٦٧ الى ١٧٠]

- ٥١٠ اشارة
- ٥١٠ اللغة
- ٥١٢ كيف انتكس بنو اسرائيل بالتبرير
- ٥١٢ هدى من الآيات:
- ٥١٣ بينات من الآيات:
- ٥١٣ التقليد داء المجتمع:
- ٥١٤ نتائج الظلم الاجتماعى:
- ٥١٥ ثقافه التبرير:
- ٥١٧ [سوره الاعراف (٧): الآيات ١٧١ الى ١٧٤]
- ٥١٧ اشارة
- ٥١٧ اللغة
- ٥١٨ الميثاق الإلهى
- ٥١٨ اشارة
- ٥١٨ هدى من الآيات:
- ٥١٩ بينات من الآيات:
- ٥١٩ خذوا ما أتيناكم بقره:
- ٥٢٠ كيف نبلور جوهر الذات؟
- ٥٢٣ [سوره الاعراف (٧): الآيات ١٧٥ الى ١٧٨]
- ٥٢٣ اشارة
- ٥٢٤ رده العالم و مثل الكلب اللاهث
- ٥٢٤ هدى من الآيات:
- ٥٢٥ بينات من الآيات:
- ٥٢٥ ضروره الالتزام:
- ٥٢٧ حب الشهرة:
- ٥٢٨ [سوره الاعراف (٧): الآيات ١٧٩ الى ١٨٣]
- ٥٢٨ اشارة

- اللغه - ٥٢٨
- كيف ندعو الله بأسمائه الحسنی ٥٢٩
- هدى من الآيات: ٥٢٩
- بينات من الآيات: ٥٣٠
- الحكمه الربانيه: ٥٣٠
- الكفر بالأسماء و الصفات: ٥٣١
- التوشل بالذات لا بالصفات: ٥٣٢
- موقف التصديق: ٥٣٤
- موقف التكذيب: ٥٣٤
- [سوره الأعراف (٧): الآيات ١٨٤ الى ١٨٧] ٥٣٦
- اشاره ٥٣٦
- اللغه - ٥٣٦
- عسى أن يكون قد اقترب الأجل ٥٣٧
- هدى من الآيات: ٥٣٧
- بينات من الآيات: ٥٣٨
- لا للتبرير: ٥٣٨
- متى تقوم الساعه؟ ٥٤٠
- [سوره الأعراف (٧): الآيات ١٨٨ الى ١٩١] ٥٤٢
- اشاره ٥٤٢
- الإنسان: قصه البدايه ٥٤٣
- هدى من الآيات: ٥٤٣
- بينات من الآيات: ٥٤٤
- من هو الرسول؟ ٥٤٤
- قصه الخلق: ٥٤٥
- الإنسان و النسيان: ٥٤٦
- قابليه الانهزام و الاستعمار: ٥٤٧

- ٥٤٩ [سوره الأعراف (٧): الآيات ١٩٢ الى ١٩٨]
- ٥٤٩ اشاره
- ٥٥٠ لماذا يدعون عبادا أمثالهم
- ٥٥٠ هدى من الآيات:
- ٥٥١ بينات من الآيات:
- ٥٥١ آخر الدواء الكى:
- ٥٥٢ من هو ولي الصالحين؟
- ٥٥٤ [سوره الأعراف (٧): الآيات ١٩٩ الى ٢٠٦]
- ٥٥٤ اشاره
- ٥٥٤ اللغه
- ٥٥٦ كيف تتكامل شخصيه الإنسان
- ٥٥٦ هدى من الآيات:
- ٥٥٧ بينات من الآيات:
- ٥٥٧ أبعاد الحياه الاجتماعيه:
- ٥٥٨ ماذا نحتاج للتطبيق؟
- ٥٥٩ من الفكر التبريرى:
- ٥٦٠ تعظيم القرآن:
- ٥٦٠ كيف نقاوم الانسلاخ عن القرآن:
- ٥٦١ قاوم التكبر فى نفسك:
- ٥٦٢ تعريف مركز

سرشناسه: مدرسی، محمدتقی، - ۱۹۴۵

عنوان و نام پدیدآور: من هدی القرآن / محمدتقی المدرسی

مشخصات نشر: تهران: دار مجبی الحسین، ۱۳۷۷.

مشخصات ظاهری: ج ۱۸

شابک: ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۲۱-۱۱۷-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۲۰-۳۱۶-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۱۹-X۱۵-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۱۸-۱۱۴-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۱۷-۳۱۳-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۱۶-۵۱۲-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۱۵-۷۱۱-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۱۴-۹۱۰-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۱۳-۰۹-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۱۲-۲۸-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۱۱-۴۷-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۱۰-۶۶-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۰۹-۲۵-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۰۸-۴۴-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۰۷-۶۳-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۰۶-۸۲-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۲۱-۱۱۷-۱۸؛ ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۰۵-X۱-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۰۴-۱۱۸۰۰۰۹۶۴-۵۶۴۸-۰۳-۳-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۲۰-۳۱۶-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۱۹-X۱۵-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۱۸-۱۱۴-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۱۷-۳۱۳-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۱۶-۵۱۲-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۱۵-۷۱۱-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۱۴-۹۱۰-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۱۳-۰۹-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۱۲-۲۸-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۱۱-۴۷-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۱۰-۶۶-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۰۹-۲۵-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۰۸-۴۴-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۰۷-۶۳-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۰۶-۸۲-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۰۵-X۱-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۰۴-۱۱۸۰۰۰۹۶۴-۵۶۴۸-۰۳-۳

وضعیت فهرست نویسی: فهرست نویسی قبلی

یادداشت: عربی

یادداشت: کتاب حاضر در سالهای مختلف توسط ناشرین مختلف منتشر شده است

یادداشت: کتابنامه

موضوع: تفاسیر شیعه -- قرن ۱۴

رده بندی کنگره: BP۹۸/م ۴م ۱۳۷۷۸

رده بندی دیویی: ۲۹۷/۱۷۹

شماره کتابشناسی ملی: م ۷۷-۱۲۵۶۱

ص: ۱

اشاره

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

-۱

قال أبو عبد الله (عليه السلام): «نزلت سورة الانعام جمله واحده شيعها سبعون ألف ملك حتى أنزلت على محمد (صلى الله عليه و آله) فعظموها و بجلوها، فان اسم الله فيها في سبعين موضعا، و لو علم الناس ما فيها ما تركوها.» ۲-

أروى عن العالم (عليه السلام) أنه قال: «إذا بدأت بك عله تخوفت على نفسك منها، فاقرا الانعام فانه لا ينالك من العله ما تكره.» ۳-

عن أبي بصير قال: كنت جالسا عند أبي جعفر (عليه السلام) و هو متك على فراشه، إذا قرأ: «الآيات المحكمات التي لم ينسخهن شيء من الانعام قال:

شيعها سبعون ألف ملك [قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا] .»

ص: ۵

ثلاث حقائق (الله-الإنسان-الكون):

فى بدايه هذه السوره امتزجت حقائق الكون ببعضها وفق البصيره التوحيديه التى بالرغم من اهتمامها بالفواصل الواقعيه بين الأشياء إلا أنها تعلق أهميه كبيره على مدى علاقه الأشياء ببعضها، و تذكرنا هذه السوره بطائفه من حقائق الكون كمثل لهذه الوحده. تلك الحقائق هى:

أ-الإنسان باعتباره عبدا مخلوقا لله، و سيدا على الطبيعه، إنَّ عليه أن يقف امام عظمه الله و يقول:«الحمد لله» حامدا عظمه الله، ليس لأنه قدير واسع الرحمه فحسب، بل لأنه سبحانه أغدق عليه من رحمته الواسعه الشىء الكثير، فلذلك يحمده.

ب-الله باعتباره سيدا مطاعا للخليقه و مهيمنا عليها.

ج-الكون أى السماوات و الأرض، و الظلمات و النور. باعتبارها مخلوقات لله، و مديرات بأمره، و الرابطه الوثيقه بين الإنسان و بين الكون هى أنهما معا

مخلوقان لله، مدبران بأمره سبحانه.

و لكن الإنسان يملك- بإذن ربه- ميزه أساسيه بين الخلائق هي انه سيدها الذي سخر الله له إياها، و لذلك فهو يحمد ربه.

و إذا أراد الإنسان أن يكرس في ذاته صفه السيادة على الكون فليس عليه سوى المزيد من الارتباط بربه الذي سخر الكون لأمره.

معرفة الله:

ان معرفه الطبيعه من دون إله لها يعنى ان الماده بلا- روح، بلا- قيم، و بلا- نظام، و معرفه الله بعيدا عن الطبيعه يعنى البحث في فراغ، في التجريد، في اللاشئ، و سواء كانت هذه أو تلك فهي تنتهي بالإنسان الى اللامسؤوليه و اللإلتزام، و بالتالى اللاوعى.

المادى الذى يختصر حياته فى الأشياء، و لا- ينظر عبر الماده الى ما ورائها من هيمنه الله، و قيامه و ملكه و سلطانه، إنه لا يشعر بالتزام تجاه الماده، لأنّ الماده لا حياه لها و لا عزه لها و لا حكمه.

الماده لا تراقبه، و لا تحاسبه، و لا تجازيه، بل لا يشعر بها، فلذلك فهو ينفلت عن التقيد بالمسؤوليات.

و كذلك الصوفى الذى يؤمن بالألفاظ و الكلمات، و الخلسات و الهمسات، و لا يؤمن باله الحياه و النظام، و التدبير، و الملك، و الحساب و العقاب، انه لا- يؤمن بالطبيعه كمظهر سام من مظاهر الحياه التى و هبها الله، و النظام الذى قام عليه و أجراه سبحانه، و بالتالى لا يؤمن بالطبيعه كاسم من أسماء الله سبحانه إن هذا الصوفى، هو الآخر لا يشعر بمسؤوليه أمام الحياه التى فصلها عن الله.

و الحقيقة فى معرفة المادة و الروح هى الايمان بواقع الطبيعه، و بحقيقه القيم التى تهيمن عليها، و الاعتقاد بوجود الطبيعه المدبره بسلطان ربها، و بالتالى الاهتداء الى الله عبر أسمائه و آياته المنتشره فى رحاب الطبيعه.

ان القرآن باعتباراه كتاب الله الذى، لا-رب فيه يتحدث إلينا عن الطبيعه باعتبارها جسرا يسير عبرها الفكر الى معرفة الله، و باعتبارها مظهرا ساميا لأسماء الله و آياته، و باعتبارها أداءه للإنسان لاكتشاف نفسه، و الاهتداء الى ربه، و التكامل حتى يكون الى الله المنتهى.

عليك ان تنظر الى السماوات و لا تجلس فى غرفه مظلمه تبحث عن الله، و لكن إياك ان تنظر الى السماوات كأنها أشياء ثابتة جامده جاهله، كلا بل باعتبارها حقائق تسبح بحمد خالقها و تسجد لهيمنه ربها.

لماذا اسم الأنعام

؟ إن سوره الأنعام هى مثل كل سور القرآن التى تشع بنور التوحيد، و تناسب فى ضمير الإنسان بضياء الايمان بالله، و لكنها لم تسم باسم مجرد. فلم يكن اسمها مثلا: سوره الحى القيوم، أو سوره الصمد الأحد، أو سوره القدوس الأعلى، أو سوره الحمد و التسبيح، كلا... بل سميت بسوره الأنعام.

الأنعام التى يضرب الله بها مثل الغباء، و يعتقد الإنسان أنها لا تعنى شيئا فى حقل الايمان و العرفان، مع ذلك سمى الله هذه السوره باسم الانعام ليجعلنا نغير نظرنا الى الانعام، و نعرف انها نعمه من نعم الله، و انها بالتالى تهدينا الى الله من جهه. و تفرض علينا من جهه مسئوليته معينه، و هى تلك المسئوليه التى يشعر بها المؤمن أمام ربه، و بذلك يخرج المادة (و هنا الانعام مثل لها) من النظر إليها بنظره الشئيه دون الالتفات الى دور المادة فى تكامل الروح و العلم و القيم، كما يخرج

بذلك أيضا الروح و العلم و القيم و الايمان من عالم التجريد و المثاليه الى عالم الحقيقه.

و قد ذكرت كلمه الأنعام فى هذه السوره فى الآيات بين (١٣٨ إلى ١٤٨) كل هذه كانت فى رأينا بعضا من فلسفه اسم الأنعام فى هذه السوره.

ص: ١٠

[سوره الأنعام (٦): الآيات ١ الى ٣]

اشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ (١)
هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا- وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ (٢) وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ
سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ (٣)

اللغه

١[يعدلون]:عدلت عنه أى أعرضت.

٢[تمترون]:الامتراء الشك،و أصله من مرات الناقه إذا مسح ضرعها لاستخراج اللبن، و منه ما راه يماريه وراء و مماراه إذا
استخرج ما عنده بالمناظره،فالامتراء استخراج الشبهه المشكله من غير حل.

ص: ١١

إشاره

بسم الله الرحمن الرحيم [١] الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَإِنِ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لَمِ يَهَبِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ خَلْقَهُمَا
فقط، بل قدّر لهما أمورهما، و نظم شؤونهما، فكل شيء في السموات و الأرض محدود بحدود معينه حددتها حكمه الله، و علمه
الواسع، و قدرته المطلقه.

فالشمس لها وزنها و سعتها، و حرارتها و كثافتها، و مدارها و مجراها، و نهايتها و بعدها عن سائر الشمس السابحه في الفضاء.

كذلك الأرض و القمر و الكواكب و النجوم، و هكذا الحال لكل شيء موجود في الأرض، حتى الذره لها حدودها التي لا
تتجاوزها.

و عند ما نقول: حدودها نعى: أن كل شىء ينتهى وجوده عند حد معين، و بعدئذ لا يملك وجودا أو بتعبير آخر: ينعدم فى خارج حده، مثلا: التفاحه موجوده فى مساحه معينه و فى وقت محدود. أما فيما وراء تلك المساحه، و ذلك الوقت فلا- وجود للتفاحه، كذلك فان الله قَدَّر- بحكمته و قدرته- الوجود و العدم، فجعل كل شىء موجودا فى حدود معينه، و جعله معدوما فيما وراء ذلك. إذا فهو جاعل العدم و الوجود، و مقدرهما و مدبرهما.

و ربما يشير الى هذه الحقيقه قوله تعالى:

وَ جَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَ النُّورَ ذلكَ لأنَّ الظُّلُمَاتِ رمز لكل عدم، بينما النور رمز لكل وجود.

أمام هذه القدره و الحكمه المطلقه، لا يسعنا إلا الحمد، و الحمد هو ذلك الموقف الرشيد الذى لا بد ان نتخذه من ربنا، و لكن كم هو بعيد و شاذ موقف الكفار حيث يشركون بربهم، و يضعون الله سبحانه عدلا للأنداد من دونه. تعالى ربنا عما يصفه المشركون! ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ

الشك لماذا و كيف؟

[٢] إن الإنسان فى هذا الكون الواسع محاط بقدره الله، و ما عليه إلا أن يعرف هذه الحقيقه، و يعترف بها، و لا يرتاب فيها و لا يشكك نفسه فى ذلك، لأن الشك قد يكون عفويا، و قد يكون شكا نابعا من الهوى أو الحساسيه و ما أشبهه، و فى قضيه الايمان بالله لا نجد ذلك النوع من الشك، أن الله أظهر من أن يشك فيه بشر (١)، ان

ص: ١٣

١- ١): جاء فى دعاء عرفه للإمام الحسين (عليه السلام): «الهى ترددى فى الآثار يوجب بعد المزار، فاجمعنى»

هذا الشك هو الشك الذى مصدره إغماض العين عن الشواهد، و الانصراف عن الأدله، و المجادله فى الحق بعد اليقين به.

هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ ان خلقه الإنسان كانت من طين فلذلك هو يتزع
اليه و يهوى الخلود اليه، و من الصعب عليه أن ينبعث الى الحق.

و لأن الإنسان خلق من طين فأولى به ان يخشع لخالقه و الأ يستكبر.

ثم ان للإنسان قدرا مقدورا. ذلك ان خلايا جسمه تتحلل، و عظامه تهن و تضعف، و ينتهى بالتالى الى الموت.

فقد يأتيه الموت بحادث سياره أو مرض سرطان، أو قتل فى حرب أو.. أو..

الميتة الاولى قدر مقدور عليه، كما هو قدر مقدور على كل حى و على كل ماده، أما الميتة الثانية فهى قضاء يقدرها الله عليه، و
يكتبها فى سجله الأسمى، و ذلك وفقا لاختيار الفرد نفسه.

إذا فهو إله السموات و إله الأرض، و هو ملكهما و مرجع أمورهما.

وَ هُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَ فِي الْأَرْضِ و لأنه يدبر أمور السموات و الأرض، فهو عليم بهما لأنه من المستحيل أن يدبر

الكون دون أن يعلم بخفيايه.

يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ إنه يعلم السر كما يعلم الجهر. (بعكس الإنسان) لأن السر هو الذى يتكون أولاً، ثم يبرز أمام الناس، كالحبه تحت التراب، تتحول عبر تفاعلات كيمياويه الى زرع قبل أن يراها الناس، ثم إذا اخضرت الأرض أصبحت جهراً (و الله يعلم سرها و جهرها).

و لذلك فإن علمه بالسر يسبق علمه بالجهر (بالرغم من أن علم الله لا زمان له).

و الله يعلم خفايا الحبه التى تتفاعل مع أملاح الأرض، ثم إذا تفاعلت يعلمها خبراء الزراعة ثم يراها المزارعون.

كذلك يعلم الله إرادته الإنسان قبل أن تتحول إلى عمل، و يعلم العوامل المؤثره فيها. عاملاً عاملاً، و يعلم طبيعه الظروف و مدى استعداد الإنسان لتحديها، أو استسلامه لها. لذلك فهو يعلم ما ذا يريد الإنسان أن يعمله فى المستقبل بالرغم من أن هذه الإراده لا يعلمها حتى الإنسان نفسه»

عرفت الله بفسخ العزائم و نقض الهمم».

و يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ما تكسبون من خير أو شر، الآن و مستقبلاً، و هكذا.. فعلى الإنسان أن يصلح ما فى نفسه من عقد و نزوات، و يطهرها من صفاتها السيئه، تلك التى يحاسبه عليها ربنا، و هو عليم بكل تفاصيلها و مقاديرها، كما عليه أن يصلح ظاهره، و يراقب أعماله.

وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ (٤) فَقَدْ كَذَّبُوا بِآلِحَتِكُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ آيَاتٌ مِمَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (٥) أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَوْمٍ مَكَانَهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمْكِنْ لَكُمْ وَ أَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِطْرًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَوْمًا آخَرِينَ (٦) وَ لَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ (٧) وَقَالُوا لَوْ لَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَ لَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكَ لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ (٨) وَ لَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكَ لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَ لَلْبَسِينَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبَسُونَ (٩) وَ لَقَدْ أَسْتَهْزِئُوا بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (١٠) قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ أَنْظَرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ (١١)

هدى من الآيات:

تحقيقا للهدف العام لسوره الانعام الذى هو تنميه روح الايمان بالله فى النفوس، و جعله مصباحا يهدى الإنسان فى ظلمات الحياه، تحقيقا لهذا الهدف العظيم جاءت آيات هذا الدرس لتفصح الدافع الأساسى لتكذيب آيات الله و رسالاته، لعل الإنسان يتذكر بنفسه و يحاول تطهيرها من شر هذا الدافع الأساسى الذى هو الاستهزاء بالحق، و الاعراض عن آياته، و ما دام البشر يستخف بالحق و لا يقدره حق قدره، فانه لن يستمع الى آيات الحق، و لن يحاول استيعاب هذه الآيات.

و لكى يطهر البشر قلبه من هذا الدافع فعلينا أن نذكره (كما عليه هو أن يتذكر) بمصير المستهزئين بالحق، المعرضين عن آياته كيف أنهم دمروا شر تدمير.

و تبين آيات هذا الدرس انه ما دام الاستهزاء موجودا، أى ما دام البشر غير مهتم بالحق. فانه لا ينتفع بأية آية، بل يحاول أن يتشبث ببعض الحجج الواهيه حتى يردّ الحق و آياته، و متى ما فشلت حجه من حججه، فانه يسارع الى حجه واهيه

أخرى.

فلو جاءته الآيات على شكل كتاب منزل من السماء، فإنه يقول: إنها سحر، ثم يطالب ربه بأن ينزل عليه الملائكة، ولكن هل هذا ينفعه؟ كلا، لأن الملك عند ما يأتيه مثلاً فانما يأتيه بصورة إنسان أو شبهه، ولكن ما دام يكفر بالرسول.

فكيف لا- يكفر بالملائكة؟! ان الحل الوحيد للمعرض عن آيات الحق، أو المستهزئ بها هو أن يتذكر مصير المكذابين بها و المعرضين عنها، وذلك بالسير في الأرض، لأن الحق ينتصر من المكذابين و المعرضين.

بينات من الآيات:

الاستعداد النفسى:

[٤] لكي نعرف الحق نحتاج الى الانفتاح عليه و البحث الجدى عن آياته، و إنك تحتاج الى البحث السليم عن طريقك و أنت تسير فى الصحراء أو فى الجبال حتى تكشفه من خلال المعالم الموجوده على الرمال، أو بين الصخور.

فاذا أراد الإنسان أن يعرف طريقه فى الحياه من أين جاء، و الى أين يسير، و كيف و متى، و أين ينتهى به المطاف، و كيف يسعد، و كيف يمارس أعماله بشكل لا تتعارض و مصالحه الحقيقيه و هكذا؟ أ فلا يحتاج الى البحث، و هل يمكن أن يكشف أحدنا طريقه فى الحياه بلا تعب؟! كلا..

و من حسن حظنا نحن البشر أن الله منّ علينا بتوضيح طرق الحياه، و هداانا الى

ص: ١٨

أبلج الطرق،و المطلوب منا أن نفتح أعيننا جيدا لنهتدى بهدى ربنا،أما إذا أغمضنا أعيننا فحتى نور الشمس لا يستطيع أن ينفذ الى عين مغمضه،إذا فالشرط الأول للهدايه،هو الاستعداد النفسى لتقبلها إذا توفرت آياتها،أما إذا لم يكن عند الإنسان هذا الاستعداد،و قرر سلفا الكفر بالحق،فانه سوف يعرض عن آيات الحق،و مثلا على ذلك الذى ينتمى الى حزب،و لا يفكر أبدا فى ترك هذا الحزب لأنه قد اتخذ قراره سلفا لانكار الحق،كذلك الكافرون يعرضون عن آيات الحق لأنهم قد اتخذوا قرارهم الخاطئ سلفا بالكفر.

وَ مَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ انهم لا يحضرون عند من يتلو الآيات،و ان حضروا فهم لا يستمعون الى تلك الآيات،و إن استمعوا إليها فليس للاهتداء بها بل من أجل ردّها.

عاقبه الاستهزاء بالحق:

[٥]يستخف الكفار بآيات ربهم،و الواقع أنهم يستخفون بالحق الذى تدلّ عليه تلك الآيات.إن من لا يحضر عند من يذكر بالله،و يقول:من هذا حتى أحضر عنده؟!أنه لا يستخف بهذا الرجل.بل بالحق الذى يحمله.

كذلك من لا يقرأ كتابا يهديه الى الحق و يقول مستخفا:به:ما هذا؟!إنه يستخف بالحق لا بالكتاب.

كذلك من لا ينظر الى آيات الله فى الكون نظرا عبريا،و كذلك الذى لا يتدبر فى القرآن.

فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنَّ فِطْرَةَ الْإِنْسَانِ تُدْفِعُهُ إِلَى الْبُحْثِ عَنِ الْحَقِّ،و لكن الذى دنس فطرته بوسخ

الشرك. ينكر الحق، و يكذب به حتى و إن جاءه بدون بحث أو صعوبه.

فَسَوْفَ يَأْتِيهِمُ الْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ إن مثل هؤلاء لا يعرفون أهميه الحق و دوره فى فلاحهم و سعادتهم، و مدى حاجتهم اليه، و هذا الجهل سيرديهم، لأن الحق الذى يستخفون به، و ينكرون دوره فى حياتهم سوف ينتقم منهم غدا حين يخالفونه.

إنك إذا أنكرت حقيقه الجاذبيه فى الأرض و أعرضت عمدا عن كل الآيات التى تدل عليها. و إذا قيل لك: إن سقوط التفاح من الشجر و انحدار السيل، و تساقط المطر كل ذلك يدل على الجاذبيه، و أنك لو قفزت من علّ فسوف تسحبك الأرض و تحطم عظامك؛ قلت: كلاً.. و لم تستمع الى الأدله، بل أعرضت عنها.

ماذا ستكون النتيجة؟ بالطبع إن هذا الحق الذى أنكرته اليوم، سيأتيك غدا لينتقم منك، بأن تسقط فى يوم من الأيام فاذا بعظامك محطّمه.

كذلك لو أنكرت حقيقه أنّ السكوت على حكم الظالم سيحطم سعادته الشعب، و لم تستمع الى آيات هذا الحق المتمثله فى مئات العبر التاريخيه الغابره، و التجارب البشريه الحاضره، فسوف تسكت عن الظالم، و تكون أنت أول من يحيط به ظلم الظالم، و يحطم سعادته.

[٦] هكذا كان مصير كل أولئك الذين أعرضوا عن آيات الله، و كذبوا بالحق، و استهزءوا به كتعبير عن استخفافهم به، و استهانتهم بدوره فى سعادتهم.

سنه العذاب:

إننا إذا نظرنا الى تاريخ البشريه فإننا نرى حقيقه بارزه هى أن مصير كل المكذبين بالحق كانت المأساه.

أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَوْمٍ هَلْ أَهْلَكُوا لَأَنْهُمْ كَانُوا ضَعْفَاءَ؟ كَلَّا بَلْ بِالْعَكْسِ:

مَكَذَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ ۖ لَمْ تُمْكِنْ لَكُمْ أَيْ أَنْهُمْ سَيَّطَرُوا عَلَى مَوَارِدِ الْأَرْضِ، وَسَخَرُوهَا فِي مَصْلَحَتِهِمْ بِإِذْنِ اللَّهِ، وَاسْتَقَرُّوا فِي الْأَرْضِ، وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا حَتَّى لِيَكَادَ يَحْسِبُهُمُ النَّظِيرَانَهُمْ خَالِدُونَ فِيهَا.

وَ أَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَ جَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ لَقَدْ اسْتَقَرُّوا فِي الْأَرْضِ وَ تَجَاوَزُوا مَرِحِلَةَ الْبَدَاوَةِ، وَ الْارْتِحَالَ مِنْ مَنْطِقِهِ لِأُخْرَى طَلِبًا لِلرِّزْقِ، خَوْفًا مِنَ الْوَحُوشِ، أَوْ مِنْ نَكَبَاتِ الطَّبِيعَةِ، ثُمَّ كَانَتْ مَوَارِدُ الرِّزْقِ عِنْدَهُمْ كَبِيرَةً وَ سَهْلَةً وَ هَذِهِ هِيَ أَسْبَابُ قِيَامِ الْحَضَارَاتِ الْبَشَرِيَّةِ.

وَ لَكِنْ هَذِهِ الْحَضَارَةُ (الَّتِي كَانَتْ) لَمْ تَشْفَعْ لَهُمْ. إِذْ أَنْهُمْ حِينَ أُعْرِضُوا عَنْ آيَاتِ الْحَقِّ، وَ كَذَّبُوا بِهَا وَ اسْتَهْزَءُوا. أَنْتَذُ خَالَفُوا عَمَلِيَا الْحَقَّ، وَ أَكْثَرُوا مِنَ الذُّنُوبِ الَّتِي هِيَ تَعْبِيرُ دِينِي عَنْ مَخَالَفَةِ الْحَقِّ.

إِنَّهُمْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ، وَ طَغَوْا عَلَى الْآخِرِينَ، وَ لَمْ يَسْتَفِيدُوا مِنَ مَوَارِدِ الطَّبِيعَةِ، بَلْ أَفْسَدُوهَا، وَ فَعَلُوا مِثْلَمَا فَعَلَ قَوْمٌ عَادٌ أَوْ قَوْمٌ لُوطٌ أَوْ قَوْمٌ شَعِيبٌ، وَ كَانَتْ النُّتِيْجَةُ:

إِنَّ تِلْكَ الذُّنُوبَ تَكَثَّرَتْ حَتَّى أَحَاطَتْ بِهِمْ، وَ أَنْهَتْ حَضَارَاتِهِمْ.

فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَوْمًا آخَرِينَ إِنْ هَذِهِ عِبْرَةٌ كَافِيَةٌ لِلْبَشَرِ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَعْتَبِرَ.

[٧] وَ لَكِنْ الْبَشَرُ قَدْ يَغْلِقُ عَلَى نَفْسِهِ مَنَافِذَ قَلْبِهِ. فَلَا يَقْبَلُ الْحَقَّ وَ لَوْ جَاءَهُ

بطريقه إعجازيه.

وَ لَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ أَى فِي أوراق ملموسه يرونها تهبط عليهم من السماء كما ينزل المطر إنهم لا يفكرون أن ذلك إعجاز، فكيف ينزل من السماء قرطاس فيه هدى و نور، إذا:

لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ و كيف يمكن إقناع من يخلط المعجزه بالسحر؟ هل بمعجزه أقوى و أكبر؟ إنه آنئذ سيزعم أنها سحر أكبر؟! إن إقناع هذا الشخص أصعب من إقناع من يخلط بين المتناقضات فى تفكيره كالبدائي الذى يزعم: ان من الممكن ان يوجد شخص فى مكانين فى زمان واحد، ذلك لان هذا يعانى من نقص فى تفكيره. يمكن إزالته بالتعليم أما ذاك فهو مصمم على ألا يقتنع بالحق لأنه لا يرى أهميه لذلك أصلا.

[٨] ان هذه الطائفه تطالب أبدا بمعاجز جديده. تهربا من الاقتناع بالحق، و ليس هدفهم من هذه المطالب بريئا.

وَ قَالُوا لَوْ لَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ مِنَ السَّمَاءِ نَرَاهُ بِأَعْيُنِنَا حَتَّى نَصَدِّقَ بِهِ، و لكن إذا جاء هل يصدقون به أم يعودون و يقولون: إنه سحر مبين؟! إن لله سننا و أنظمه فى الكون يجرى عليها أمور الكون، و لا يخرق هذه السنن بطلب كل أحد.

ص: ٢٢

و من تلك السنن: أنه قدّر ألاّ ينزل الملائكه إلا- فى يوم المعاد. حيث يظهر الجزاء فورا و بصورة واضحة. فى ذلك اليوم تظهر الملائكه لكى يجازوا الناس بأعمالهم، و تظهر حقائق الكون للجميع. لذلك قال ربنا:

وَ لَوْ أَنزَلْنَا مَلَكَاً لَّقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ۚ فِى ذَلِكَ الْيَوْمِ تَنْتَهَىٰ فَرْصَةُ الْإِنسَانِ، و يأتى يوم الجزاء العاجل الذى لا يمهل صاحبه، أما الآن فنحن فى يوم المهله.

[٩] ثم ما الفرق بين ان ينزل الله ملكا أو ينزل رجلا، فما دام الفرد كافرا و جاحدا. لا فرق بين أن يأتيه رجل رسولا، أو يأتيه ملك رسولا. انه سوف يكفر بهما جميعا.

وَ لَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكَاً لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلًا ۚ وَ لَلْبَشَرِئَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبَسُونَ ۚ إِنْ الْهَدَفَ مِنْ بَعَثِ الرِّسْلِ لَيْسَ إِكْرَاهِ النَّاسِ عَلَى الْإِلتِزَامِ بِطَرِيقِ الْحَقِّ، بل إتمام الحجة عليهم و ذلك بتوفير فرصه الهدايه لهم كى لا يقولوا يوم القيامة: لم نكن نعلم.

و لذلك لو بعث الله ملكا إذا لجعله الله يشبه الناس حتى فى ملابسه حتى يستطيع أن يتفاهم معهم، و يهديهم.

[١٠] إن مشكله الكافر هى استخفافه بالحق و استهزائه به. و السبب هو: أن الكافر- كما قلنا سابقا- لا يعرف مدى أهميه الحق فى حياته و أن علينا أن نبين له تلك الأهميه من خلال تجارب التاريخ.

وَ لَقَدْ اسْتَهْزَيْتَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ

يَسْتَهْزِئُونَ ان الحق الذي كفر به هؤلاء و استهزءوا بمن هداهم اليه تحول الى واقع مرّ، و دمر حياتهم.

[١١] إن الرسل قالوا لهم: إن الاستسلام للطاغوت حرام، و على البشر أن يثور ضده. فهذا هو الحق الذي حمله الرسل الى الناس، و لكنهم كفروا بهم، و استهزءوا بهذه الحقيقه. فما ذا كانت النتيجة؟ إن الحق تحوّل الى واقع فسيطر الطاغوت على البشر، و أفسد عليهم الحياه، و جعلها جحيما لا تطاق.

و لكي نفهم هذه التجربه العظيمه فعلينا ان نراجع التاريخ:

قُلْ سَيُرَوِّا فِي الْمَأْرُضِ ثُمَّ أَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ إِنَّ حَيَاتِهِمْ انْتَهَتْ إِلَى جَحِيمٍ بِسَبَبِ تَكْذِيبِهِمْ لِلْحَقِّ، وَ اسْتَهْزَائِهِمْ بِالرَّسْلِ.

ص: ٢٤

اشاره

قُلْ لِمَنْ مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كَتَبَ عَلَيَّ نَفْسِهِ الرَّحْمَهُ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (١٢) وَ لَهُ مَا سَيَكُنْ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (١٣) قُلْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَ لِيَا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَ هُوَ يُطْعَمُ وَ لَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَ لَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٤) قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٥) مَنْ يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ وَ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ (١٦)

هدى من الآيات:

أبسط فكره تقفز الى ذهنك حين تلقى نظره الى السموات و الأرض هي أنهما مسيرتان و ليستا مخيرتان، فأذن هي مملوكة لله، و لكن الله ذو المشيئة المطلقة، المالك للسموات و الأرض يعطى عباده من خلال عطاياه و نعمه التي لا تحصى ثقة بأنه لن يقطع الحبل عنهم، بل كتب على نفسه الرحمة لهم، فما أفضل الالتجاء اليه، و التمتع برحمته.

هذه فكره الآيه الاولى من هذا الدرس. الذى يعرفنا برّبنا معرفه تجعلنا نكاد نراه بها سبحانه، و الله هو المالك لكل ما سكن له و اطمأن إلى رحمته فى مسيره الليل و النهار رغم تحركهما، إذ أن رحمته الله تدع الخلق يسرون وفق نظام يثقون به، يسكنون إليه رغم تدفق الزمان الهائل القوه، لأن الكون كله يستند الى القدره المطلقه التي فطرت السموات و الأرض فى البدء، و التي لا تزال تغذى الوجود دون أن يتغذى بشيء سبحانه، و فى هذا الطوفان الهائل التغيير. يسلم العبد لربه ليتخذ

منه ركننا شديدا، ثم لا- تكونن- أيها العبد الضعيف من المشركين- لأن الشرك -و هو أعظم درجه-سيجعلك تواجه نهايه مأساويه فى يوم أكبر هم كل إنسان فيه هو الخلاص من عذابه فَمَنْ زُحِرِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ (/١٨٥آل عمران) و تأتي هذه المجموعه التوحيديه من الآيات فى سياق دروس إيمانيه متتاليه.

هدفها التعريف الأعمق بآيات الله فى الحياه.

بينات من الآيات:

عالم الخلق دليل رحمه الله:

[١٢] ان للحياه التى نعيشها. لحظه بلحظه، و دفعه بدفعه، و موجه بعد موجه، هذا المهرجان العظيم من النور، و الدفء، و الانطلاق من العظمه و الروعه و الجلال، لهذه الحياه تنظيم بديع لطيف متين. إذا نظرت إليها ككل راعتك آيات التنسيق بين أجزائها، و إذا أمعنت النظر فى أصغر أجزائها أعجبتك متانه الصنع، و مدى ما فيها من دقه التنظيم، و عظمه الحركه، كل ذلك يزيدك معرفه: بأن للسموات و الأرض ربًا يملك ناصيتها، و يدبر شؤونها و يسيرها، و لو كانت حره طليقه من دون مسير، إذا لتحركت و سارت كل جزيئه منها فى اتجاه، و لانهارت و تفتت و تلاشت، فمن يملك ناصيه الحياه غير ربها، الله الذى خلقها!!.

قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ إِنَّهَا لَيْسَتْ الْحَقِيقَةُ الَّتِي نَحْتَاجُ فِيهَا إِلَى إِثْبَاتٍ، بل نحتاج الى معاشتها و ملامسه أبعادها لنصبح كلما استطعنا أقرب إليها لأنها الحقيقه الام التى تتفجر الحقائق من خلالها تفجيرًا، و من خلال معرفه حقيقه المالكه الالهيه نعرف أن الله قد كتب على نفسه الرحمه لأنه لو لم يكتب على نفسه الرحمه (و نعترف بعدم دقه

التعبير) إذا فمن الذى يمسك السموات و الأرض أن تزولا.علما بان الله يجبر الكون على المسير وفق الأنظمه،فمن يجبره سبحانه.إنه هو الذى:

كَتَبَ عَلَيَّ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ و لكن لرحمه الله حدود،و حدود رحمه الله هي حكمته..فكما أنه رحيم حين يضع السنن العادله،إلا أنه شديد على من يخالفها،فهو حين يحفظك-مثلا-من أن تسقط عليك حجاره ضخمه من السماء تدمر بيتك على من فيه،فانه بعدئذ يفرض عليك أن تلتزم بواجب العداله،فلا تدمر بيوت الخلق بقنابل عنقوديه،فلو فعلت فان جزاءك سيأتيك عاجلا فى الدنيا،أم آجلا فى الاخره.هنالك لا تحاسب وحدك،بل سوف تحاكم أمام الناس جميعا،و سوف يؤتى بمن ظلمته لكى يستوفى كل جزائه العادل:

لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ أَوْ يَشْكُ أَحَدٌ: أَنَّ اللَّهَ هُوَ الَّذِي أَمْسَكَ كُلَّ شَيْءٍ فِي حُدُودٍ مَعِينَهُ عَادِلُهُ حَكِيمُهُ، و ذلك برحمته التى كتبها على نفسه،أو يشك أحد أنه سوف يترك الإنسان حرا فى تدمير نفسه،و العالم من حوله دون جزاء عادل له؟ كلا:

الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ لأنهم يتصورون أن الحياه بلا بدايه و لا نهايه،و لا مالک و لا شىء.انهم يخسرون أنفسهم،و يفقدون ما من الله عليهم به من فرصه السعاده الأبديه،الى الشقاء الأبدى الخالد.

السكون و الحركه فى الكون:

[١٣]غدا حين تشرق الشمس،و ينتشر الضوء و الحراره.أذهب أنا و اولادى

و سائر أبناء القرية جميعا للحصاد.. إذ أننا قبل أشهر كنا قد ملأنا الحقل بذورا، و الآن أصبحت حقلا زاهرا و فى العام القادم سنزوّج الأولاد، و نساfer الى الحج، هذه الأفكار التى تراود ذهن فلاح بسيط لدليل على أنّ هناك ثقة بالحياه يسكن إليها البشر- بل كلّما فى الحياه- تلك ثقة نابعه من أنّ سنن الله لا تتغير رغم تطور آياته، فالشمس تطلع لتغرب، و الليل يلاحق النهار، و الضوء يهزم الظلام، ثم ينهزم أمام جيوشه، و لكن كلّ ذلك يجرى وفق نظام يطمئن اليه الإنسان و سائر الأحياء لا- فرق. من يملك النظام؟ من ينفذه؟ من يشرف عليه الآ تخرقه الأهواء النزقه؟ انه الله الذى يهيمن على السموات و الأرض، و هو يسمع و يعلم فلا يهرب من سوط عدالته و سلطان تدبيره شىء سبحانه:

وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَ النَّهَارِ وَ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ وَ الْمُقَابَلَةُ الْمُبْدَعَةُ بَيْنَ اللَّيْلِ وَ النَّهَارِ مِنْ جِهَةٍ، وَ بَيْنَ السَّكُونِ مِنْ جِهَةٍ ثَانِيَةٍ مُقَابَلَةً تَوْضِحُ بَعْدَى السَّكُونِ وَ الْحَرَكَةِ فِي الْحَيَاةِ الْوَاحِدَةِ الَّتِي يَهَيِّمُ عَلَيْهَا الرَّبُّ.

دوافع الإيمان:

[١٤] قلنا- و نكرر- إنك حين تعرف حقيقته أنّ لله ملك السموات و الأرض، تعطيك هذه المعرفة آفاقا جديده من العلم، و هذا واحد منها: إنك تجلس لتفكر. إذا كان الله هو مالك السموات و الأرض. فلما ذا لا تتخذة صديقنا و صاحبنا، و قائدنا و ولينا. نجبه و يحبنا. أو ليس هو الذى يملك- فيما يملك- رزقنا. و هو بذلك لا يطالبنا بئمن، فنحن لا نطعمه. بل هو الذى يطعمنا؟! هناك توجه السؤال التالى الى نفسك:

قُلْ أَعْبُدُوا اللَّهَ الَّذِي تَتَّخِذُ لِيَأْتِيَا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ هُوَ يُطْعِمُ وَ لَا يُطْعَمُ وَ يَأْتِيكَ الْجَوَابُ وَ بِكُلِّ بَسَاطَةٍ:

قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ تقول نفسك، و تقول لك كل حقائق الحياه: كلا. ان من الأفضل لك الخضوع لله، و ليس لأحد سواه.

[١٥] و غدا حين يجازى الرب عباده المذنبين، كيف نهرب من جزائه العادل و هو ذو القوه التى سخرت السموات و الأرض؟ قُلْ إِنِّي أَخَافُ أَنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ [١٦] إِنَّ الرِّحْمَةَ الَّتِي شَمَلْتَنَا فِي الدُّنْيَا وَ الَّتِي ظَهَرَتْ آثَارُهَا فِي كُلِّ مَظَاهِرِ الْحَيَاةِ. هذه الرحمة كيف تفوتنا، و تتحول في الآخرة بسبب أعمالنا الفاسده الى عذاب.. أو ليس هذا جنون؟ مَنْ يُصْرَفُ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ رَبُّهُ لِأَنَّهُ هَدَاهُ إِلَى الْحَقِّ، وَ أَلْزَمَهُ كَلِمَةَ التَّقْوَى، وَ رَحِمَهُ لِأَنَّهُ غَفَرَ لَهُ ذُنُوبَهُ الْبَسِيطَةَ، لِأَنَّهُ أَطَاعَ اللَّهَ فِي أَعْظَمِ الْعِبَادَاتِ:

وَ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ أَنْ تَرَسُو سَفِينَةَ الْإِنْسَانِ عَلَى شَاطِئِ السَّعَادَةِ الْأَبَدِيَةِ بِرَحْمَةِ اللَّهِ.

إشاره

وَإِنْ يَمْسَسِكَ اللَّهُ بَضُرًّا فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسِكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلِيُّ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٧) وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ
الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ (١٨) قُلْ أَى شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلْ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَ إِنَّكُمْ
لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنِّى بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ (١٩)

هدى من الآيات:

إن كنت تبحث عن المصالح الحقيقيه لذاتك أو لمجتمعك، فإن بيد الله سبحانه أزمه الكون كله، فإذا مسك الله بضر لا يستطيع الناس و لو اجتمعوا أن ينقذوك منه -إلا باذنه- وإن أنعم عليك نعمه، فإن الله وحده القادر على إبقاء أو إزالة النعم عنك..

و إن كنت تخشى طوفان الأحداث، و تبحث عن ركن شديد تأوى اليه، فإن الله هو القاهر فوق عباده و يدبر شؤونهم بحكمته و خبرته..

و ان كنت تبحث عن الحقيقه، فإن الله هو الحق، و هو أكبر شهيد...

بينات من الآيات:

و هو القاهر فوق عباده:

[١٧] إنك تحب نفسك و تبحث عن مآمن لها عن الشركاء، و تبج عن مصدر

الخير لها، فاعلم بأن الله هو الذى يقدر لك الخير و الشر معا، و انه لو قدر الله لك أمرا فانه لا أحد يملك تغيير أقدار الله، و إن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو حين يصيبك المرض و يشتد حتى تشعر بمسه. آتئذ يستيقظ ضميرك، و يتوجه الى الله القادر على كشف المرض عنك، بينما قد تكون قبل ذلك غافلا عن ربك.

وَ إِنْ يَمَسُّكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَ حِينَ تَشْعُرُ بِلَذَّةِ الْخَيْرِ الَّذِي يَهْبِطُ عَلَيْكَ مِنْ دُونِ جَهْدِكَ لَا تَطْغَىٰ.

لأن الله الذى قدر لك الخير قادر على أن يسلبه منك، كما أنه قادر على أن يزيدك خيرا، أو حتى على أن يحوله الى سوء فى النهايه..

و التعبير القرآنى يؤكد على كلمه، المساس للدلاله على الضر الذى يشعر بألمه الفرد، و الخير الذى يحس بلذته..

[١٨] و الله يقهر عباده، و يخضعهم لمشيئته شاءوا أم أبوا. إنه يقدر لهم السبات فلا- أحد منهم يغلب النوم على ذاته الى ما لا نهايه، و يقدر عليهم الموت و هم كارهون، و يأخذهم على تطبيق أنظمه معينه فى الحياه، لا يستطيعون الفرار منها:

وَ هُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَ لَكِن تَقْدِيرَ اللَّهِ لِلْبَشْرِ لَيْسَ عِبْثًا، بَلْ وَفَّقَ حَكْمَهُ بِالْعَهْ، وَ خَبِرَهُ أَزْلِيَهُ.

وَ هُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ فَإِذَا عَلِمْتَ بِأَنَّ اللَّهَ الْقَاهِرَ، فَلَا تَخَفْ! لِأَنَّ اللَّهَ حَكِيمٌ فَإِذَا سَلَّمْتَ الْأُمُورَ إِلَيْهِ، فَانهُ سَيَلْغُكَ إِلَى شَاطِئِ الْأَمَانِ...

[١٩] تتلاحق الأحداث، وتترى الظواهر، وتجرى سفينه الحياه فى بحر عالى الموج، عاصف الريح، ولكن وراء تلك الظواهر أنظمه حكيمه تمسكها، والله من وراء تلك الأنظمه يمسك زمامها ويوجهها، فالله هو ضمير الكون-الذى لا يخلو منه مكان-تجد آثاره فى قطرات المطر الزاخر، فتجد وراء كل قطره-قدرته. حكمته.

هيمنته.سلطانه.نعمته.رحمته.و فضله-والأرض حين تهش لقطرات المطر تشربها، وتحتضن حبات القمح تداعبها، حتى يتفجر الحقل روعه و خضره و نعيما، ان هناك يتجلى الله الحق.. فى السماء، والأرض و الدواب..

كل شىء شاهد على ذاته، الشجر يشهد على ذاته بالمساحه التى يأخذها من الأرض، و من الفراغ، وبالثمر الذى يقدمه لك، ولكن الله لا-يغيب عنه شىء، لأنه وراء كل شىء. انه الذى يمسك كل شىء بما أعطاه من الحركة و الفاعليه و السنن و الأقدار، فالله شاهد على كل شىء، و حاضر عند كل شىء، و كل شىء آيه له، لأنه منه و معه و اليه، فالله إذا أكبر شهادته من أى شىء:

قُلْ أَى شَىءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَ بَيْنَكُمْ انه يدل على ذاته بذاته، و يدل على كل شىء، انه يعطيك السمع و البصر و البصيره، و يتجلى بآياته فى مهرجان الحياه حتى تعيش معه فى كل لحظه و مع كل شىء. يبقى أنت الذى قد تغيب عن ربك (دون أن يغيب عنك) انه قريب المسافه، بينك و بينه لحظه الالتفات و التوجه، و لكى لا تغيب عنه، و لكى تتكامل ذاتك الى مستوى العيش مع ربك. أرسل الأنبياء، و زودهم بالكتاب لينذرك لأن الإنذار أقرب الطرق الى قلب البشر ان البشر غافل بطبعه، و سلاح الخوف أفضل وسيله لخرق حجب الغفله عن قلبه.

وَ أَوْحَىٰ إِلَيَّ لِهَذَا الْقُرْآنِ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَ إِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَىٰ قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ إِنِّي لَا أَرَىٰ أَثَرًا يُذَكِّرُ لغيرِ اللَّهِ سبحانه، فكيف يمكنني أن أشرك بالله؟ إنني لا أشهد بغيرِ اللَّهِ، و إنني أحارب بكلِّ صراحة ما تشركون.

إشاره

الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٢٠) وَ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (٢١) وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَائُكُمْ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ (٢٢) ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فَتَنَّهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ (٢٣) أَنْظِرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَ ضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (٢٤)

هدى من الآيات:

الحق-كالركن الشديد-تعتمد عليه إذا اعترفت به و صدقته، أما الباطل فهو سراب، لا وجود له الا فى خيال من يؤمن به، فهو الذى يعتمد عليك، و يكلفك عناء.

و القرآن حق تعرفه كما تعرف أبناءك، فكما أن أبناءك امتداد لشخصيتك، تستعين بهم فى حياتك، كذلك القرآن انه من يكذب بالقرآن، أو يخلق لذاته كتابا كاذبا يفقد هذه قدره الهائله و لا ينال السعاده بتلك الاكذوبه.

و فى الآخره تتوضح الحقيقه كامله. إذ يضل عن الكفار الشركاء فلا ترى لهم أثرا، و آئذ يتبرأ منهم المؤمنون و هم أيضا يحلفون بالله انهم لم يكونوا يؤمنون بهم، و لكن هل ينفعهم ذلك اليوم هذا التبرى.. كلا.

حول هذه النقاط-تتحدث آيات هذا الدرس.

علاقه القرآن بالشخصيه الانسانيه:

[٢٠] الكتاب نعمه من الله على المؤمنين، و المؤمنون يعرفون قدر الكتاب. إذ أنه بالنسبه إليهم كما أبناءهم، يعرفونه انه حقيقه كما الأبناء حقيقه، و أن-ملامحه، بيناته و متشابهاته، ناسخه و منسوخه، بصائره و أحكامه-واضح لهم، كما هي ملامح أبنائهم الذين هم أقرب الخلق إليهم، و أنه يزيدهم قوه و أملا، كما الأبناء يزيدون الآباء قوه في الحاضر، و أملا في المستقبل، و أهم من ذلك كله أن الأبناء هم امتداد لشخصيه الأب، يجد الأب فيهم صوره ثانيه من ذاته، و مرآه لقدراته و قيمه، و تحقيقا لإرادته، و كذلك القرآن يبلور شخصيه المؤمن، و يحقق ذاته، و يصبح إذا عرفه الإنسان صوره عن قيمه و تطلعاته و مستقبله.

من هنا فان الكفر بالقرآن يساوى الكفر بالشخصيه الانسانيه، و بالتالى يعنى خسران الذات و فقدانها، انك حين تفقد-لا سمح الله-ابنك تشعر و كأنك قد خسرت جزءا من ذاتك، بيد أنك حين تكفر بكتاب الله فأنتك تخسر نفسك أيضا.

الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ

و لَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ :

[٢١] حين يكذب المرء بآيات الله لا يعيش فى فراغ، بل يبحث عن أراجيف يؤمن بها و كأنها آيات من الله، بل و يبدأ المرء فى خلق الأراجيف، أو تقليد آباءه أو مجتمعه فى الايمان بها، و افترائها على الله، ثم يكفر بآيات الله الصحيحه، و بذلك يكون أظلم الناس، إذ قد يكون مجمل سلوك الشخص صحيحا، و لكنه ينحرف فى جانب من حياته، أو فى بعض الأوقات فحسب، أما من يتخذ مسيره منحرفه و يؤمن

بتهج خاطئ، فانه لا يخطو خطوه الا و يتعد عن الحق بقدرها، و يظلم نفسه و الآخرين، و إذا كان الظالم لا يسعد بالظلم فكيف بهذا الذى يبنى كل حياته على الظلم من بدايتها حتى نهايتها؟! وَ مَنْ أَظْلَمَ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ [٢٢] الحق تعيش عليه، و الباطل يعيش عليك، فأنت الذى تصنع الباطل، و تجهد نفسك فى الدفاع عنه، و لكنه يزول دون أن ينفعك فى ساعه العسر، بينما الحق يبقى ينصرك دون عناء منك.

و عند ما تبلى السرائر فى يوم القيامة و تتعري الحقائق. آتئذ تكتشف ان الباطل يضيع عنك، فلا تجد له أمرا—و كذلك كان فى الدنيا—إلا أن أهل الباطل يخلقون الباطل بأساطيرهم و بخيالاتهم، فيزعمون: انه موجود فعلا، كما لو أنك ترى سرابا فى الصحراء تحسبه ماء، و انما هو سراب، لا وجود له إلا فى بؤبؤه عينيك.

وَ يَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ فإلتفت المبطل يمنه و يسره فلا يجد لهم أثرا.. [٢٣] آتئذ يتراجع عن شركائه، و يحلف بالله: انه لم يتخذهم بديلا عن الله و عن الحق! ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فَتِنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ هكذا خدعوا و ضلوا و أضلوا. هذه كانت نتيجة ضلالتهم و فتنتهم و خداعهم.

إنهم يتبرءون من الشركاء. إذا لماذا لا يتبرءون عنها اليوم. و قبل فوات الوقت؟!

[٢٤] و كانت عاقبه هؤلاء أنهم كفروا بالباطل الذى كانوا يؤمنون به، و حلفوا الايمان المغلظه أنهم لم يكونوا-حتى فى السابق- يؤمنون به، أما الباطل فقد ضل عنهم، و لم يبق له أثر.

أَنْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَيَّ أَنْفُسِهِمْ بِالْأَمْسِ كَانُوا مَتَحَمِّسِينَ لِلْبَاطِلِ، وَ الْآنَ يَنْكُرُونَهُ، وَ يَكْذِبُونَ عَلَيَّ أَنْفُسَهُمْ بِهَذِهِ الْأَفْكَارِ.

وَ ضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ دَعْنَا إِذَا لَا نَخْلُقُ أَصْنَامًا نُوْمِنُ بِهَا، وَ لَا نَفْتَرِي عَلَيَّ اللَّهُ أَفْكَارًا بَاطِلَةً نَدَانُ بِهَا .

إشارة

وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كَلِمًا مِنْهُ لَعَنُوا بِهَا حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (٢٥) وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (٢٦) وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نَكَذِّبُ بِالآيَاتِ رَبَّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢٧) بَلْ يَدَا لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (٢٨)

اللغة

٢٥]أكنه]:الاكنه جمع كنان،و هو ما وقى شيئا و ستره،و استكن الرجل من الحر،و اكنن استتر.

[وقرا]:الوقر الثقل فى الاذن،والوقر-بكسر الواو-الحمل.

٢٦]ينأون]:النأى البعد،و منه أخذ النوى و هو الحاجز حول البيت لثلا يدخله الماء.

هدى من الآيات:

فى سياق الآيات التى توضح عوامل الكفر النفسى،أتى هذا الدرس لىبين:أن مجرد الاستماع الى الحق لا يكفى للايمان به،إذ ان المهم هو قلب الإنسان الذى لو لم يرك من عوامل الانحراف فان أذنه تثقل،و عينه لا تبصر،و لسانه لا يلهج الا بالجدل و البهتان-فمثلا-لا يفرق صاحب القلب المريض بين الرساله الجديده، و بين الأساطير القديمه،و هؤلاء لا يبتعدون عن الحق فقط،بل و ينهون الناس عنه و هم لا يعرفون قيمه الحق،و أنه يساوى أنفسهم.

و فى يوم القيامه يدين هؤلاء أنفسهم على فعلتهم السابقه و التى تمثلت فى الكفر بالحق بالرغم من وضوح أمامهم،و لو ردوا الى الدنيا لعادوا الى كفرهم،و السبب هو ان الكفر ليس نتيجه غموض فى الحق،أو عدم صحه آياته،بل هو نابع من مرض فى قلوبهم و ما دام المرض موجودا فان التوبه الظاهريه لا تكفى.

العوامل النفسيه للكفر:

[٢٥] بالرغم من ان الإنسان يملك العقل و السمع و البصر، و بالرغم من أن آيات الحق و علاماته و دلائله واضحة للعقل، فان ذلك لا- يكفى فى ايمان الشخص بالحقيقه، إذ أن هناك إرادته حره فوق العقل، توجه العقل و الاحساس، و فى الطرف الآخر هناك النفس البشريه المليئه بالعواطف و العقد و الأمراض. من حب الذات، الى الاهتمام بالمجتمع، الى الاسترسال مع التقاليد.

فاذا اختار البشر بإرادته الحره جانب النفس و أهوائها و عقدها و تقاليدھا و امراضھا، فانھا سوف تلغى دور العقل عنده، و تسد منافذ الاحساس لديه، و تغلف قلبه بكثافه حتى لا يتسرب اليه نور الحقيقه.

وَ مِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَ جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ إِذْ أَنْ الْأَحْسَاسَ وَحْدَهُ لَا يَكْفِي، فَقَدْ تَسْمَعُ آيَهُ وَ لَكِنْ كُنْتَ بِحَاجَةِ إِلَى قَلْبٍ مُتَفَتِّحٍ حَتَّى تُؤْمِنَ بِهَا، فَمِثْلًا أَنْكَ بِحَاجَةِ إِلَى عَدَمِ الْأَيْمَانِ الْمَسْبُوقِ بِكَذِبِ الْآيَةِ، وَ الْأَفَانِكِ لَا تَرَى حَاجَةَ لِلتَّفَكِيرِ فِيهَا، وَ بِحَاجَةِ إِلَى سَكِينَةٍ نَفْسِيَّةٍ، وَ هُدُوءٍ دَاخِلِيٍّ يَسْمَحُ لَكَ بِالتَّفَكِيرِ فِي الْآيَةِ، وَ كُلِّ ذَلِكَ غَيْرَ مُوجُودٍ عِنْدَ الْكَافِرِ.

بل قد يتسبب الكفر فى أن يتبدل احساس الشخص أيضا، فيشعر أن فى اذنه وقر، و فى عينيه ضعف، إذ ما دام القلب مغلق عن فهم الحقيقه، فانه لا يشعر بحاجه الى استخدام الاحساس.

وَ فِي آذَانِهِمْ وَقُرًّا أَى ثَقَلًا لَا يُمْكِنُهُمْ أَنْ يَسْمَعُوا بِوُضُوحٍ.

وَإِنْ يَرَوْا كَلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ إِنْ الْقَلْبُ الْمَغْلَقُ يَجْعَلُ أَحَاسِيسَهُ فِي خِدْمَةِ انْغِلَاقِهِ، وَ أَفْكَارِهِ الْمَيْتَةِ، فَالْأَذْنَ تَثْقُلُ عَنْ سَمَاعِ الْحَقِيقَةِ، وَ الْعَيْنُ تَعْمَى عَنْهَا، وَ اللِّسَانُ يَجَادِلُ وَ يَغَالِطُ فِيهَا.

[٢٦] الحق هو ضمان حياه النفس، و تحقيق الذات يتحول فى عين هؤلاء الى بيع ينهون الناس عنه، و يبعدون عنه بأنفسهم، و بذلك يخسرون ما به حياتهم و شخصيتهم و استمرار كيانهم.

وَ هُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَ يَتَأَوَّنَ عَنْهُ وَ إِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَ مَا يَشْعُرُونَ لَا يَشْعُرُونَ أَى خَسَارِهِ كَبْرَى تَلْحَقُهُمْ بِانْتِعَادِهِمْ عَنِ الْحَقِّ.

على شفير الهاويه:

[٢٧] و حين يمس المكذبون العذاب يدركون مدى الخساره التى لحقتهم بترك الحق.

وَ لَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَىٰ الدَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَ لَا نُكَذِّبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَ نَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ حين يشتد المرض بانك البكر، و يشرف على الهلاك، يعمل انشد فكرك بسلامه بعيدا عن مؤثرات الخطأ فمثلا: آنشذ لا تفكر فى أن الدكتور القريب من بيتك صديقك، و أنك تستحى منه، و لهذا تفضله- مثل سائر الأوقات- على غيره من الأطباء، و لا تزعم أن طيب الأسره الذى تعودت عليه خير من غيره، و لا تنظر الى أقوال الناس فتتبعهم بالرغم من علمك بأنهم لا يعقلون، بل تبحث عن طيب

حاذق يخرج مريضك من دائره الخطر حتى و لو كان عدوك،فأنك تذهب اليه صاعرا ذلك لأنك آتئذ تبحث فقط و فقط عن الحقيقه.بعيدا عن أى اعتبار آخر.

[٢٨]و حين يشافى الله ابنك من المرض الخطير،فان كل تلك الاعبارات السخيفه تعود إليك.لماذا؟لأنها راسخه فى ذهنك،و ما استطعت أن تنظف نفسك من آثارها،كذلك حال الكفار حين يقفون على النار يتمنون لو يعودون الى الدنيا، فيصححون أخطاءهم،و لكن هل يفعلون ذلك.كلا.

بَلْ بَدَأَ لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ أَي ظهرت لهم الحقائق التى أخفوها عن أنفسهم و عن الناس تعمدا.

وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ إِذْ أَنْ نَفُوسِهِمْ مَرِيضَةٌ وَ لَآ تَزَالُ تَعَانِي مِنْ انْغِلَاقٍ،فلا بد إذا من تطهيرها،و فتح منافذها على نور الحقيقه.

إشاره

وَقَالُوا إِن هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ (٢٩) وَلَوْ تَرَى إِذِ انقَضُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ قَالَ أَ لَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبَّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ (٣٠) قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمْ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ أَلَا لَسَاءَ مَا يَزُرُونَ (٣١)

اللغه

٣١ [بغته]: كل شيء أتى فجأه فقد بغت.

[يا حسرتنا]: الحسره شده الندم.

[ما فرطنا]: التفريط التقصير و أصله التقديم، و الإفراط التقديم في مجاوزه الحد، و التفريط التقديم في العجز و التقصير.

[أوزارهم]: الوزر الثقل و اشتقاقه من الوزر و هو الجبل الذى يعتصم به، و منه قيل وزر فهو موزور إذا فعل به ذلك، و حيث أن

الذنوب ثقلا تسمى أوزارا.

هدى من الآيات:

إن النظره القاصره التى تحصر حياه الإنسان بالدنيا.إنها مسئوله الى حدّ بعيد عن كفر الإنسان بالحق،و فوق ذلك ان أمام عين البشر غشاوه من زينه و شهوات تمنعه عن الايمان بالآخره،و لكن ألا يتصور البشر أنه غدا حين يواجه الحق بكل عنفه و قدرته و هيمنته، فما ذا يمكن ان يفعل حين يقف أمام الله ليرى النار اللاهبه؟! حينها يندم على تكذيبه فى الدنيا للقاء ربه فى الآخره،و حينها يجر آهات الحسره على ماضيه الذى خسره،و يثقل ظهره بذنوبه.

بينات من الآيات:

اشاره

[٢٩]دعنا نعقل الحقيقه قبل فوات الأوان.الحقيقه هى ان الدار الدنيا ليست سوى لعب و لهو و ما الحياه الحقيقه الا فى الآخره لمن اتقى ربه من هنا قال ربنا سبحانه:

وَقَالُوا إِن هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ

و هذه كما سبق -و ان قلنا- أصل الفساد الفكرى عند الإنسان..

كيف تستوعب الغيب؟

[٣٠] إذا قدمت إليك تفاحه، فأردت أن تعرفها جيدا، فلا بد أنك تقلبها من أطرافها، وإذا فكرت فى شراء بيت فانك تتفقد جميع جوانبه، أما إذا أردت التعرف على حادثه اجتماعيه أو ظاهره طبيعيه، فان عليك أن تبحث عن مبتدئها و نهايتها، عن أولها و آخرها، فلرب حادثه أولها خير و عاقبتها شر، و لرب ظاهره تبدء نافع و تنتهى ضاره مفسده، و العكس صحيح، كذلك الحياه لا تعرف بنيانها، و مرسى سفينتها، و ساعه قيامتها، و كل حادثه أو ظاهره تدخل ضمن اطار الحياه تقاس هى الاخرى بهذا الميزان. أى بنهايه الدنيا. ذلك ان مصير ركاب السفينه متعلق بمصير السفينه. كذلك سفينه الحياه تتعلق بها كل الحوادث التى تقع ضمنها.

و القرآن الحكيم يدعنا أبدا نتصور نهايه الحياه لنعرف بدقه أكثر ذات الحياه، و ما بها من احداث، و بالتالى ليكون لدينا مقياس نستطيع أن نحكم بسببه على الاحداث حكما سليما.

و السؤال: لماذا يستخدم القرآن أسلوب التصوير فى هذا الجانب؟.

الجواب: لأننا من الناحيه العلميه قد نكون مقتنعين بالغيب و بالعاقبه أو حتى بالقيامه و لكن ثقل الشهود و حضور الأحداث و الظواهر التى نعيشها الآن تمنعنا عن التوجه الى الآخره، و هنا نحتاج إلى قوه التصور لنعبر فوق جسره إلى شاطئ الغيب، هناك حيث لا يثقل أحاسيسنا حضوره الفعلى، لذلك تجد القرآن يقول هنا:

وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ وَقِفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ ۖ وَرَبَّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ

انك حين تقف فوق تلّ مشرفا على رايبه، يمتد بصرك إلى ابعاد الراييه و أطرافها، و تصبح و كأن الراييه ورقه فى يدك.

و فى يوم القيامه حين نشهد آيات ربنا، هنا جهنم تلتهب نارا و عذابا، و هنالك الجنه تنبسط بنعيمها و جمالها، و هنا الميزان الحق، و هناك الكتاب الذى أحصى كل شىء. آتئذ نقف على ربنا، و تكررنا القضايا الساخنه على الايمان به، و يستشهدنا الله على نفسه تعالى: **قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ؟** **إِذَا لَوْ أَتَىٰ وَرَبَّنَا قَالَ: فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ**. إنه الحق الذى سوف نضطر الى الايمان به يوما ما، فلما ذا لا نؤمن به الآن حتى ينفعا ايماننا، لماذا نكفر به، لنذوق العذاب إذا؟

شىء من الواقع:

[٣١] ان التكذيب بالمعاد يشوش على البشر رؤيه الحقائق فى الدنيا، و يدفعه الى التكذيب بالحقائق جميعا، و يكون مثله كمن يكذب بالموت و يرى أنه لن يموت، فهو يكذب بآثار مرض السرطان، يتورم جسمه فيقول: كلا- انه لا- يدل على الموت المرتقب، يتألم جسمه و يحرقه، و لكنه يصبر قائلا: ليس ذاك دليلا على الانتهاء، فيؤكده الدكتور و سائر العقلاء ذلك، و لكنه يصبر مستكبرا على قوله. ذلك لأنه لم ينظم زاويه فكره وفق الموت الحق، فاختلطت عليه الحقائق جميعا. كذلك الذى لا يؤمن ببقاء الله يكفر بكل شىء حتى يخسر نفسه نهائيا.

قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمْ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَطْنَا فِيهَا وَ هُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ و زر التكذيب بالآخره، و زر الأعمال السيئه التى ارتكبوها بهذا السبب ألا ساء ما يَزِرُونَ .

إشاره

وَمَا الْحَيَاءُ إِلَّا لَعِبٌ وَ لَهْوٌ وَ لَلِدَّارِ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَ فَلَآ تَعْقِلُونَ (٣٢) قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَ لَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ (٣٣) وَ لَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَ أُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصِيرُنَا وَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَ لَقَدْ لَجَّآكَ مِنْ نَبِيِّ الْمُرْسَلِينَ (٣٤) وَ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ وَ لَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ (٣٥)

اللغه

٣٥[نفقا]: النفق سرب في الأرض له مخلص الى مكان آخر، و أصله الخروج، و منه المنافق لخروجه من الايمان الى الكفر.

[سَلَّمًا]: السَلْمُ الدرج و هو مأخوذ من السلامه.

اشاره

اعراض الجاحدين؟

هدى من الآيات:

لكى يبقى المؤمن جبلا أشما يتحدى الصعاب، لا بد أن يعرف حقيقه الدنيا التى ما هى سوى لعب و لهو، أما دار الاقامه الدائمه فهى الآخره، و من ذلك أن قلب الرسول يجب ألا يتأثر بسبب كفر المشركين الذى يجحدون بآيات الله حين يكذبون به، و هدفهم ليس الرسول بقدر ما هو الحق و الايمان، و كما يكذب الظالمون اليوم بالرسول فأن رسل الله السابقين قد كذبوا أيضا، و لكنهم صبروا حتى آتاهم نصر الله.

و هل هناك حيله أخرى للرسول فى الأمر. هل يسلك نفقا فى الأرض، أو يصعد بسلم الى السماء ليأتيهم بآيه، و لو فعل ذلك فهل ينفعهم؟! علما بأن الله لا يريد أن يجبرهم على الهدى، و لو شاء لفعل ذلك بقدرته التامه.

بينات من الآيات:

واقع الحياه و حقيقه الآخره:

[٣٢] هل نستطيع ان نحدد هدفا معقولا للحياه الدنيا لو لم نجعلها مقدمه

للآخرة، و عموما هل نستطيع ان نخطط لهذه الحياه التي تنتهى فى آيه لحظه، و ربما دون تحذير مسبق، و تتفاعل فيها عوامل و مؤثرات غير محدوده؟ ان كانت الحياه الدنيا تمهيدا للآخرة، و دوره تدريبيه لتكامل البشر، لاعداده لدخول الجنه خالدا فيها، فان كل ما فيها سوف يصبح معقولا و حكيما، و تكون الآخرة لا الدنيا هى الدار الدائمه للاقامه، و لكنها لا تكون الا لمن اتقى فى الدنيا.

وَ مَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَ لَهُوَ اللَّعِبُ هُوَ الْعَمَلُ بوعى و هدف، و لكن دون هدف حكيم، اما اللهو فانه من دون وعى أو هدف.
وَ لِلدَّارِ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ الْعقل يحكم بان الدنيا ليست بدار الاقامه، و أنها ليست هدفا نهائيا للبشرية.

لماذا الحزن؟

[٣٣] إذا كانت الدنيا قاعه امتحانات يتخرج منها المتقون بنجاح، و يستلمون شهاده الايمان، و بطاقه دخول الجنه، فعلينا ألا نحزن على الظالمين الذى يعادون الرسول، و قبل الرسول يعادون الحق، و يجحدون بآيات الله، و بالتالى يظلمون أنفسهم فلما ذا نحزن عليهم؟! قَدْ نَعَلِمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ مِنَ التَّكْذِيبِ بك و برسالتك، و لكن مهلا.

فَإِنَّهُمْ لَا يُكْذِبُونَكَ وَ لَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ

مع علم مسبق بأنه حق، فالحزن عليهم لماذا؟! [٣٤] و للرسول في الرسل السابقين أسوه حسنه، فكم قد كذبوا و كم أوذوا، و لكنهم صبروا حتى جاءهم نصر الله، و تلك هي سنه الله لا تبديل لها، و تلك هي كلمته التي لا تبديل فيها و ها هي أنباء الرسل تذكر للرسول في القرآن ليتخذ منها عبرا كافيه.

وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلٰى مَا كُذِّبُوا وَاُذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصِيرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ و منها هذه الكلمه أن صاحب الرساله حين يتعرض للصعب و يصبر، فأن الله ينصره بالتالى.

وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبِيِّ الْمُرْسَلِينَ [٣٥] و ماذا يمكن ان يفعله الرسول ما دام الظالمون يجحدون بآيات الله بعد اليقين بصدقها ظلما لأنفسهم، فهل يسلك طريق ٣ فى الأرض خارقا للعاده، أو يصعد الى السماء بسلم، ثم يأتيهم بآيه، أو ليست الآيات الهابطه كافيه لهم لو كانوا يريدون الايمان بالله و برسالاته؟! و إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ و كان ذلك عظيما فى عينك.

فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغَىٰ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ اى تفتش عن طريق تحت الأرض أو فوق السماء من أجل الحصول على آيه خارقه لكى يؤمنوا بها، فأن استطعت أن تفعل ذلك فافعل، فهل فيها فائده؟

نعم هناك سبيل واحد لهدايه هؤلاء، وهو أن يجبرهم ربهم على الهدى، ولكن هل يفعل ربنا ذلك؟ كلا.. لأنه لو شاء لفعل ذلك بأهل الأرض جميعا..

وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ الَّذِينَ يَرِيدُونَ تَحْقِيقَ شَيْءٍ مَّعِينٍ بِالرَّغْمِ مِنْ سُنَنِ اللَّهِ وَحِكْمَتِهِ، وَ أَنْظَمَهُ الْكُونَ الَّتِي جَعَلَهَا اللَّهُ، ان تَتَحَرَّكَ فِي حُدُودِ هَذِهِ السُّنَنِ الْقَائِمَةِ، وَ الْاَنْظَمَةَ السَّائِدَةَ فِي الْكُونَ.

اشاره

إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ (٣٦) وَقَالُوا لَوْلَا نَزَّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنَزِّلَ آيَةً وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٣٧) وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَلُكُمْ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ (٣٨) وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمُّوا وَبُكِّمُوا فِي الظُّلُمَاتِ مَنْ يَشَاءُ اللَّهُ يُضِلُّهُ وَمَنْ يَشَاءُ يُجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٣٩)

إشارة

و ضل الصم البكم

هدى من الآيات:

حين يعطب جهاز الاستقبال، فان كشافه الأمواج لا- تزيده الا- عطبا، و حين يموت قلب الإنسان فان المزيد من الدلائل لا تنفع صاحبها. انك ترى الكفار يطالبون بالمزيد من الآيات، و المشكله ليست فى قدره الله على أن ينزل المزيد منها، و لكن المشكله فى فائده الآيات للذين تعطل عندهم جهاز الفهم، ان نظره واحده الى الحياه و ما فيها من دابه، أو طائر فى السماء لا فرق تكفينا دليلا- على عظمه الخالق، حيث أنها جميعا تسير وفق نظام اجتماعى معين، و تنتهى الى الله، و لكن هل تكفى هذه الآيات العظيمه لأولئك الذين فقدوا قدره على التعبير لأنهم فقدوا السماع و التفاعل مع الحياه الحقيقيه؟! انهم صم بكم يعيشون فى ظلمات الجهل و الجهاله، لان الله سلب منهم نعمه العلم و الهدايه (بعد ان رفضوا الانتفاع بهما) فتاهوا فى صحراء الضلاله، أما الصالحون فقد هداهم الله الى الصراط المستقيم الذى يسير بهم الى أهدافهم الساميه من أقرب الطرق.

عند ما يعطب جهاز الاستقبال:

[٣٦] لقد زود الله عباده جميعا بالفهم، فالكل زود مثلاً- بالسمع، ولكن البعض منهم فقط هو الذى يسمع. أى ينتفع بوسيله السمع، لأنه يريد ذلك، وحين يسمع المرء نداء ربه الى الخير يستجيب لهذا النداء، فيعمل بما يأمره الله، أما حين يموت القلب و تسترخى الاراده، و يتعطل جهاز السمع، فأن الأمل مفقود فى هدايه الإنسان آنئذ. الا إذا شاء الله ذلك بمشيئته الخارقه لسنن الطبيعه، و لكن هل يفعل ذلك ربنا فى الدنيا. أم أن الله إنما يهدى الناس للحقائق بهذه الصوره فى الآخره حين يحشرهم جميعا ليحاسبهم. آنئذ لا تنفع الهدايه شيئاً.

إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ [٣٧] و لا يزال الكفار يطالبون بالمزيد من الآيات، و الله قادر على أن يستجيب لطلبهم، و لكن ما ذا ينفعهم ما داموا فاقدين لجهاز العلم؟! وَقَالُوا لَوْ لَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنَزِّلَ آيَةً كَمَا أَنْزَلَ الْآيَاتِ السَّابِقَةَ، بيد أن المشكله ليست فى قله أو كثره الآيات، بل فى العلم بها، فلو كانت عين الفرد عمياء.. فهل تنفع إضاءه المزيد من المصابيح.

وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ [٣٨] و الدليل على ان العبره ليست فى زياده الآيات، بل فى العلم بها و ادراك ما وراءها من حقائق.. الدليل الأحياء الذين لو أمعت النظر فى حياتها لرأيت أمه مثل البشر، لهم نظامهم و علاقاتهم و أهدافهم فى الحياه، ثم إنهم كما البشر يحشرون الى ربهم، أ فلا تكفى تلك الآيات العظيمة، و لكن قليلا من الناس يفهمون هذه

الآيات؟!ذلك يقول ربنا:

وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَا مِنْ مَتَحَرِّكٍ مِنَ الْأَحْيَاءِ،النملة و أصغر منها،و الفيل و الحوت و أكبر منهما.

وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا مَا ذُكِرَتْ كَلِمَةُ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ هُنَا لِلدَّلَالَةِ عَلَى التَّعْمِيمِ، كما ذُكِرَتْ كَلِمَةُ فِي الْأَرْضِ هُنَا لِنَفْسِ السَّبَبِ.

إِلَّا أُمَّةٌ أَمْثَلُكُمْ إِلَّا أُمَّةٌ مِثْلَ سَائِرِ الْأُمَّةِ الْبَشَرِيَّةِ،لَهَا انظمتها و قوانينها،و سيدها و مسودها.

فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ إِنْ الْكِتَابُ هُوَ كِتَابُ اللَّهِ،و الله لا يبالغ و لا يتطرف في كلامه،بل ان كلامه تعبير دقيق عن الحق دون زياده أبدا،لان الحق الذى خلقه الله،و يعلم أبعاده أكبر بكثير من المقدار المناسب لفهم الإنسان،على ان فهم الإنسان عظيم،و ان هذه الأمم تسير وفق نظام قدره الله في الدنيا أما في الآخرة:

ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ

وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمْ وَبُكِّمُوا فِي الظُّلُمَاتِ :

[٣٩]هذه آيات الله منتشرة في الكون،فمن ينكرها و من يكذب بها؟ انما يكذب بها من فقد تفاعله مع الحياه.فهو أصم و أبكم يعيش في ظلمات لا

يرى شيئا.

وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمُّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ الظلمات هنا هي: الجهل و الجهالة و الشهوات، و كل واحد منها حجاب بين الإنسان و بين الحقيقة، و الله سبحانه هو الذي يزود الإنسان بنور الهدايه، و مستحيل أن يصل الإنسان الى الهدايه من دون التوسل به.

مَنْ يَشَأِ اللَّهُ يُضِلَّهُ وَمَنْ يَشَأِ يُجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ

ص: ٥٩

إشارة

قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٤٠) بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ (٤١) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاَهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ (٤٢) فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٤٣) فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمُ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاَهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ (٤٤) فَقَطَّعَ دَابِرَ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٤٥)

اللغة

٤٢[البأساء و الضراء]:البأساء من البأس و الخوف،و الضراء من الضر،وقد يكون البأساء من البؤس اى الفقر.

[يتضرعون]:التضرع التذلل.

٤٤[مبلسون]:المبلس الشديد الحسره،وقيل المبلس المنقطع الحجه.

هدى من الآيات:

فى الدرس السابق ذكرنا الله بأن النقص ليس فى آيات الله، بل فى فهم الآيات و الاهتداء عن طريقها الى الحقيقه، و فى هذا الدرس يبين القرآن: كيف أن البشر قد تتطور حالته، فيصلح جهاز الاستقبال عنده، فيتهدى بهذه الآيات التى كان يفكر بها سابقا، يتهدى بها ذاتها الى الله مما يدل:

أولاً: على أن الخلل كان من عند البشر نفسه.

ثانياً: على أن الإنسان كان مخطئاً تمام الخطأ حينما كفر بربه. و لكن متى تتطور حاله الإنسان؟ تتطور حاله الإنسان عند ما يواجه الحقيقه عاريه، و بلا- غموض فى حالات مواجهه شدائد الحياه، هنالك يدعو الإنسان ربه و ينسى كل أولئك الشركاء المزعومين، و أساسا الحكمه من بعض الشدائد التى تصيب الناس هى كشف

الحقائق لهم، وإعادتهم الى فطرتهم التوحيدية النقيّة، و لكن كثيرا من الأمم السابقة قست قلوبهم، فلم تعد تتقبل حتى الصدمات القويه الآتية من الشدائد، فلا يلبثون بعد انتهاء فتره المصيبه أن يعودوا الى عاداتهم السيئه، و هناك يستدرجهم الله الجبار ببعض الرخاء حتى يفقدوا كل ما عندهم من وجدان و ايمان و هناك يأتيهم العذاب المدمر، الذي يقطع دابرهم و ينهى حياتهم.

بينات من الآيات:

و تنسون ما تشركون:

[٤٠]

جاء رجل الى الامام الصادق عليه السلام. يقول: يا ابن رسول الله دلني على ربي. فقال الامام: يا هذا هل ركبت البحر؟ قال: نعم، و هل انكسرت بك السفينه؟ قال: نعم قال: هل تعلق قلبك بشيء حيث لا سفينه تنجيك و لا سباحه تغنيك؟ قال: نعم، فقال له الامام: ذلك هو الله.

في الحالات العاديه، تتراكم ظلمات الغفله و التكبر و الجهل حول فطره البشر، اما حين يجدّ الجدد، و يواجه الخطر الحقيقي، آنئذ تنحسر الظلمات من حول القلب، و يتوسل الإنسان بربه (الحق) دون غفله أو تكبر أو جهل.

قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمْ السَّاعَةُ أَغَيْرِ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ عذاب الله المتمثل في الشدائد، و الساعه المتمثله في الخطر.

ان كل واحد منا يمر بمثل هذه اللحظات الصعبه التي يكتشف فيها ربه، و لكن بعضنا فقط يبقى يتذكر تلك اللحظات بعدئذ.

[٤١] نعم هناك يدعو الإنسان ربه، و يستجيب الله دعاءه، حينما تقتضى

ص: ٦٢

الحكمه ذلك.

بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ يَعْنِي تَدْعُونَ اللَّهَ فَقَطْ دُونَ غَيْرِهِ مِنَ الشَّرْكَاءِ.

فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ حِينَ تَدْعُونَ اللَّهَ وَتَتَوَسَّلُونَ إِلَيْهِ لِبُلُوغِ الْهَدَفِ.

إِنْ شَاءَ اللَّهُ حَسَبَ حِكْمَتِهِ يَنْقِذُكُمْ، مِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ اللَّهَ لَا يَحْتَمُّ عَلَيْهِ الدُّعَاءُ، وَلَا يُؤَثِّرُ فِيهِ، بَلْ بِرَحْمَتِهِ وَحَسَبَ حِكْمَتِهِ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ.

وَتَنْسُونَ مَا تُشْرِكُونَ مَا تَشْرِكُونَ بِهِ مِنْ أَهْوَاءٍ، وَقُوَى مَادِيهِ شَرِيرَةٍ، فَالْإِنْسَانُ يَعْبُدُ أَهْوَاءَهُ، يَعْبُدُ شَهْوَةَ الرَّاحَةِ فِي ذَاتِهِ، شَهْوَةَ النَّزْوَةِ، وَالْجِنْسِ وَالْخُلُودِ، ثُمَّ يَزْعَمُ أَنَّ قُوَى الطَّاعُونَ تُوَفِّرُ لَهُ هَذِهِ الشَّهْوَاتِ، فَيَعْبُدُ تِلْكَ الْقُوَى وَيَصْنَعُ لَهَا رَمُوزًا مِثْلَ الْأَصْنَامِ وَمَا أَشْبَهَهُ، وَرَبَّمَا لِنَدْلِكَ عِبْرَ الْقُرْآنِ الْحَكِيمِ هُنَا بِكَلِمَةٍ (مَا) لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّ مَا تَشْرِكُونَ بِهِ اللَّهُ هُوَ مِنَ الْأَشْيَاءِ الَّتِي لَا تَعْقِلُ! وَهِيَ تَعُودُ بِالتَّالِي إِلَى شَهْوَاتِ الْإِنْسَانِ، تِلْكَ الشَّهْوَاتِ أِنَّمَا يَخْضَعُ لَهَا الْبَشَرُ، وَيَخْضَعُ لِمَنْ يَمْلِكُهَا لِأَنَّهَا فِي زَعْمِهِ -تَنْفَعُهُ، وَتَحَافِظُ عَلَى وَجُودِهِ وَكِيَانِهِ، وَتَحَقِّقُ تَطْلِعَاتِهِ، فَإِذَا جَدَّ الْجَدَّ عَرَفَ أَنَّ كُلَّ تِلْكَ الشَّهْوَاتِ لَا تَنْفَعُهُ شَيْئًا، وَأِنَّمَا خَالِقُ الْبَشَرِ وَمَقْدِرُ أُمُورِهِ وَمُدَبِّرُ شُؤُونِهِ هُوَ الَّذِي يَكْشِفُ ضَرَّهُ، فَيَنْسِي كُلَّ تِلْكَ الشَّهْوَاتِ وَيَتُوبُ إِلَى اللَّهِ سَبْحَانَهُ.

حكمة الشدائد:

ص: ٦٣

من الشدائد البسيطة و حتى الآلام،التي تصيب البشر هي توعيته بحقائق الأمور بدءا من الشدائد البسيطة و حتى الآلام و إلى أن يصل إلى العذاب فالساعة، فمثلا- الحكمه من الأحساس بالجوع هو التفتيش عن مصدر الغذاء،و التحرك إليه، و من خلال الأحساس و التفتيش و التحرك تفتح أمامك أبواب المعرفة،و لو لم يكن البشر يحس بالجوع إذا لما كان يعرف جزء كبيرا من الحياه،و لم يكن يعرف الزراعه و الرّى و الصيد..إلخ،و كلما كان حصول البشر على الغذاء أسهل كلما كانت معرفته بالحياه أقل،و الألم يجعلك تحس بالحياه بشكل أعمق من ذى قبل إنك لا تعرف أساسا موقع كبدك أو كليتك أو حتى قلبك إلا بعد أن يتألم هذا العضو أو ذاك،و عندئذ تتحسس ليس فقط بوجود العضو،و أنما بأهميته أيضا،و تتشبت به أكثر.

أن المريض أشد تعلقا بالحياه،و أرهف إحساسا بأهميتها من غيره،و الشدائد فى الحياه تكشف نقاط ضعف الإنسان.سواء الفرد أو الامه،مثلا.الهزيمه تكشف عيوب الامه أكثر مما يكشفه ألف كتاب و كتاب.

و لذلك يذكرنا القرآن هنا،بأن الهدف من اصابه الإنسان بالمشاكل،هو نفس الهدف من بعث الرسالات و الرسل،ان الهدف من الرساله هي توعيه الإنسان بحقيقه العبوديه المطلقه التى يعيشها،و التى هي فى الواقع مفتاح صلاح الإنسان و قدرته و رفضه الخضوع للجبث و الطاغوت،و كذلك الهدف من الشدائد.

وَ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبُؤْسِ الَّذِي كَانُوا يَكْفُرُونَ ۚ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ۚ

وَ الضُّرَّاءِ بِالشَّدَائِدِ الَّتِي مَصَدَرُهَا غَضَبُ الطَّبِيعَةِ.إنما أخذهم الله بذلك بعد بعث الرسل،

و ربما بسبب عدم انتفاعهم بالرسالات.

أما الهدف فقد كان:

لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ [٤٣] وبالرغم مما أخذهم الله به من العذاب فأن أولئك الذين قست قلوبهم، و لم تستوعب دروس التجربه المره، عادوا بعد النكبه الى سابق أعمالهم و عاداتهم السيئه.

فَلَوْ لَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا أَي لِمَاذَا لَمْ تَلْن قُلُوبَهُمْ، و لم تعد الى حالتها العاديه، حيث تتأثر بالتجارب بعيدا عن نزوه الغرور، و ظلام التكبر.

وَ لَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ و لم تتفاعل مع الحياه، و انغلقت على مفاهيم ثابتة جامده و صخريه، و السبب قد يكون هو التمحور حول الذات، و عدم الالتفات الى الحق، و حين تكون النقطه المركزيه فى حياه الإنسان هي ذاته، تصبح حياته بعيده عن التطور ذلك لأن كل عمل يقوم به الشخص يصبح حسنا لا بشيء، و انما لأنه هو الذى عمله، و حتى لو عمل هذا الشخص عملا من دون وعى، فانه سوف يقدرسه لأنه صدر منه، و نسب الى ذاته، و هذا هو الذى يجعلك تحتفظ بالعادات السيئه، فإذا بك متعصب لها لأنها من صنع ذاتك.

وَ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ و لكن على البشر أن يعرف: أن الأعمال السيئه ليست جزءا من ذاته، و لا

ص: ٦٥

تصبح كذلك حتى و لو صدرت هذه الأعمال منه، لان الإنسان قد خلق في أحسن تقويم، و انما الأعمال السيئه هي من عمل الشيطان و من وحيه، و مما يزينه للإنسان.

أشراط العذاب:

[٤٤] لقد أتم الله حجته على هذه الفئة، أرسل إليهم رساله و رسولا، و أخذهم بالبأساء و الضراء ليكون ذلك رساله واقعيه و عمليه لهم، و لكنهم لم ينتفعوا بواحد من الحجتين.. و ها هي ساعه العذاب، فكيف يعذبهم الله؟ إن الله يمهد للانتقام بفتح أبواب الرزق عليهم من كل صوب، ثم حين يصلون الى مرحله الإشباع التام، و لا تبقى في قلوبهم ذره من ايمان يأتيهم العذاب فجأه.

فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمُ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ مما تصوروا انه خير لهم، و لم يكن خيرا، بل هو شر عظيم، ففتح الله عليهم أبواب الطعام، و الجنس و الشهرة، لأنهم لم يتقيدوا بشيء اسمه دين أو ضمير أو نظام، بل أخذوا يتمتعون بما في الحياه من دون قيد أو شرط. أسرفوا في كل ما هو لذيقا كان أو خبيثا، و أسرفوا في الجنس مشروعا كان أو شذوذا، و أسرفوا في التظاهر بالصلاح أو الفساد، و لكن الى متى تبقى موارد الطعام و الجنس و الشهرة، و كم هي قدره البشر على استيعابها؟! بالطبع أن هناك حدودا تنفذ عندها موارد الطبيعه، و تنهك قدره البشر على استيعابها، و هي التي نسميها مرحله الإشباع، و التي تنعكس على النفس في حاله (الفرح) أى الشعور بالكمال و الغنى و الإشباع، و عندها يكون السقوط المفاجئ.

حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ و يكون السقوط المفاجئ نتيجة تراكمات الإسراف الدائم، و لكن لحظه

السقوط لا يشعر بها المغرور الفرح الا بعدئذ. لذلك عبر القرآن عن حالتهم: بأنهم كانوا آتئذ مبلسين، وكانوا فى ظلام دامس.

أن مثل الامه مثل الشاب الذى يسرف فى -الطعام و الشراب و الجنس و البطش و الفساد- و يستمر لفته من الوقت حتى يشعر بأن كل لذائذ الدنيا فى متناول يده، و هو لا يدري أنّ أنواعا من المرض قد أحاطت بجسده، و أن سحبا داكنه من حقد المظلومين، و أنصار الحق تقترب منه، و فى لحظه سوداء، و ربما و هو جالس على مائده الشراب، و لذائذ الطعام، و الى جانبه فتيات الحب، و غلمان الشذوذ، و هو فى غمره من الفرح و الإشباع، فاذا بالشرطه تداهم بيته، و إذا به يشعر بأنواع الألم و هو فى غياهب السجون، و إذا به فى موقع لعنه الناس جميعا، و أخيرا يسلم الى حبل المشنقه غير مأسوف عليه.

كذلك الامه التى تنفلت من قيود الدين و الأخلاق، و تعمل بالظلم و البطش و تسرف فى كل شىء، انها تشعر بالغرور و الكبرياء، و لكن فى لحظه واحده يهجم عليها عدوها فيهزمها شر هزيمه و يذيقها الأمرين.

[٤٥] و حين تنتهى هذه الحوله ينحسر غبار المعركه عن أمه سادت ثم بادت، و لم يبق منها سوى الذكر السىء.

فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَ هَذَا الْحَمْدُ، هو حمد الناس حين يشعرون بأن كابوسا عظيما ارتفع عنهم، و هو حمد الناس حين يعرفون أن رحمه الله هى التى أنقذتهم من هذا الكابوس بفضلها العظيم.

و لو لا رحمه الله الذى أجرى هذه السنه الحكيمه إذا لبقيت الجماهير ترزح تحت نير الطغاه.

إشاره

قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَيِّمَعَكُمْ وَ أَبْصَارَكُمْ وَ خَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ أَنْظُرْ كَيْفَ نُصَيِّرُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ (٤٦) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الظَّالِمُونَ (٤٧) وَ مَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَ مُنذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَ أَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٤٨) وَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمْسُهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (٤٩) قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَ لَا أَعْلَمُ الْغَيْبِ وَ لَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعْ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَ الْبَصِيرُ أَمْ لَا تَتَفَكَّرُونَ (٥٠)

اللغه

٤٦[يصدفون]:صدف عن الشيء صدوفا إذا مال عنه،و الصدف و الصدفة الجانب و الناحيه،و الصدف كل بناء مرتفع.

هدى من الآيات:

ان الله سبحانه خلق الحياه و جعل فيها الظلمات و النور،و العذاب و المغفره، و الشقاء و الرفاه، ثم اعطى البشر مصباح العقل ليهتدى به الى سبيل النور و المغفره، و الرفاه،و فى وسع ربنا القدير أن يسلب نعمه العقل،فيتخبط البشر فى سبيل الحياه، كما أنه قادر على أن ينزل عليه العذاب جهره دون أن يملك البشر له ردًا.

و لكن الله برحمته الواسعه لم يكتف بنعمته العقل،بل بعث أنبياء مبشرين و منذرين و وعدوه بأنه ان آمن فان مصيبات الحياه لا تصيبه،و إلا فان عذاب الله سوف يمسه و يشبع أحاسيسه ألما و رعبا.

و عند هذه النقطة تنتهى وظائف الأنبياء،فأنهم لم يأتوا ليتخذوا قرارات بديلا عن الناس،أو يكرهوا الناس على اتباع الحق،أو ليوفروا لهم الخير،كلا.بل انما جاؤوا ليساعدوا الإنسان على الرؤيه السليمه،ثم يكون هو المسؤول عن ذاته.و علاقه هذا المدرس بما مضى هو بيان أن:الضراعه الى الله لا تختص بحين نزول المصيبه،

بل نحن بحاجة الى الضراعه الى الله فى كل حال.

بينات من الآيات:

أسباب الهدايه:

[٤٦]لكى نصل الى الغايه-أيه غايه-لا بد ان يتوفر لدينا شرطان:

الاول:أن يكون أمامنا سبيل معبد ينتهى الى تلك الغايه.

و الثانى:ان نملك الرؤيه الكافيه التى نكتشف بها ذلك السبيل،و الله هو الذى سنّ السنن،و عبّد السبل أمام البشر للوصول الى اهدافه النبيله،و هو الذى زود الإنسان بالرؤيه الكافيه،اما لو سلبه هذه الرؤيه فإنه سوف يصطدم بالعقبات أو يقع فى واد سحيق،و ليس فقط يضل الطريق.

قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَ أَبْصَارَكُمْ وَ خَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ السَّمْعُ جَاءَ مَفْرَدًا فِي آيَاتِ الْقُرْآنِ.ربما لان ما يسمعه الإنسان أقرب الى العقل،و أنسب الى المجردات و الكلبيات.خصوصا إذا فسرنا السمع ب(الأقوال)التى نسمعها من الآخريين حول الحقائق،بينما الأبصار جاء جمعا فى القرآن،ربما لان ما يراه الإنسان متنوع و مختلف،و أقرب الى الواقعيات الخارجيه.

و سواء ما يسمعه البشر و ينقل اليه من تجارب الآخريين و علومهم،أو ما يراه بنفسه و يحصل عليه من علم و خبره بصوره مباشره،فإنهما نافذتان الى القلب أو (الدماغ)فلو ختم الله على قلب البشر،و أزال عنه مقاييسه العقليه،و مسبقاته الفطريه،فما ذا يبقى عنده؟انه سوف يفقد القدره على تعقل الاحاسيس،و يتجمد على ما يسمعه أو يراه دون أن يستنبط منهما حقائق جديده،أو يستدل بهما الى ما

ورائهما من حقائق و واقعات. انه آتذ يرى شعله النار دون أن يعقل أن الشعلة نذير الحراره، و الحراره سبيل الاحتراق و الانتشار، و انها لا تنشأ بلا سبب، و ان الذى أشعل النار كانت له دوافعه و أهدافه. كالا.. إنه يرى الشعلة فقط، و قد يقع فيها و يحترق. كذلك الذى يختم الله على قلبه. يقف فى فهم الحقائق عند حد معين دون أن يصل الى الجذور البعيده لها. يرى الفقر دون أن يعرف ان النظام الاقتصادى هو وراء الفقر. يرى المرض دون أن يعرف أن اللامبالاه فى الوقايه هى السبب. يرى العجز الحضارى دون أن يهتدى الى ان الطاغوت هو السبب المباشر أو غير المباشر له، و هكذا يبقى فى العذاب أبدا.

أَنْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ ان الله يبين الآيات بصورة تفصيليه و واضحه و مع ذلك:

ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ أى أنهم بعد تصريف الآيات و بيانها تراهم يعرضون عنها كأنها لا تهمهم.

بينما لو فكروا قليلا لأدركوا أن الإله الذى يتضرعون اليه عند ما تضرب سفينتهم الأمواج العاتيه التى تحمل فى طياتها الموت، أو عند ما يلفهم التيه فى الصحراء و يستبد بهم خوف الموت، ان هذا الإله هو الذى وفر لهم هذه الحياه الآمنه، و أنه لو شاء لسلب الامان من حياتهم، بل أن كل لحظه تمر بهم هى لحظه رعب، و لو لا أمان الله القادر لسلب منهم رحمته، و آتذ يكون أبسط شىء فى الحياه سببا فى هلاكهم فلما ذا لا يتضرعون إلى ربهم فى هذه الأوقات التى يزعمون إنها عاديه؟! [٤٧] أو تكون للإنسان أوقات عاديه، و أخرى استثنائيه، أو لا يحتمل البشر فى

كل لحظه- أن يأتيه الموت- أو ينزل عليه عذاب المرض أو المسكنه؟! أو لماذا لا؟ أو ليست الحياه مليئه بهذه المفاجآت، كم لحظه حملت معها رعبا و دمارا. ونحن لم نكن نحسب لها حسابا، أو كنا نعرفها و لكن دون ان نستطيع مقاومتها، فلما ذا الغرور إذا؟ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً) فتدل على العفن، مما يدل على ان قدره الإنسان محدوده حتى و لو كان بالغاً و شاملاً.

هَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الظَّالِمُونَ إذا كان عذاب الله لا مرد له، بقدرتنا المحدوده، اذن كيف نحصل على الامان؟ يجب القرآن على هذا السؤال و يقول: ان الله حكيم لا- يعذب عباده بلا- سبب.. إنما يعذب الظالمين. فإذا أحببت تجنب عذاب الله، فبإمكانك أن تعدل و تستقيم، و لا تظلم نفسك و لا الآخرين، حتى تحصل على الأمان.

مهمات الرسل و واجب الناس:

[٤٨] ثم ان الله لا يعذب الظالم مباشرة و دون أن ينذره مسبقا برساله و رسول، بيد أن البشر قد يخطأ في فهم دور الرسول، فيزعم أن الرسول إنما يأتي ليكون مسئولا بدلا عنهم، أو ليجبرهم على الهدى، أو حتى ليؤمن لهم عمليا كل وسائل السعاده، بيد أن الله سبحانه يفند هذا الزعم قائلا:

وَمَا نُزِيلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَ مُنذِرِينَ

و الهدف من بعثهم هو توفير وسيله الامان فى النفوس و فى الواقع.

فَمَنْ آمَنَ وَ أَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لَا هُمْ يَحْزَنُونَ لَا خَوْفٌ لَهُمْ مِنَ الْمُسْتَقْبَلِ. مما يدل على وجود حاله السلام فى أنفس الذين يملكون الايمان و العمل الصالح، و لا هم يحزنون من الماضى مما يدل على وجود السلام فى الواقع الخارجى، حيث لا يصيبهم ما يحزنون بسببه.

[٤٩] تعرضنا للبشاره، أما الإنذار فيتلخص فى عاقبه الذين يكذبون بآيات الله، و لا يهتدون الى الحقائق بالرغم من وجود دلائل واضحه تدل عليها، و هؤلاء مصيرهم العذاب.

وَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ و لم يقل القرآن بما كانوا يكذبون ربما لأن التكذيب قد لا يكون وحده سببا للعذاب، بل الفسق الذى ينتهى اليه التكذيب هو السبب المباشر للعذاب، و الفسق هو تجاوز احكام الله.

حكمه الرسالات:

[٥٠] الهدف من بعث الرسل ليس سلب المسؤليه عن الناس، و إلقائها على عاتق الرسل، كما كان يزعم البعض، و قد تطرف فريق من الناس فزعموا أن أنبياء الله مكلفون بتوفير السعاده لهم و الرفاه، و أنه لو لم يكن النبى مالكا للذهب و الفضه فسوف لا تكتمل نبوته، بينما القرآن بين أن الهدف من بعث الرسل هو توفير الرؤيه للإنسان، و عن طريق الرؤيه الواضحه يكون البشر قادرا على معرفه الطريق السليم، و حين يسير فيه يصل الى الفلاح:

قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ إِنْ خَزَائِنُ اللَّهِ مُوجُودَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفِي الْإِنْسَانِ نَفْسُهُ.

وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ إِلَّا بِقَدْرِ مَا يَعْلَمُنِي اللَّهُ بِحِكْمَتِهِ، بَلِ الْعِلْمُ يَحْصُلُ لَكُمْ بِالتَّعَلُّمِ وَتَرْكِيهِ النَّفْسِ.

وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ حَتَّى أَقُومَ بِالْخَارِقِ لِلْعَادَةِ إِلَّا فِي حُدُودِ تَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ، فَأَنَا بِدَوْرِي مُحْتَاجٌ إِلَى الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَسَوْفَ أَمُوتُ.

إِنْ أَتَّبَعِ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ فَمَا عِنْدِي هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَذَلِكَ عَنْ طَرِيقِ الْوَحْيِ، فَلَوْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ أَيْضًا تَسْتَفِيدُونَ مِنْ ذَلِكَ الْوَحْيِ. إِذَنْ لِاصْبِحْتُمْ سَعْدَاءً. وَلَإِنِّي أَتَّبِعُ مَا يُوحَى إِلَيَّ فَأَنِي أُسِيرُ فِي الْحَيَاةِ بِصِيرَةٍ، فَأَعْرِفُ سُنَنَ الْحَيَاةِ وَأَتَّبِعُهَا، فَأَسْعِدُ فِي الْحَيَاةِ.

قُلْ هَيْلٌ يَسِيْرَتِي الْمَاعْمِي وَالْبَصِيْرَةُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ وَ لِأَنَّهُ لَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَ الْبَصِيْرُ، فَإِنَّ نِعْمَةَ الْبَصَرِ هِيَ أَفْضَلُ نِعْمَةٍ، وَ مِنْ أَرَادَ الْبَصَرَ فَلْيَتَفَكَّرْ، فَإِنَّ الْفِكْرَ مِرَآةٌ صَافِيَةٌ.

وَ أَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (٥١) وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ (٥٢) وَ كَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَ هَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أ لَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ (٥٣) وَ إِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٥٤) وَ كَذَلِكَ نَفْصَلُ الْآيَاتِ وَ لِنَسْتَبِينَ سَبِيلَ الْمُجْرِمِينَ (٥٥)

هدى من الآيات:

من الذى يتقى ربه فيصبح صالحا؟ إنه الذى يوجه خوفه نحو المصدر الحقيقى للخوف و هو الله. حيث يحشر اليه الإنسان وحيدا، دون أن ينفعه هنالك ما يتخذه من دونه أولياء، أو شفعاء.

الا- أن هناك رجالا- يحجبهم عن الحقيقه التفاف البسطاء و الفقراء حولها، يقولون: إما أن يطرد هؤلاء أو لا- نقبل بالحقيقه، و القرآن نهى عن طرد أهل الحق لان ذلك ظلم، علما بأن حساب كل واحد على نفسه.

ان الله امتحن الناس فى الدنيا بأنواع التنافس و منها أنه امتحنهم ببعضهم فاذا بالمؤمنين المسارعين الى الحق ينافسهم المستكبرون الذين يعادون الفقراء بصفه دائمه، و بما أن المؤمنين يبادرون الى الايمان، فان المستكبرين يتخذون ذلك ذريعه لعدم الايمان بالله، و على الرسول أن يخفض جناح الرحمه للمؤمنين، و يعدهم بالمغفره.

هذه هي الآيات التي يفصلها الله سبحانه لكى يتميز طريق المؤمنين عن طريق الكافرين.

بينات من الآيات:

أصحاب الرساله:

[٥١] ان هناك شريحه خاصه فى المجتمع هى التى تستجيب لرساله السماء، و هم الذين يخافون من العاقبه، فعلى الرسول أن يفتش عنهم و يندرهم من عاقبه الضلاله دون النظر الى طبقتهم، أو لونهم أو مستوى ثقافتهم.

وَ أَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ هَؤُلَاءِ الْأَوْلِيَاءُ الَّذِينَ يَتَّخِذُهُمُ الْبَشَرُ فِي الدُّنْيَا قَادَةً، و يحتمون الى ظلالهم لا- ينفعون فى الآخره شيئاً، كما أنه فى الآخره ليس هناك من يستطيع ان يفرض على الله سبحانه إرادته، فلا- شفيع من دون إذنه، و ما دام الله حكماً مطلقاً، فيجب أن يخشاه البشر من بعد أن يندر، و الهدف من الخوف ليس الجمود و الانسحاب بل الهدف هو التقوى.

لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ وَ هُوَ الْعَمَلُ الْإِيجَابِيُّ فِي سَبِيلِ الْخَلَاصِ مِنَ الْعَاقِبَةِ السُّوِّءِ فِي الْآخِرَةِ.

[٥٢] و المؤمنون يشكلون حزبا واحدا مقياسه العمل الصالح، من دون أثر للفوارق الماديه فيه، و على الرسول ان يكون علاقات مبدئيه مع افراد هذا الحزب، و ألا يطرد واحدا منهم بأى اسم كان.

وَ لَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ

فما داموا متوجهين الى ربهم فان الاخطاء الصغيره التي يرتكبونها بسبب عدم وضوح الرؤيه عندهم، أو عدم علمهم بالأحكام الشرعيه فانها سوف..تغتفر.

مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ ان هذه الاخطاء البسيطة لا تسجل في حسابك أنت، و ليس لأحد ان يحاسبك عليها بمجرد أنك تقربهم إليك.

فَتَطْرُدُهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ ان طرد هؤلاء يعتبر ظلما لهم، و لا يبرر هذا الطرد أن بعض المؤمنين القدماء أو بعض المتكبرين ينتقدونك أو حتى يتعدون عن الدين بهذا السبب.

حقيقه الانتماء:

[٥٣] و التنافس بين الناس متجذر في فطرتهم حتى في الدين، حيث يسعى كل فريق أن يكون هو الأقرب الى صاحب الرساله، و أن يكون الفريق الثاني الأبعد، و لذلك فان كثيرا من الناس يتعدون عن الدين فقط لهذا السبب، لذلك حذر القرآن الحكيم من هذا الأمر و قال:

وَ كَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَ هَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا فكَانُوا هُمُ السَّابِقِينَ إِلَىٰ اعْتِنَاقِ الدِّينِ الْجَدِيدِ؟! و يجب الله على هذا السؤال الذي يطفح بالاستنكار.

أ لَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ نعم ان الله من على هؤلاء بأن وفقهم لقبول الرساله، و لكن ليس عبثا، بل لأنه

عرف أنهم أشكر من غيرهم لنعمه الرساله،و أى فرد كان شاكرًا لله و عارفاً بحق الرساله فسوف يوفقه الله سبحانه أيضاً.

[٥٤] ان انتماء البسطاء الى الرساله لا- يعنى الغض عن سيئاتهم،بل الإغماض عن تلك السوابق،التي ارتكبوها بجهاله،وقبل أن يصل مستوى وعيهم و ايمانهم و تربيتهم حداً كافياً يردعهم عنها،أما فى المستقبل فليس عليهم التوبه فقط،و انما إصلاح أنفسهم أيضاً.

وَ إِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ أَي انكم فى أمان،لا خوف عليكم.

كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ و هذه هى الرحمه التى كتبها الله على نفسه،و هذا هو السلام،فالإسلام يجب ما قبله،و يبدأ الفرد معه حياه جديده.

[٥٥] و مع العفو العام الذى تقتضيه هذه الرحمه الربانيه الشامله،يتميز المجرمون المعاندون عن الجاهلين.حيث أن الفرد الذى يستمر فى الخيانه و الظلم،و لا يصلح نفسه بعد العفو العام فليستعد للعقوبه.

وَ كَذَلِكَ نَفُصِّلُ الْآيَاتِ وَ لَتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ الذين يختارون طريقاً غير طريق الله بعمد و سبق إصرار.

اشاره

قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ لَا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذَا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ (٥٦) قُلْ إِنِّي عَلَيَّ بَيْنَهُ
مَنْ رَبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ مَا عِنْدِي مَا تَشْتَعِجُلُونَ بِهِ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ (٥٧) قُلْ لَوْ أَنَّ عِنْدِي مَا
تَشْتَعِجُلُونَ بِهِ لَقُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ (٥٨)

هدى من الآيات:

لكى لا يحجب التنافس الشخصى طائفه من الناس عن الايمان بالله، أو ضح الدرس السابق، ان استقبال الرسول للمؤمنين المبادرين لا يجب ان يكون متأثرا بانتماء آتهم السابقه أو طبقتهم أو ما أشبهه، إنما بسبب الايمان وحده، و لذلك فلا داعى للقلق، و فى هذه الآيات بين فى القرآن الحكيم: إن الدعوه إلى الرساله ليست دعوه إلى شخص الرسول. إذ أن القيمه إنما هى للمبدء و حتى شخص الرسول شملتته الدعوه كأى فرد آخر، فهو قد نهى عن عباده الشركاء، و أنه لو اتبع أهواء الناس لأصبح ضالا، و ما عند الرسول إنما هو من عند الله، و العقوبه التى يهدد بها الرسول أعداء الدين قادمه من عند الله، و الحاكم فيها هو الله الذى يوضح الحق، و يفصل أهله عن أهل الباطل، و ذلك بحكمه الحاسم، أما الرسول ذاته فهو أن كان مالكا للعقوبه ملكا ذاتيا و كان بشرا متفوقا على سائر البشر. إذا لأنزل العقوبه بأعدائه.

كلا أن الله هو الذى يحكم و هو أعلم بالظالمين من سائر البشر.

بينات من الآيات:

من هو الرسول:

[٥٦] كَأَيِّ بَشَرٍ آخَرَ نَهَى اللَّهُ عَنِ عِبَادَةِ الشُّرَكَاءِ مِنْ دُونِهِ.

قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالنَّهْيُ عَنِ عِبَادَةِ هَؤُلَاءِ يَعْنِي التَّمَرُّدَ عَلَى سُلْطَاتِ الطَّاغُوتِ الْمَتَمَثِّلَةِ فِي السُّلْطَانِ الْجَائِرِ، أَوْ شَيْخِ الْعَشِيرَةِ الْفَاسِدِ، أَوْ رَئِيسِ الْحِزْبِ الْمَتَجَبِّرِ، وَهَكَذَا.

قُلْ لَا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَ كُمْ أَي لَا أَتَّبِعُ الْجَبْتَ أَيْضًا.

قَدْ ضَلَلْتُ إِذَا حِينَ أَعْبَدُ الطَّاغُوتَ أَوْ أَتَّبِعُ الْجَبْتَ.

وَإِنِّي أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ آنَذَا، ذَلِكَ أَنْ هَدَايَهُ اللَّهُ لِلرَّسُولِ لَيْسَتْ ذَاتِيهِ، بَلْ قَائِمَةٌ بِاللَّهِ، وَهِيَ تَزُولُ إِذَا انْحَرَفَ الرَّسُولُ -حَاشَا لِلَّهِ- عَنِ الْخَطِّ الْمُسْتَقِيمِ.

اطار التحرك الرسالي:

[٥٧] وَيَتَمَيَّزُ الرَّسُولُ عَنِ الْكُفَّارِ، بِأَنَّهُ عَلَى بَيْنَةٍ وَاضِحَةٍ مِنْ رَبِّهِ، أَنَّهُ يَعْرِفُ الطَّرِيقَ جَيِّدًا بَيْنَمَا أَوْلَئِكَ لَيْسَ فَقَطْ لَا يَعْرِفُونَ الطَّرِيقَ بَلْ وَيَكْذِبُونَ بِذَلِكَ تَكْذِيبًا.

قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ

اما العقوبه فهى عند الله و أنتم تستعجلونها،و الله هو الذى يحكم بها لأنه يقصّ سبحانه الحق،و يعلم لمن هو.

مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ □ □
الحق الكلى العام على أقسام الحياه،أو الموضوعات الخاصه المنفصله عن بعضها،و الله سبحانه(خير الفاصلين)ربما معناه أن الله خير من يقضى لتطبيق الحق على الشخص المعين.

و لنضرب مثلا يقرب الى أذهاننا معنى الآيه فالحق الكلى مثلا هو أن العداله قيمه صحيحه و لكننا بحاجه الى قصّ هذا الحق،و ذلك بتقسيمه الى مختلف الموضوعات.مثل أن العداله تقتضى إنزال العقوبه على من يظلم صاحبه،و لكن من الذى ظلم صاحبه؟هذا الأمر بحاجه الى فصل(يسمى بالقضاء)و الله هو الذى يفصل و يحدد بالضبط من الذى ظلم،و من الذى وقع عليه الظلم.

[٥٨]إذا فالله هو الذى يملك العقوبه،و يعلم الحكم،و هو خير من يقضى،أما الرسول فهو بشر لو لم يكن رسولا من الله،و كان يملك العقوبات التى يهدد بها الأعداء.إذا كان يستخدمها عمليا فى دحر الأعداء.

و هو حين لا- يفعل فان ذلك يدل على أنه رسول متصل بالله،و أنه لا يقول و لا يعمل شيئا إلا بأذنه،بل هو لا يملك شيئا من دون الله سبحانه.

قُلْ لَوْ أَنَّ عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَقُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ □ □
على القانون و لست انا.

اشاره

وَ عِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقِهِ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبِّهٖ فِي ظُلُمَاتٍ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَأْبَسُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ (٥٩) وَ هُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٦٠) وَ هُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَ هُمْ لَا يُفْرَطُونَ (٦١) ثُمَّ رُدُّوْا إِلَىٰ آلِهِ مَوْلَاهُمْ الْحَقُّ لَا لَهُ الْحُكْمُ وَ هُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ (٦٢)

اللغه

٦٠[جرحتم]:الجرح بالجرحه،و الاجتراح الاكتساب.

هدى من الآيات:

المستقبل عند الله، و ما يفتح اليه عنده، فهو الذى يخلقه حسب ما يشاء، و يجرى عليه سننه و لذلك فهو يعلم ماذا سيكون، فاذا تحقق علم بأصوله و قواعده العامه و الحكيمه، كما علم بجزئياته الصغيره، فمن الورقه التى تدبل و تسقط، الى الحبه التى تدفن فى باطن الأرض يعلمها الله سبحانه، بل كل شىء حى أو ميت. مسجل فى كتاب مبين.

و علم الله محيط بالحياه، فهو الذى يسترد فى الليالى روح الإنسان، و يراقبه على أعماله فى النهار حيث يبعثه ليستمر الى فتره محدوده، فاذا انتهت يعود البشر الى الله حيث يخبره بما فعل.

و كما علم الله فكذلك قدرته محيطه بالعباد. انك من دون هذه القدره التى تحيط بك و تحفظك من المهالك تتعرض لألف مشكله و مشكله. اما الموت فهو لا يحدث بعيدا عن قدره الله بل عبرها، فرسل الله هم الذين يتوفونك دون أن يخرجوا.

عن حدود الطاعة لله، و تعود الى الله حيث يحاسبك على أعمالك و هو أسرع الحاسبين.

بينات من الآيات:

مظاهر علم الله:

[٥٩] للغيب (و هو المستقبل) مفاتيح. أى سبل تؤدي اليه، أو أسباب تحققه، و كلها عند الله فى قبضته و تحت هيمنته، و لأن الله هو الذى يفتح الغيب يحققه و يخلقه فانه عالم به دون الخلائق لأنهم دون مستوى الخلق.

وَ عِنْدَهُ مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَ إِذَا كَانَتْ مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ عِنْدَ اللَّهِ فَكَيْفَ بِحَقَائِقِ الشُّهُودِ، أى التى تجرى الآن فى الواقع، ان ربنا محيط بها علما.

وَ يَعْلَمُ مَا فِي الْبُرِّ وَ الْبَحْرِ علما شهوديًا محيطًا، و ربما نستطيع القول: أن الاحاطه بعلم الشهود هو أحد مفاتيح الغيب الاساسيه، و المفتاح الثانى هو: القدره على قهر الواقع كما يأتى فى الآيه التاليه، و لكن كيف العلم بالشهود مقدمه لفتح غيبه؟ الجواب: العلم بالجراثومه-مثلا- فى جسد الإنسان طريق لمعرفة المرض، و العلم بالفيتامين أو المضاد الحيوى طريق لمعرفة الدواء، و العلم بالمرض و بالدواء طريق للسيطره عليها، و لصنع المستقبل و هو الغيب.

وَ مَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقِهِ إِلَّا يَعْلَمُهَا أَنَّهَا وَرَقُهُ وَ سَقَطَتْ، و لكن علم الله محيط حتى بتلك اللحظه. لحظه

الموت و السقوط بالنسبه الى الورقه التافهه التى لا أهميه لها أبدا.

وَ لَا حَبَّةٌ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ إِلَّا حَبَّةٌ صَغِيرَةٌ مُسْتَوْرَةٌ فِي الْأَرْضِ الَّتِي لَا يَأْبَهُ بِهَا أَحَدٌ، وَ لَكِنَّ اللَّهَ مَحِيطٌ بِهَا عِلْمًا.

وَ لَا رَطْبٌ وَ لَا يَأْسٌ الرطب كالحبه النشيطة التى تنمو، و اليابس كالورقه التى سقطت. إن احاطه علم الله بالحبه و بالورقه الميتة
أنما يعنى علمه بابتداء كل شىء و انتهائه، بيد ان علم الله ثابت، و مسجل فى كتاب واضح و مفصل.

إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ

آيات قدره الله:

[٤٠]

ما هو النوم؟ و كيف يحدث؟

لا تزال معلوماتنا ناقصة فى هذا الحقل، الا ان المعلوم أنّ جزء من قدرتنا و حيويتنا نفقدها عند المنام، و السؤال: هل نفقد ذلك أم
أن قدره عليا هى التى تنتزعها منا؟ بالطبع ان الله هو الذى يتوفى الأنفس، أو بتعبير آخر يستعيد جزء مما وهبه للإنسان عند النوم، و
كلما وهبه له عند الموت. لأنه صاحب تلك القدره العليا المهيمنة على كل جزء، بل كل جزء من الحياه.

وَ هُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ

ص: ٨٧

فسبحان من يملك ناصيه الطبيعه، يوجهها كيف يشاء.

وَ يَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ كُلِّ أَثَرٍ يَخْلُقُهُ الْإِنْسَانُ بِعَمَلِهِ يَعْلَمُهُ اللَّهُ، بِالرَّغْمِ مِنْ أَنْ الْإِنْسَانَ نَفْسَهُ، قَدْ لَا يَعْلَمُهُ، وَ كَمَا أَنَّ اللَّيْلَ سَكُونٌ وَ وَفَاهُ، فَإِنَّ النَّهَارَ تَحْرُكٌ وَ تَعَبٌ. حَيْثُ يَشْعُرُ الْفَرْدُ بِأَنَّ قَوَاهُ تَجَدَّدَتْ وَ اسْتَعَدَّتْ لِتَحْقِيقِ الْاَهْدَافِ.

ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى سَتَبْقَىٰ دَوْرَهُ اللَّيْلِ وَ النَّهَارِ مُسْتَمْرَهُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى يَبْلُغُهُ الْفَرْدُ شَاءَ أَمِ أَبِي، وَ هَذَا الْأَجَلَ يَنْتَهَىٰ إِلَى اللَّهِ.

ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ وَ عِنْدَ مَا يَعُودُ النَّاسُ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَسْتَيْقِظُونَ وَ كَانَتْهُمْ كَانُوا فِي سَبَاتٍ، يَبِيدُ أَنَّ الشَّرِيطَ الرَّقِيبَ قَدْ سَجَلَ كُلَّ أَحْدَاثِ حَيَاتِكُمْ، فَيَعَادُ عَلَيْكُمْ.

ثُمَّ يُبَيِّنُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ [٦١] سَبَقَ الْقَوْلُ: إِنَّ لِلْغَيْبِ مَفْتاحِينَ، أَحَدُهُمَا الْعِلْمُ وَ الثَّانِي الْقُدْرَةُ أَوْ الْقَهْرُ، وَ اللَّهُ عَالِمٌ وَ قَاهِرٌ.

وَ هُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَ قَهَرَ اللَّهُ لَيْسَ كَقَهْرِ الْعِبَادِ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ مَوْقَاتًا وَ مَحْدُودًا، إِنَّمَا قَهْرُهُ دَائِمٌ وَ شَامِلٌ وَ مُطْلَقٌ، وَ رَبِّمَا لِذَلِكَ عَبْرَ اللَّهِ عَنْهُ (فَوْقَ عِبَادِهِ) كَمَا أَنَّ قَهْرَهُ إِنَّمَا هُوَ (بِالْقُوَّةِ) وَ لَا يَجِبُ بِالضَّرُورَةِ أَنْ يَكُونَ (بِالْفِعْلِ) فَاللَّهُ بِالرَّغْمِ مِنْ أَنَّهُ قَاهِرٌ فَهُوَ رَحِيمٌ، وَ لِذَلِكَ فَهُوَ لَا

يستخدم قهره أحيانا كثيره، و من هنا فلربما لو عبر القرآن ب(و هو القاهر عباده) كان المعنى مختلفا و ناقصا. ان قهر الله ليس قهرا فعليا، بل قد يكون بالقوه فقط، و الدليل يكمن فى أن الله سبحانه يحيط البشر بالحراس الذين يحفظونه.

وَ يُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً الْغُلَافِ الْوَاقِي الَّذِي يَحِيطُ بِالْفَضَاءِ لِكَيْ لَا تَسْقُطَ نِيَّازِكُ السَّمَاءِ عَلَى رُؤُسِنَا، وَ الْجِبَالِ الرَّاسِيَةِ الَّتِي تَحْفَظُ الْأَرْضَ مِنْ أَنْ تَمِيدَ بِأَهْلِهَا، وَ الْمَحِيطَاتِ الْوَّاسِعَةِ الَّتِي تَمْتَصُّ الْغَازَاتِ. كُلُّهَا رَسَلَ اللَّهُ الْحَفَظَةَ لِعِبَادِهِ، وَ الْعَدَدُ الْمَتَشَرِّهِ فِي جَسْمِ الْبَشَرِ الَّتِي تَسَبَّبَ تَوَازُنُهُ، وَ طَرِيقُهُ تَوْزِيعَ الْمَوَادِّ، وَ نِظَامُ مَقَاوِمِهِ الْمَيَكْرُوبَاتِ الَّتِي يَقُومُ بِهَا جُنُودُ الْجَسْمِ، وَ الْكُرِيَّاتِ الْبَيْضِ وَ.. وَ مِائَاتِ الْأَنْظُمَةِ الدَّقِيقَةِ الَّتِي تَحْرُسُ عَلَى سَلَامَةِ الْجَسْمِ - كُلُّهَا حَفَظُهُ.

و لكن لا- ينتهى حفظ الله للبشر على هذه الأمور. بل هناك آلاف الحوادث التى يتعرض لها الإنسان فى حياته مما يحتمل ان تكون الواحده منها كافيه للقضاء عليه، فقد يقع الإنسان من علو، أو حتى يعثر فى الطريق فيرتطم بالأرض و لو صادف و اصطدم به حجرا اذن لقتل. و قد تنحرف سيارته بسبب الطبقة الثلجيه يمينا أو يسارا لتضطدم بالسياره الاخرى، و لو زاد انحرافها لارتطمت بالجبل، و لو كان انحرافها بعد كيلومتر لوقعت فى الوادى لضيق الشارع، ترى كم احتمالا- للهلاك كان قائما انجاك الله منه بلطفه. إن حفظه الله هم الذين يحيطون بك و يدفعون عنك المهالك، و لكن الى متى؟ الى حين موعدك، حيث يصبح الحفظه أنفسهم قابضين لروحك.

حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا

و السؤال الذى يقفز الى الذهن. أفلا- يخطأ الحفظه، فيقصرون أو يعجزون عن الحفظ حيناً، أو يتوفون الفرد قبل مواعده؟ يجب القرآن: كلا.

وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ فَاللَّهُ هُوَ الَّذِي يَرْسِلُ حَفَظَتَهُ، وَيُحَوِّلُهُمْ إِلَى قَابِضَى أَرْوَاحٍ، فَمَنْ هُوَ الْمَوْلَى الْحَقُّ لِلْإِنْسَانِ؟ وَمَنْ هُوَ الْقَائِدُ وَالْمَعِينُ؟ أَلَيْسَ اللَّهُ؟! [٦٢] إِنَّا سَنُعَوِّدُ إِلَيْهِ لِيَحَاسِبَنَا عَلَى هَذِهِ الْفِتْرَةِ الْبَسِيطَةِ الَّتِي أَمَهَلْنَا فِيهَا دُونَ أَنْ يَهْمَلَنَا.

ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقُّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ الْحَكْمُ هُوَ اسْتِعْمَالُ حَقِّ الْوَلَايَةِ.

وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ أَى الْقَضَاءِ الَّذِينَ يَقْضُونَ بِالْحَقِّ.

إشارة

قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَئِنْ أَنْجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنُكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ (٦٣) قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمَنْ كُذِّبَ ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ (٦٤) قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبَسَكُمْ شِيعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ أَنْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ (٦٥)

اللغة

٦٣[تضرعا]:معلنين الضراعه و التذلل.

[خفيه]:مسرين بالدعاء.

٦٥[يلبسكم]:لبست عليهم الأمر ألبسه إذا لم أبينه،و خلطت بعضه ببعض،و لبست الثوب ألبسه،و اللبس اختلاط الأمر و اختلاط الكلام،و لابست الأمر خالطته.

[شيعا]:الشيع الفرق،و كل فرقه شيعه على حده،و شيعت فلانا اتبعته،و التشيع هو الاتباع.

هدى من الآيات:

فى الدروس السابقة.بين القرآن جوانب من هيمنه الله على الكون،و البشر بالذات ليزداد الإنسان معرفه بربه،و حبا له،و تقربا اليه،و يستجيب بإرادته الحره لواقع الولايه الحق التى تنتشر فى الحياه و فى أنفسنا آياتها و علائمتها.

و تتابع الآيات فى هذا الدرس فى ذات الموضوع من زاويه فطريه يعيشها كل منا فى حياته،و ذلك عند ما ترتفع غشاوه الكبر و الغفله،و يتحسس الإنسان بالخطر فيصبح آنئذ أقرب الى الحقيقه.

و لكن متى نشعر بالأمان المطلق.أو لسنا فى لحظه الأمان يساورنا الخوف من تجدد ظروف الخطر،أو ليس الله الذى ندعوه عند ما تحيط بنا ظلمات البر و البحر، و ندعوه تضرعا و خفيه،و دون رياء قادرا على ان ينزل علينا عذابا من السماء أو الأرض،أو حتى من أفراد البشر إذا لماذا ندعو الله فقط فى أوقات الكرب الظاهر، و لا ندعوه فى كل حاله ما دامت كل لحظه تحمل فى طياتها مخاوف كروب

عظيمه؟! و لكنّ فهم هذه الحقيقه بحاجه الى فقه و معرفه عميقه بالحقيقه.

بينات من الآيات:

مع الله:

[٦٣] اصطدمت سيارتنا بأخرى فى طريق صحراوى بعيد..و الوقت بعد منتصف الليل و السحب المتراكمه حجبت و مضات النور المنبعثه عن النجوم، و أخى قطعت ذراعاه، و أخذ الدم يتفجر منه كالميزاب، بعضنا أخذ يحاول إيقاف الدم النازف، و البعض الآخر أخذ يتطلع فى الظلام لعله يبشر بمرور سياره. و لكن لا شىء نستطيع فعله و لا ندرى هل تأتى سياره أم لا؟ الكل حبس أنفاسه فى صدره، و يكاد لا يتكلم إلا همسا. القلوب تحلق فى فضاء آخر، اتصلت بعالم آخر بالله القادر على أن يرسل من عالم الغيب سياره أو يلهمنا طريقه ما لوقف الدم.

فجأه يعلو صراخ: حبل. حبل. صاحب الجرح النازف يدعو رفاقه بجلب الحبل، ثم يأمر بشدّه فوق جرحه.. بشده، ثم ينقطع الدم الا قليلا، و من وراء الأ-كمه يشع الفضاء بنور خافت، ثم ينكشف هذا النور عن سياره، و سرعان ما نحمل جريحنا الى أقرب مركز للطوارئ، و تنتهى الأزمه، و يتبين بعدئذ أن خبرا خاطئا دعا سياره النجده التى قدمت ان تسرع الى المنطقه، و لولاها لما جاءت، و بالتالى تبين أن يدا غيبية هى التى دفعتها الى هذا الطريق. ترى كيف كنا نعيش فى تلك اللحظه، ما الذى كنا نقوله لله فى مناجاتنا الخفيه؟ كنا نقول لربنا: فرّج كربنا يا ربنا. فسوف تجد اىّ عباد شاكرين سنكون نحن، سنترك الذنوب مره واحده، و لا نظلم الناس، و نتصدق بأموالنا فى سبيلك.

يا رب يا رب يا رب! كنا نشعر أنّذ بأننا عباد ضعفاء لا نملك لأنفسنا شيئا، و الله رب

قوى رحيم، مالك لكل شىء.

ان هذه القصة غير الواقعيه هي حقيقه تقع بأشكال مختلفه لكل واحد منا، و لكنه سرعان ما ينساها، و الله سبحانه يذكرنا بها في هذه الآيه قائلاً:

قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حِينَ تَكَادُ الْأَمْوَاجُ الْعَاتِيَهُ ابْتِلَاعَ قَارِبِ الصَّيْدِ الَّذِي نَمْتِطِيهِ.. وَ لَا أَمَلُ إِلَّا بِاللَّهِ.
تَدْعُوهُ تَضْرُعًا وَ خُفْيَةً بِسَبَبِ شِدَّةِ الْخَوْفِ نَقُولُ لِرَبِّنَا آتِنَا:

لَئِنْ أَنْجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنُكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ [٦٤] قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَ مِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ حيث اننا مستعدون بعدئذ لأن ننسب خلاصنا حتى الى الصدفة دون أن نذكر أن الله هو الذى أنقذنا، و سوف نشكر سياره النجده، و نشكر الطريق المعبد، و نشكر حتى مبضع الجراح دون أن نشكر ربنا الذى كان المنقذ الحقيقى، و الذى توسلنا إليه حين اشتد بنا الكرب.

احتمال عوده الخطر:

[٦٥] و لكن هل انتهى الخطر.. أفلا- نعود الى ذات المشكله، أو لا- يمكن ان يهبط علينا عذاب، من السماء أو الأرض.. فمثلا هل نأمن ان ينفجر البر كان قريبا من قرينتنا فيقذفنا بحمم، أو يزلزل الأرض بنا فتخسف بنا و بما نملكه.

قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ

و هناك خطر آخر و أشد هو خطر الناس بعضهم ضد بعض، حيث يختلفون على بعضهم.

أَوْ يَلْبَسَ كُفْمَ شَيْعَاءَ وَ يُدِيقَ بَعْضَ كُفْمِ بَأْسِ بَعْضٍ كَمِ دَمَرَتِ الْحُرُوبُ الْبِلَادَ، وَ أُجْرَتِ أَنْهَرُ الدَّمِ. هل كان يستطيع هذا الفريق أو ذاك النجاه من ويلاتها؟! ان الله هو القادر على اقامه الصلح العادل أو إلقاء الرعب المتبادل في نفوس المتخاصمين لئلا يبادر أحدهما بالهجوم على الآخر حتى يأذن الله بغير ذلك.

أَنْظُرْ كَيْفَ نُصَيِّرُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ان الله يوضح آياته حتى لا يكون البشر سطحيا ينظر الى ظواهر الحوادث بل يتعمق الى أغوارها البعيدة، و يبقى على البشر أن يتذكر بتلك الآيات.

اشاره

وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ لَنْسُتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ (٦٦) لِكُلِّ نَبِيٍّ مَسْتَفْتَرٌ وَ سَوْفَ تَعْلَمُونَ (٦٧) وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ
فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِينَكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٦٨) وَمَا
عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَلَكِنْ ذِكْرٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (٦٩)

هدى من الآيات:

فى الدروس السابقة حدثنا القرآن الحكيم عن مجموعه من الآيات، و فى هذا الدرس يبين اختلاف الناس فى موافقهم من هذه الآيات، و هو موقف الرفض أو اللامبالاه أو الاستجابة، فهناك من يكذب بالحق من قوم الرسول، بيد أن الرسول لن يغنى عنهم شيئاً بحجة أنهم قومه، أما الحق فإنه إذا جاء موعد تطبيقه فى المستقبل فسوف يعلم الناس ماذا يعنى و ما هى أهميته.

و من الناس من يتخذ آيات الله هزوا يتسلى بها دون أن يتخذها و يعمل بها.

هؤلاء يجب التباعده عنهم لأنهم قوم ظالمون، و قد ينخدع الإنسان الساذج بمظهرهم حيث يتظاهرون بأنهم لا يخالفون الحق، و أنتذ يجب أن يقرر ألا يعود الى القعود معهم.

و منهم من يستجيب للحق، و يتقى الله و هم السعداء الذين سوف يغفر الله لهم.

التكذيب و المسؤولية:

[٦٦] للإنسان امام الحق ثلاثه مواقف. موقف الاستجابه أو الرفض أو اللامبالاه، و في هذه الآيه يناقش القرآن الموقف الثانى فيقول:

وَ كَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَ هُوَ الْحَقُّ قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ فالإنسان نفسه هو المسؤول المباشر عن قبوله أو رفضه للحق و ليس مبلغ رساله الحق، و الواقع أن علم الإنسان بمسؤوليته أمام تصرفاته سوف يساعده كثيرا على اتخاذ الموقف السليم، أما لو زعم أن بإمكانه أن يبرر موقفه، و يلقى بمسؤوليته على هذا أو ذاك، فإنه سيكون سببا لعدم الاهتمام بالحق.

[٦٧] و القرآن يهدد المكذبين بما يرونه فى المستقبل. حيث يتجلى الحق فى شكل واقع قائم و يقول: ان النبأ الذى عبر عنه الله و هو الحق سيتحقق فى الوقت المحدد له سلفا، و آنئذ يعلم الإنسان كم خسر بتكذيبه بالنبأ. ان الدكتور يخبرك بوجود خليه فاسده فى رجليك و يأمرك بالاسراع فى العلاج، و لكنك قد تكذبه فيتخذ المرض خطه المتصاعدا، فينتشر السرطان فى الجسد فى الوقت المحدد له حسب سنه الحياه، و أنظمه الجسم و آنئذ يعلم الإنسان مدى خطئه عند ما كذب بالنبأ، كذلك رساله الله مجموعها أنباء صادقها، و لها أوقاتها المحدده (مستقرها) التى تتحقق فيها، و انئذ يعلم المكذب حقيقه الأمر.

لِكُلِّ نَبَأٍ مُّسْتَقَرٌّ وَ سَوْفَ تَعْلَمُونَ

تميع الأحكام:

[٦٨] و الموقف الثانى من الحق و هو موقف اللامبالاه، و استخدام الآيات ماده

للحديث اللامسؤول، أو حتى للتسليه.

و هؤلاء أخطر من المكذبين إذ أنهم يميعون الحق، و يفرغون الحديث من محتواه الحقيقي، و يحولونه الى ماده للجدل، و قضاء للوقت، و المباره و إظهار الوجود، و بذلك يغيرون نظره الإنسان الى الكلام من نظره عبريه هدفها العمل، الى نظره ذاتيه هدفها التسليه، و لذلك يجب مقاطعه مجالس هؤلاء و عدم الخوض معهم فى جدلياتهم الفارغه، و تركهم و حدهم يأكل بعضهم بعضا.

وَ إِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ و لكن كثيرا ما ينسى الإنسان هذا الحكم بسبب تظاهر هذه الفئه بالعلمانيه و أنهم إنما يبحثون عن الحقيقه بهذه الجدليات. لذلك ذكرنا القرآن بخطوره النسيان قال:

وَ إِمَّا يُنَسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ لقد سمى الله هؤلاء بالظالمين بالرغم من تظاهرهم بالبحث عن الحقيقه. لأن من يبحث عن الحق فعلا سيجده من دون تعب و لا حاجه إلى الجدل.

الموقف السليم:

[٦٩] أما الموقف السليم من الحق فهو: الاستجابه له عمليا، و هى التقوى، و احترام الحق الذى نبأ به الله، و حينئذ يكون خط المتقى سليما فى اتجاهه العام بالرغم من بعض الانحرافات البسيطة، أو بعض الاخطاء التكتيكيه، و مع سلامه الخط العام لا يحاسب الشخص بشيء من اخطأ البسيطة.

وَ مَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ

و هدف الوحى من هؤلاء هو إىصالهم الى مستوى التقوى، و ابقاؤهم على هذا المستوى، و ذلك عن طريق تذكرهم المستمر حتى لا يغلبهم نعاس النسيان، أو سكر الغفلة.

وَ لَكِنْ ذِكْرِي لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ

ص: ١٠٠

إشاره

وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَعَرَّتْهُمْ آَلِهَاتُهُمُ الْكُفْرُ وَالزُّنُوقُ وَذَكَرَ بِهِ أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِنْ تَعِيدُوا كُلَّ عَدْلٍ لَا يُؤْخَذُ مِنْهَا أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ (٧٠) قُلْ أُنَادِعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ خَيْرٌ أَنْ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَىٰ ائْتِنَا قُلْ إِنَّ هُدَىٰ اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَأْمُرْنَا لِنُسَلِّمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٧١) وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْتَبِعُوا آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَكُونَ (٧٢) وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ (٧٣)

اللغه

٧٠ [تبسل]: يقال أبسلته بجريرته أى أسلمته بها، والمستبسل المستسلم الذى يعلم أنه لا يقدر على التخلص، وهذا بسل عليك أى حرام عليك، ولتضمنه لمعنى المنع قيل للمحرم والمرتهن بسل أى حرم الثواب، والفرق بين الحرام والبسل أن الحرام عام فيما كان ممنوعاً منه بالحكم والقهر، والبسل هو الممنوع منه بالقهر.

٧١] استهوته]: حملته على اتباع الهوى.

[حيران]: المتردد فى امر لا يهتدى الى الخروج منه.

ص: ١٠٢

هدى من الآيات:

فيما مضى سبق القول فى ان وجود الآيات فى الكون و ظهورها لا يكفى لهدايه البشر، إذ لا بد أن يكون جهاز الإدراك عنده سليما فمثلا لو اتخذ الفرد دينه لعبا و لهوا فكم تستطيع الآيات ان تكون نافعه له.. لا شىء، هؤلاء هم الذين أبسلت أنفسهم، بما كسبت من سيئات، و حجت الشهوات نور عقولهم، فلا تنفعهم الموعظه بل يجب تركهم الى حين بلوغهم جزائهم عند الله. حيث يعذبون بشراب من حميم، و عذاب أليم. جزاء ما طعموا من الشهوات الحرام، و بما كفروا بالرساله.

و قد يبلغ حال الواحد منهم وضعا مزريا حيث يتخذ من دون الله أربابا-هم أصحاب المال و الزينه- و يترك هدى الله، و يكون مثله كمن اخترق الصحراء مع أصحابه، و لكنه ابتلى بالشياطين، و فقد وعيه، و أخذ يدور من دون فهم و يتبع الشياطين و يترك الصراط المستقيم، و التسليم لله رب العالمين.

[٧٠] اننا كبشر نشعر بفطرتنا النقيه. أن الطعام و الجنس و الراحة كلها وسائل للإبقاء على الحياه، أما هدف الحياه فهو شيء آخر، قد نختلف في تحديده تبعاً لاختلاف ثقافتنا، و لكننا نكاد لا نختلف في أصله، بيد أن هناك من يتخذ دينه و هدفه الشهوات، و يزعم أن اللذنه هي الهدف الأساسي من الحياه، أما الدين الحق فيتخذها لعباً يفسره كيف تشاء شهواته، و لهوا يتسلى بطقوسه، أو بالحديث حوله، أما إذا جدّ الجدّ فإنه يتبرأ من الدين، و موقف المؤمن من هؤلاء هو المقاطعه.

وَ ذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَ لَهْوًا وَ غَرَّتْهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَ إِنَّمَا يَهْبِطُ الْبَشَرُ إِلَى هَذَا الْحَضِيضِ بِسَبَبِ تَوَرُّطِهِ فِي الشَّهَوَاتِ، وَ تَعُودُهُ عَلَى اللَّذَاتِ وَ الرَّاحَةِ وَ الْكَسَلِ، حَيْثُ أُبْسِلَتْ نَفْسُهُ.

و الخلاص الوحيد من ظلمات الجهل و العاده هو التذكر المستمر الذي هو بمثابة حزمه نور، تخرق حجاب العاده الى القلب.

وَ ذَكَرْ بِهِ أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ أَمَا إِذَا أُبْسِلَتِ النَّفْسُ فَأَنَّ اللَّهَ سَبَّحَانَهُ سَوْفَ يَلْعَنُهَا، وَ لَا يَقْبَلُ مِنْهَا شَفِيعًا، وَ لَيْسَ لَهَا وَلِيٌّ مِنْ دُونِهِ.

لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَ لَا شَفِيعٌ وَ إِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَا يُؤْخَذُ مِنْهَا إِنْ الْعَدْلُ لَا يَقْبَلُ مِنْ هَذِهِ النَّفْسِ الَّتِي أُبْسِلَتْ، وَ هَذَا هُوَ مَصِيرُ الَّذِينَ أَحَاطَتْ بِهِمْ ذُنُوبُهُمُ الَّتِي اِكْتَسَبُوهَا.

أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا مصيرهم في الدنيا ظلمات في قلوبهم، أما في الآخرة ف:

لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ بآيات الله، ويتخذونها لعبا و لهوا. إذ أنّ الذنوب سبب ظلمات القلب، و هي سبب الكفر، و الكفر يؤدي الى النار.

[٧١] و هناك فئه ضاله قد اتخذت أربابا من دون الله، و التزمت بطقوس لم ينزل الله بها سلطانا، و ربما تكون هذه الفئه هي امتداد نوعى للفئه الاولى، إذ حين يكتسب الفرد السيئات، و يحتجب عنه نور العقل تتحول فطره التدين عند هذا الشخص الى الأرباب التى تعبد من دون الله، فيزعم صاحبها أن تلك الأرباب هي تطبيق لفطره الايمان التى يشعر بها، و ربما لذلك ذكر القرآن هذه الفئه بعد تلك الفئه قائلا:

قُلْ أَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَ لَا يَضُرُّنَا لِمَاذَا يعبد البشر شيئا لا يضر و لا ينفع ما دام لا يمثل الحق، و لماذا يتقيد به إذا، و يخضع له؟! و ما هي المنفعة من وراء ذلك؟! انه ليس الاراده فى مسيره البشر، و مسح لطبيعته الحره الكريمه.

وَ نُزِدُ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ وَ هدايه الله تتمثل:

أولا: فى الهدايه الفطريه.

ثانياً: في هداية الرسل.

و كثيرا من الناس ينحرفون بعد الهداية الفطرية، أما بعد الهداية الرسالية فان الانحراف ضلاله كبرى يشبهها القرآن الحكيم بالذى يسير فى الصحراء، ثم يضل السبيل بسبب تضليل الشياطين له، حيث يدلونه على الطرق المنحرفة، و فى هذا الوقت يجد الرجل من يدعوه الى الهدى، متمثلاً فى أصحابه الذين يدعونه الى السبيل القويم الذى يسرون فيه، فانه لو لم يقبل نصيحه أصحابه فسوف لا تكون لديه أية حجة فى البقاء فى الضلاله، إذ أن أصحابه قد أتموا عليه الحجة و وفروا له فرصة الخلاص من استهواء الشياطين.

كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَضِلَّ حَابٌّ يَدْعُوهُ إِلَى الْهُدَىٰ ائْتِنَا هَذَا الرَّجُلُ يَشْبهُ الْإِنْسَانَ فِي تَبِيحِهِ، وَ قَدْ أَحَاطَتْ بِهِ شَيَاطِينُ الشَّهَوَاتِ، وَ أَضَلُّوه عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ، وَ حَجَبُوا فِطْرَتَهُ النَّقِيَّةَ بِرَكَامٍ مِنَ الْخِرَافَاتِ الْبَاطِلَةِ، ثُمَّ جَاءَهُ هُدَى اللَّهِ مَسَاعِدًا لِفِطْرَتِهِ، مَوْضِحًا لَهُ سَبِيلَ الْهُدَايَةِ.

قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَ عَلَيْنَا أَنْ نَتَّبِعَ سَبِيلَ اللَّهِ، وَ نَسْلَمَ لَهُ الَّذِي أَسْلَمَتْ لَهُ السَّمَوَاتُ وَ الْأَرْضُ.

وَ أَمْرًا لِنُسَلِّمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ

الصلوة معراج المؤمن:

[٧٢] و لكى نتبعه، و نخضع له و نسلم، فعلينا ان نقيم الصلوة نصليها بخضوع و خشوع، و نديم عليها مع العمل بضروراتها، فى حياتنا الاجتماعية، و من ضروراتها

ص: ١٠٦

التقوى إذ ان الصلاه معراج المؤمن و هى تنهى عن الفحشاء و المنكر، و من شروط إقامتها الانتهاء فعلا- عن الفحشاء و المنكر، كما أن الخوف من الآخره حين يحشر الفرد الى ربه واحده من فوائد الصلاه المهمه.

وَ أَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَ اتَّقُوهُ وَ هُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ

اراده الله بين الكاف و النون:

[٧٣] و الله الذى يجب التسليم له، هو الذى يمثل الحق، و الحق يعنى ان هناك واقعيات قائمه خارج الفكر، و أنها تدار بأنظمه ثابتة، و أن على الإنسان أن يسعى من أجل توفيق نفسه، و تطبيق أعماله على أساس الحق، و لكن دون أن يزعم أن هذه الانظمه هى آلهه، فيعبدها كما يعبد الغرب اليوم أنظمه الحياه القائمه..

كلا.. عليه أن يعرف: أن فوق الحق إرادته الله التى تخلق ما تشاء بكلمه واحده هى (كن) فليعبد الله الذى له ملك الحياه الآن و مستقبلا، و هو الذى يجازى الناس على أعمالهم، و هو العالم بالغيب (المستقبل و الماضى) و العالم بالشهاده، فعلمه بالحقائق القائمه، علم شامل ماذا كانت سابقا، و ماذا تكون عليه مستقبلا.

وَ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَ يَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ لِأَنَّهُ بَقَوْلِهِ هَذَا خَلَقَ الْأَشْيَاءَ، وَ أُجْرَى فِيهَا الْأَنْظُمَةَ، وَ بَقَوْلِهِ تَطْمِئِنُّ الْحَيَاةُ، وَ تَسْتَمِرُّ وَفْقَ الْأَنْظُمَةِ.

وَ لَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَ الشَّهَادَةِ وَ هُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ فَمَنْ أَوْلَى بِهِ مَعْبُودًا نَسْلَمُ لَهُ الْأُمُورَ؟

إشاره

وَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٧٤) وَ كَذَلِكَ نُرَى إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ
السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ لِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ (٧٥) فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ (٧٦)
فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ (٧٧) فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِعَةً قَالَ
هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ (٧٨) إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ حَنِيفًا وَ
مَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٧٩)

اللغه

٧٦ [أفل]: غاب.

[بازعاً]: البرزوخ الطلوع، يقال بزغت الشمس إذا طلعت.

ص: ١٠٨

هدى من الآيات:

كيف يتدرج الإنسان في مراحل الايمان؟ يبدأ الإنسان رحلته الايمانيه ابتداء من نقطه الشك، و عدم الثقه المطلقه بما يتخيله هذا أو ذاك من أفكار أو أهواء.

و الشك يرفع عن بصيره الفرد حجاب الأفكار المسبقه، و يحرك فكره و يضيء عقله، فيرى بذاته ما وراء السموات و الأرض من علم و قدره و حكمه، و بذلك يهتدى بأذن الله الى الحق فيصبح موفقا.

العقل يهدى الفرد الى أنّ الإله لن يكون متغيرا، و أنه فوق القوى، و أن لا سلطان على سلطانه، و حين يرى الفرد الكواكب و القمر و الشمس كل يأفل عند ما يصل وقت أفوله يتيقن أن كل أولئك ليسوا بآلهه.

و من خلال التطلع الى الظواهر الكونيه و الايمان بأنها لا تصلح أن تكون آلهه

عرف إبراهيم حقائق أخرى منها: أن الذى يهديك الى الله هو الله ذاته، و أن ما لا يصلح أن يكون إلها لا يصلح أن يكون نصف اله، و أن يشرك به شيئا، و لذلك يجب رفض جميع الآلهة إلا الله.

بينات من الآيات:

نعم للاحترام لا للعبودية:

[٧٤] من دون توضيحه لا- تبلغ الحقائق، و العلم كأي مكسب آخر بحاجة الى جهد بل الى جهاد و تحدد، أن البشر معرض لأن تستعبده القوى الطاغوتيه أو الطبيعيه، لذلك يبدأ البشر تحرره بالتحرر العقائدى، و إبراهيم كأي شخص آخر فى مجتمع الجاهليه قد عرّض لعبوديه الطاغوت، و لكنه رفضها و تحداهها، ان الطاغوت يصنع جوا فكريا فى المجتمع، يؤيده و يبرر اخطاءه، و هذا الجو يضغط على الإنسان من خلال تعامله مع أقرب الناس اليه، أى من والديه و مربيه الذين يغذونه بالأفكار الباطله، و يدعون أنهم محترمون، و لذلك فأن أفكارهم يجب أن تحترم هى الاخرى، و إبراهيم كمثل أعلى للثورى الرسالى رفض هذه الأفكار، و صرخ هاتفا الاحترام للوالد نعم. اما للعبوديه فلا..

وَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَمْ تَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً لَمْ يَقُلْ هَذَا الْكَلَامَ الْفَضُّ لِأَخِيهِ الْأَصْغَرَ مِنْهُ، أَوْ لَرَفِيقِهِ أَوْ لَزَمِيلِهِ، كَلَّا.. لِأَنَّ الضَّغْطَ الَّذِي كَانَ يمارسه عليه المجتمع انما كان بسبب أبيه آزر.

و آزر لم يلد إبراهيم، بل هو عمه الذى رباه، فخاطبه إبراهيم بالأبوه، و ذكره القرآن ليذكّرنا بأن الايمان يبدأ من رفض الخضوع لاقوى سلطه اجتماعيه على الفرد، و هى سلطه المربى و الكفيل، ثم أعقب إبراهيم رفضه لأبيه برفضه لسلطه المجتمع الجاهلى و قال:

إِنِّي أَرَاكَ وَ قَوْمِيكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ان الخوف من المجتمع لا- يدعك تفهم الحقائق، لأنك آنئذ لا تشكك نفسك بتلك الأفكار الباطلة، فتستمر عليها، و لذلك تجد الناس عادة يؤمنون بأفكار مجتمعهم، حتى قيل: بأن المجتمع صنم الفرد، حتى أن بعضهم آمن بالحتمية الاجتماعية، لذلك فعليك ان تشيع بالثقه بذاتك حتى تتحدى الناس جميعا.

كيف نحصل على اليقين؟

[٧٥] حين تخلص إبراهيم من ضغط مجتمعه أراه الله ملكوت السموات و الأرض المتمثله فى فهم تلك القوه التى تملكها و تدبرها.

وَ كَذَلِكَ نُرَى إِبْرَاهِيمَ مَلُكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ لِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ اى ليخرج من الشك الى اليقين. ان الذى أوتى قدره الشك قادر على أن يصل بأذن الله الى ذروه اليقين، و الشك لا- يختص بالمجتمع، أو بالمربى، بل و أيضا بالأفكار السابقه و الخاطئه التى يزعم الفرد انها صحيحه فى بعض مراحل حياته، كما نرى إبراهيم عليه السلام كانت له الشجاعه الكافيه برفض أفكار مجتمعه السابقه كما نرى لاحقا.

[٧٦] حين يهيمن الظلام على الكون يبحث الفرد عن أى نور، فيرى الكوكب فيزعم أنه اله لأنه أنقذه من ظلام دامس، و هذه العقيدة العاجله قد تكون نتيجة هيبه الظلام، و الخشيه منه.

فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي وَ قد يكون هذا رمزا لحاله الشك، التى تزعج البشر، فيبحث عن مخلص له منه،

فيتعجل بقبول أى ومضه نور تخلّصه من حاله الشك، فاذا به يعتقد بأول فرضيه تطرء على ذهنه أو تبرق أمام عينه، و لكن وجود الفرضيات الباطله عند الفرد ليس عيبا، انما العيب هو أن يستمر عليها بعد أن تثبت عنده أنها باطله، و إبراهيم عليه السلام كانت له هذه الشجاعه أن يكفر بأفكاره السابقه.

الفطره هي الدليل:

ان الفرضيات الباطله قد يكون بطلانها واضح بدرجه أن ردها لا يحتاج الى دليل، بل يكفى أن تراجع فطرتك لتوضح لك بطلانها، لذلك قال إبراهيم عليه السلام بعد أن افل الكوكب أنى لا أحبه.

فَلَمَّا أَفْلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْأَفْلِينَ الْحَبُّ هُوَ الْفَطْرَةُ النَّقِيَّةُ قَبْلَ أَنْ يَصْبِحَ فِكْرُهُ مُسْتَدَلَّهُ مُتَكَامِلُهُ، وَ حِينَ تَكُونُ عِلَاقَةُ الْبَشَرِ بِرَبِّهِ عِلَاقَةُ الْحَبِّ، حَيْثُ يَحِبُّ الْبَشَرُ رَبَّهُ بِصُورِهِ طَبِيعِيَّةً. مَا دَامَ رَبُّهُ سَبْحَانَهُ قَدْ أَغْذَقَ عَلَيْهِ نِعْمَهُ ظَاهِرَهُ وَ بَاطِنَهُ فَيَكُونُ عَدَمُ وَجُودِ هَذَا الْحَبِّ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْكَوْكَبِ دَلِيلًا عَلَى أَنَّهُ لَيْسَ بِآلِهِ حَتْمًا! إِنْ لَمْ يَنْعَمِ عَلَى الْبَشَرِ لَيْلًا نَهَارًا، أَمَا الْكَوْكَبُ فَانَّهُ يَأْفَلُ نَهَارًا.

و من المعلوم ان بعض الناس لا يزالون يعبدون النجوم، و يزعمون انها ذات أثر فعال فى مصير الإنسان، و قد كان عمل إبراهيم ردا صارخا لمثل هؤلاء الذين كانوا موجودين آنئذ.

[٧٧] و انتظر إبراهيم على مضض من شكه، و توتر من قلبه، ثم انتظر هذه المره فتره أطول حتى بزغ القمر، و أعجبه ذلك النور الهادى الذى ينساب على الطبيعه بعفويه و سخاء. فقال: هذا ربي.

فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ هَذَا رَبِّي وَرَبِّمَا كَانَ بَزْوَعِ الْقَمَرِ هُوَ السَّبَبُ فِي عَدَمِ رَفْضِهِ لِلْقَمَرِ، وَكَانَ يَكُونُ تَعَلُّقُ إِبْرَاهِيمَ ظَاهِرًا بِالْقَمَرِ
رَمَزًا لِلْفَرْضِيَةِ الْبَاطِلَةِ الَّتِي هِيَ لَيْسَتْ إِلَّا مَجْرَدُ ضَغْطِ حَالِهِ الشَّكِّ، وَعَذَابِ الْفِرَاقِ الْفِكْرِيِّ.

فَلَمَّا أَفْضَلَ قَالَ لَنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لِمَا كُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ بَعْدَ فَشَلِهِ الثَّانِي فِي فَهْمِ الْحَقِيقَةِ قَلَّ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ ثِقَتِهِ
الْمُطْلَقَةِ بِفِكْرِهِ، وَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ، ذَلِكَ أَنَّ هَذِهِ الثَّقَةَ مَفِيدَةٌ فِي مَرَحَلَةِ الشَّكِّ، وَرَفْضِ الْأَفْكَارِ الَّتِي يَرِيدُ الْآخَرُونَ فَرْضَهَا عَلَيْهِ. أَمَّا
بَعْدَئِذٍ فَقَدْ يَكُونُ لَهَا مَرْدُودٌ سَلْبِي.

بك عرفتك:

أَمَا كَيْفَ أَدْرَكَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّ الْقُوَّةَ الَّتِي يَجِبُ أَنْتِظَارُ دَعْمِهَا لِلْإِنْسَانِ وَهُوَ يَبْحَثُ عَنِ الْحَقِيقَةِ هِيَ قُوَّةُ اللَّهِ، وَهَذِهِ قَضِيَّتُهُ
هَامَةٌ؟ إِنْ فَطَرَ الْإِنْسَانَ تَهْدِيَةً إِلَى وَجُودِ سُنَنِ وَنَظْمٍ فِي هَذَا الْكَوْنِ الْمَهِيْبِ، وَأَنَّ الطَّبِيعَةَ تَسِيرُ وَفْقَ نِظَامِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَالنُّجُومِ
كُلِّهَا تَسِيرُ وَفْقَ خَطِّهِ مَرْسُومِهِ. مِنَ الَّذِي يَهْدِي الشَّمْسَ إِلَى مَسِيرَتِهَا، وَالْقَمَرَ إِلَى فَلَكِهِ، وَالنُّجُومَ إِلَى مَرَاسِيهَا؟ إِنَّهُ اللَّهُ.

إِنَّهُ خَالِقُهَا، إِذَا فَعَلِينَا نَحْنُ أَيْضًا إِنْ نَبَحْنَا عَنِ الْهَدْيِ هُنَالِكَ عِنْدَ اللَّهِ، لَا سِيَّمَا فِي مَوْضِعِ الْإِلَهِ. إِذْ قَدْ يَكُونُ (وَهَذَا وَاقِعٌ فَعَلًا) الْبَشَرُ
عَاجِزًا عَنِ مَعْرِفَةِ رَبِّهِ، وَلَكِنْ رَبُّهُ سَبْحَانَهُ لَيْسَ بِعَاجِزٍ عَنِ تَعْرِيفِ ذَاتِهِ لَهُ.

وَ مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى: حِينَ تَكَرَّرَ تَجْرِبَةُ الْإِنْسَانِ الْفَاشِلَةِ فِي الْوَصُولِ إِلَى الْحَقِيقَةِ، تَعْتَرِيهِ حَالَةُ الْيَأْسِ وَ يَقُولُ: أَنَا أَقْلٌ مِنْ أَنْ أَعْرِفَ
الْحَقِيقَةَ، فَلَمَّا ذَا الْبَحْثِ!؟

و هذا اليأس هو أخطر عدو للبحث، و هو وراء أكثر من نصف الجهل الموجود لدى الناس، و اليأس لا يزول الا بالتوكل على الله، لذلك قال إبراهيم عليه السلام و هو يعانى من صدمه الفشل:

لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ [٧٨] إذا كان جمال القمر قد دفع إبراهيم عليه السلام الى اتخاذها مؤقتا فأن كبر الشمس و ضخامتها، بالاضافه الى جمالها دفعه هذه المره الى مثل ذلك.

فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسُ بِأَزْغَةٍ قَالَتْ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ و كانت صدمه الفشل الهائله و المتكرره حيث اختفت الشمس العملاقه وراء الأفق. هذه الصدمه نقلت إبراهيم من واد لواد آخر، من وادى مجتمعه الى رحاب الحقيقه.

فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَتْ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ فتجعلون الشمس و هى خلق مما خلق الله شريكه لرب العالمين، بينما شريك الألوهيه يجب أن يكون قادرا حرا مريدا ما يشاء، و الشمس مسخره بأمر ربها، لا تستطيع ان تخالف امر الله فى الطلوع و الغروب.

التسليم المطلق..المرحله الاخيره:

[٧٩] ترك إبراهيم عليه السلام الخلق و استقبال بوجهه الخالق، ترك الطبيعه الى مسخرها و مدبر أمرها، و قال:

إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ إِلَى اتَّخَذْتُ اللَّهَ طَرِيقًا، و مرضاته هدفا.

لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ خَلْقَهَا وَحَدَدَ مَسَارَهَا، وَرَسَمَ حُدُودَهَا، وَأَظْهَرَ بِذَلِكَ هَيْمَنَتَهُ التَّامَةَ عَلَيْهَا.

وَحِينَ عَبْدَ إِبْرَاهِيمَ رَبَّهُ كَفَرَ بِكُلِّ الشُّرَكَاءِ، وَرَفَضَ الْأَنْدَادَ جَمِيعًا وَكَانَ: -حَنِيفًا مَائِلًا عَمَّا اعْتَمَدَهُ النَّاسُ مَتَمَرِدًا عَلَى عَادَاتِهِمْ وَتَقَالِيدِهِمْ، وَسَلَّمْ أُمُورَهُ جَمِيعًا إِلَى اللَّهِ رَافِضًا الْإِنْتِمَاءَ إِلَى الْمَجْتَمَعِ الْكَافِرِ وَقَالَ: -وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ

ص: ١١٥

وَ حَاجَهُ قَوْمُهُ قَالَ أَ تُلَاجُونِي فِي اللَّهِ وَ قَدْ هَدَانِ وَ لَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَ فَلَا تَتَذَكَّرُونَ (٨٠) وَ كَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَ لَا تَخَافُونَ أَنْكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٨١) الَّذِينَ آمَنُوا وَ لَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَ هُمْ مُهْتَدُونَ (٨٢) وَ تِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (٨٣)

هدى من الآيات:

بعد المعاناه الشخصيه، و بعد الشك البرىء الذى انتهى بإبراهيم عليه السلام الى الاهتداء الى ربه بدء الصراع بينه و بين قومه حيث حذروه مغبه الكفر بالآلهه، فردهم ببساطه: إن الخوف انما هو من الله، لا من القوى المخلوقه له سبحانه. إذ أن تلك القوى تقع ضمن دائره إذن الله و علمه، و أمرهم بأن يعودوا الى فطرتهم ليتذكروا الحقيقه، و بين لهم أنّ حذرهم و احتياطهم من الآلهه لا معنى له. إذ لو لم ينزل الله حجه واضحه بالسماح بطاعه أحد، فانه سيعاقب من يطيع غيره، و عقابه أشد و أبقي مما يخافه الإنسان على نفسه من ضرر الآلهه، إذا الحذر من الآلهه يقابل بحذر أكبر من الله لو قبلنا بها من دون اذنه.

و انما الأمن لمن أرضى ربه و لم يخلط ايمانه بشرك، لأن هذا الشخص قد اهتدى الى الطريق السليم، بيد أن فهم هذه الحقيقه ليس فى وسع البشر. إنما الله سبحانه هو الذى يهدى إليها من يشاء ليرفع درجته، و هو الذى لا يفعل ذلك الا حسب علمه

بالفرد، و حكمته البالغه بأنه يصلح للهدايه و يستحقها.

بينات من الآيات:

مسئوليه الهدايه:

[٨٠] بعد رحله الايمان، تبدء رحله الرساله. إذ فور ما يتنور قلبك بنور الايمان.

تجد نفسك أمام مسئوليه هي تنوير قلوب الآخرين، و لا يمكنك الا أن تفعل ذلك. إذ أن الدنيا صراع فلو لم تذهب الى الناس لهدايتهم جاءوا إليك لاضلالك، و بالتالي سوف يبدأ الصراع، من هنا قال ربنا عن إبراهيم عليه السلام بعد ان وحد الله و نزهه عن الشرك به.

وَ حَاجَّهُ قَوْمُهُ يَبْدُو أَنَّهُمْ قَالُوا لَهُ:

أولاً: اين الله؟ و كيف آمنت به؟ و بأى دليل؟ و بالتالي أخذوا يشككونه فى ربه، فأجابهم ببساطه:

أنتم لا- تعرفون الله. أليس كذلك؟ أما انا فأعرف الله لأنه قد هدانى إليه، و من لا يعرف لا يستطيع ان يحاج من يعرف، لأنه هو الجاهل، و هذا عالم، و هو الضال، و هذا المهتدى.

ثانياً: قالوا له: لماذا تشرك بالالهه هذه و هي قويه، و قد تضربك، انك تكفر بالقوى الاجتماعيه التى يمثلها الطاغوت، و بالقوى الثقافيه التى تمثلها قيم المجتمع، و كهنه المعابد، و بالقوى الاقتصاديه التى تمثلها الرأسماليه و الاقطاع، و آلهه البركه..

و..و..، أ فلا تخشى هذه القوى؟!

ص: ١١٨

فأجابهم إبراهيم عليه السلام: كلا.. أنا لا أخاف كل أولئك، لأن مشيئة الله هي الحاكمه عليها، صحيح أن الطاغوت قد يؤذيني، و لكن أذى الطاغوت انما هو ضمن دائره اراده الله و اذنه، فلو لم يرد شيئاً لا يمكن ان يقع، و الله محيط علمه بالجبت و الطاغوت و من فى فلکهما، فهم أضعف من الله، و أضاف إبراهيم قائلاً:

عودوا الى فطر تكم النقيه و تذكروا ان الله أقوى من خلقه، و أن علينا أن نخشاه و لا نخشى خلقه.

قَالَ أَتَجَاهِدُنِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ [٨١] للآلهه رموز و ان ما يخافه البشر هو القوى الطبيعیه أو الاجتماعیه التي ترمز إليها الآلهه، و الخضوع لهذه الآلهه انما هو رمز الخضوع لتلك القوى، و لا- يمكن أن يتحرر البشر من هذا الخوف الا بخوف أقوى، و هو الخوف من رب القوى الموجوده فى الكون، لذلك حذر إبراهيم قومه من غضب الله، و قال:

وَ كَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا وَ رَبَّمَا يَتَّبِعُونَ الْبَعْضَ مِنَ اللَّهِ رَحِيمَ بَعْبَادِهِ، إِذَا لَا- خَوْفَ مِنْهُ، أَمَا الطبعه فهى ؟؟؟ فعلىنا الخضوع لها لتتجنب ضررها، هذه الفكره هى التي دفعت بعض الناس لعباده الشيطان حيث قالوا: ان الله رحيم بنا لأن طبيعته الخير، أما الشيطان فان طبيعته الشر فعلىنا عبادته.

و لكن إبراهيم بين ان الله لا يرضى بطاعه أحد من دون أن يأذن هو بذلك، و لن يأذن و الا فهو ينزل غضبه و لعنته على البشر، و انه لو أرادت الآلهه أو الذين يطاعون من دون الله الفتك بالناس و التجأ الناس الى الله-رب الآلهه و الناس- لتخلصوا

من شروهم، إذا فالأمن الحقيقي لمن يخشى الله.

فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ

مضار الشرك:

[٨٢] و عاد إبراهيم و أضاف دليلا جديدا على ضروره التوحيد الخالص و هو:

ان الشرك ظلم، بينما الخضوع لله هو العدل، و أن للظلم ضررين:

الاول: الابتعاد عن الأمن.

الثاني: الابتعاد عن الهدى بينما المؤمن الموحد يملك الأمن و الهدى.

الَّذِينَ آمَنُوا وَ لَمْ يَلْسُوا بِإِيمَانِهِمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَ هُمْ مُهْتَدُونَ دعنا نتصور: مجتمعا يسوده الطاغوت، و يخشى الطبيعه، و يقدم قراينه لإله البحر و إله الحرب و إله الربيع، كما كان يفعل أهل مصر، و مجتمعا تسوده حكمه عادله، و يتحدى الطبيعه و يقهرها. أيهما سيكون المجتمع الآمن؟ هل الظلم الطاغوتي و الخضوع للطبيعه يوفر الأمن، أم العداله و الحضاره (قهر الطبيعه و تسخيرها)؟ ثم ان التحرر من خوف الطاغوت و خوف الطبيعه يجعلنا نفكر بحريتنا، نبحت عن الحقيقه بكل أمان، و لا نخشى من الحقيقه، و لا- تسودنا دعايه الطاغوت، و مخاوف الطبيعه لنقتحم كل أسوار الطبيعه، لنكتشفها و نسخرها، و آنئذ نحصل على الهدايه. ان بدايه كل علم هو الشعور بالأمن. لذلك جاء الهدى بعد الأمن في الآيه الكريمه.

[٨٣] لقد حاج إبراهيم قومه فانتصر عليهم، و السؤال هو من آتاه هذه الحججه؟ انه الله، إذ أن إبراهيم عليه السلام كشخص يعيش ضمن حدود المجتمع، و تقهره

الطبيعه لا- بد ان يتقول حسب أفكار المجتمع و حتميات الطبيعه،إلا- أن الله سبحانه يرسل رسالته على الإنسان لكي ينقذه من الحتميات الاجتماعيه و الطبيعیه التي تحيط به.

و تَلَمَّكَ حُجَّتًا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ قَوْمِهِ تَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ و لعلمه لا يرفع كل شخص الى رفيع الدرجات عبثا،انما يرفع من يكون مؤهلا لذلك بجده و اجتهاده،و بحثه عن الحقيقه،و عدم خوفه من الحتميات الباطله.

ص: ١٢١

وَ هَبْنَا لَهُ إِسْرَاقَ وَ يَعْقُوبَ كُلاًّ هَدَيْنَا وَ نُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَ سُلَيْمَانَ وَ أَيُّوبَ وَ يُوسُفَ وَ مُوسَى وَ هَارُونَ وَ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (٨٤) وَ زَكَرِيَّا وَ يَحْيَى وَ عِيسَى وَ إِبْرَاهِيمَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ (٨٥) وَ إِسْمَاعِيلَ وَ الْيَسَعَ وَ يُونُسَ وَ لُوطًا وَ كُلاًّ فَضَلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ (٨٦) وَ مِنْ آبَائِهِمْ وَ ذُرِّيَّتِهِمْ وَ إِخْوَانِهِمْ وَ اجْتَبَيْنَاهُمْ وَ هَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٨٧) ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَ لَوْ أَشْرَكُوا لَحَبَطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٨٨)

إشارة

فى سلسله الأنبياء عليه السلام

هدى من الآيات:

تلک الرساله التى أهبطها الله على قلب إبراهيم عليه السلام، بعد ان وجدته أهلا- لها، ثم بعد ان دخلت مرحله الصراع المرير، أصبحت اليوم تيارا يهدى به الله، مجموعه من الأنبياء العظام، وقبلهم جميعا نوح عليه السلام حيث هداه الله، و داود و سليمان و..و..

و لم يكن هؤلاء وحدهم فى الساحة، لقد كان معهم الآباء و الذريه و الأخوه الذين اجتباهم الله على علم منه بهم، نظرا لصلاحيتهم للعمل الرسالى.

و إذا كان هؤلاء على صراط مستقيم فانما ياذن الله و بهداه، و لم يكن باستطاعتهم الوصول الى هذا المستوى من دون التوحيد الخالص، إذ أنهم لو أشركوا لأحبط الله أعمالهم.

بينات من الآيات:

انتصار إبراهيم:

[٨٤]ماذا كان عاقبه الصراع بين إبراهيم و قومه الذين أبطل إبراهيم حججهم.

ص: ١٢٣

ان العاقبه كانت انتصارا ساحقا لإبراهيم حيث أن الله أمد إبراهيم بأبناء و ذريه و أنصار.

وَ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَ يَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا حَيْثُ كَوَّنَ إِسْحَاقَ وَ يَعْقُوبَ - بنى إسرائيل - تلك الامه المؤمنه الصوره.

وَ نُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ فَلَمْ يَكُنْ اهْتِدَاءَ إِبْرَاهِيمَ بَدْعًا جَدِيدًا، بل كان سنه قائمه منذ مده طويله.

وَ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَ سُلَيْمَانَ وَ أَيُّوبَ وَ يُوسُفَ وَ مُوسَى وَ هَارُونَ هذه الأسماء التى تحولت فى تاريخ البشرى الى رموز لكل قيم الخير، ان نقطه البدايه عندهم كانت الهدايه الى الله، و الهدايه بدورها جاءت نتيجه إحسانهم، و فعلهم الخير.

وَ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ وَ نحن بدورنا لو فعلنا الخير لهدانا الله، و لأصبحنا بأذنه رموزا لقيم الخير فى التاريخ.

خط إبراهيم عليه السلام :

[٨٥] و هناك رموز اخرى اتبعت ذات الطريقه القويمه و المنهج السليم، و كانت النتيجه أنهم أصبحوا صالحين. أفكارهم سليمه، و أخلاقهم قويمه، و أعمالهم خيره، و أهدافهم نبيله، و بالتالى كلما يراه الضمير السليم للإنسان، أنه صلاح يتمثل فيهم.

وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِيلَاسَ كُلِّ مِّنَ الصَّالِحِينَ [٨٦] وَاخْرَيْنَ اتَّبَعُوهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ - وَفَضَّلَهُمُ اللَّهُ عَلَى النَّاسِ لِهَذَا السَّبَبِ - .
وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكَأَلَّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ بعلمهم و جهادهم .

ان هذه الأسماء اللامعه فى سماء الانسانيه معروفه لمن يتلو آيات القرآن، حيث ذكرها الله أكثر من مره، و فضل كثيرا من قصص حياتهم، و عبر تاريخهم، و انما فعل ذلك ليصبحوا قدوات للبشر، و ليقول لهم: أيها الناس إن هؤلاء كانوا بشرا مثلكم و لكنهم أحسنوا فهداهم الله، و أصبحوا ثناء على كل لسان، و مثلا لكل فضيله أ فلا تقتدوا بهم و تتبعوا منهجهم؟! و يلاحظ المتدبر فى نهايات هذه الآيات الثلاث ان الله سبحانه ذكر صفات ثلاث لهؤلاء الصفوه (الإحسان، و الإصلاح، و التفضيل) و يبدو أنها صفات متدرجه، فالاحسان هو العطاء، و الخروج عن سجن الذات، و وقوعه الانانيه الى رحاب الحق، و خدمه الآخرين، انه سبب الهدايه، بل سبب كل خير، اما الهدايه فهى من الله سبحانه، و بالاسلوب الذى ذكره ربنا سبحانه بالنسبه الى إبراهيم -عليه السلام- و الصفه الثانيه هى الصلاح، و هى عاقبه الهدايه، و أثرها فى حياه البشر، حيث تجعل منه إنسانا متكاملًا، اما الصفه الاخيريه، فهى نتيجه الهدايه فى الواقع الاجتماعى. حيث يصبح البشر أفضل العالمين .

[٨٧] لم تكن هذه الأسماء التى ذكرت سوى رموز، و لن تكون هى الوحيد فى هذا الطريق بالرغم من أنها كانت أبرزها، لذلك يذكرنا القرآن ببقية الذين ساروا على ذات النهج .

وَ مِنْ آبَائِهِمْ وَ ذُرِّيَّاتِهِمْ وَ إِخْوَانِهِمْ وَ اجْتَبَيْنَاهُمْ وَ هَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ

قانون الهدايه:

[٨٨] ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَكِنَّ الْهُدَىٰ لَنْ يَجْتَمَعَ مَعَ الشَّرْكِ، إِذْ أَنْ الشَّرْكَ بِاللَّهِ يَعْنِي سَلْبَ الْإِلَهِيَّةِ مِنَ اللَّهِ، وَ نَسْبَهُ الضَّعْفِ وَ الْعِجْزَ إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ، وَ تَحْدِيدَ قُدْرَتِهِ وَ مَشِيئَتِهِ، وَ كُلَّ هَذِهِ الصِّفَاتِ بَعِيدَةً عَنِ صِفَاتِ اللَّهِ، وَ بِالتَّالِيِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهَا لَا- بَدَأَ أَنْ يَكْفُرَ بِاللَّهِ، لِأَنَّهُ لَيْسَ بِإِلَهِ مِنْ هُوَ خَاضِعٌ لِخَلْقِهِ، وَ غَيْرُ قَادِرٍ عَلَى أَنْ يَقْهَرَ صَنْمًا حَجْرِيًّا مَنْحُوتًا، أَوْ صَنْمًا بَشَرِيًّا يَتِمَثَّلُ فِي الْمَجْتَمَعِ الْفَاسِدِ، أَوْ فِي طَاغُوتٍ جِبَارٍ.

وَ لَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ مِنْ خَيْرٍ وَ إِحْسَانٍ وَ صِلَاحٍ لِأَنَّ الصَّلَاةَ مَثَلًا: تَعْنِي الْإِيمَانَ بِاللَّهِ، وَ الْإِيمَانَ بِاللَّهِ يَعْنِي بَدْوَرَهُ الْكُفْرَ بِالطَّاغُوتِ، إِذْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ ذَلِكَ الَّذِي لَا يَسْتَطِيعُ قَهْرَ الطَّاغُوتِ، وَ لِذَلِكَ إِذَا خَضَعَ الْمَصْلِيُّ لِلطَّاغُوتِ لَمْ يَكُنْ لِصَلَاتِهِ أَى مَعْنَى، فَلِذَلِكَ فَهِيَ تَحْبُطُ حَبْطًا.

إشارة

وَلِيَكَّ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيَسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ (٨٩) أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ افْتَدَاهُ قُلْ لَا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ (٩٠) وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قُرْآنًا تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضَةٍ هُمْ يَلْعَبُونَ (٩١) وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقٌ لِلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَ لَتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (٩٢)

اللغة

[٩٢] أم القرى: مكة.

ص: ١٢٧

هدى من الآيات:

فی الدرس السابق ذکر القرآن أسماء الأنبياء العظام، و فی هذا الدرس يذكرنا بحقائق عنهم: فهم يشكلون خط الرسالة الذى لا انحراف فيه أبداً، حتى و ان انحرفت الخطوط الأخرى، و قد حافظ الله على سلامته و استقامته ليكون قدوه للناس من دون ان يحملهم أجراً، بل ليدكرهم بالحقيقه فقط.

و هناك من يشكك فى بعث الأنبياء، و هم الذين لم يعرفوا ربهم، و ماله من حكمه و قدره، و أنهم لم يشكروا ربهم على تلك الرسائل النيره التى أنزلها على البشر على يد موسى عليه السلام.

ثم هذا الكتاب الذى أنزله لكى يكون منهجاً للنمو و الرشده و التكامل و هو فى ذات الخطرسالى المستقيم، و الهدف منه أن يندر به أم القرى و من حولها.

و من يؤمن بالله و اليوم الآخر لا بد أن يؤمن بالرسالة، إذ أن الرسالة هى نتيجته

الاعتقاد بهما.

بينات من الآيات:

فَبِهَدَاهُمْ أَقْتَدِهِ:

[٨٩] تلك كانت رسالات الله بينها الله في الآيات السابقة، ورسله كانوا دعاه لتلك الرسالة.

أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالتُّبُوَّةَ الْكِتَابِ هُوَ الرِّسَالَةُ، وَالْحُكْمُ هُوَ الْقَضَاءُ وَالسُّلْطَةُ بِاسْمِ الرِّسَالَةِ، أَمَّا النُّبُوَّةُ فَهِيَ تَحْمِلُ الرِّسَالَةَ لِدَعْوَةِ النَّاسِ إِلَيْهَا.

فَمَنْ يَكْفُرْ بِهَا هُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ إِنَّ الَّذِينَ يَدْعُونَ النَّاسَ إِلَى الْإِسْلَامِ هُمْ سَوَاءٌ كَانُوا يَكْفُرُونَ أَمْ يَأْمُرُونَ بِالْإِسْلَامِ فَكُفِرُوا بِهِ لِظُلْمٍ فَعَلُوا فَمَنْ يَكْفُرْ بِهَا هُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ إِنَّ الَّذِينَ يَدْعُونَ النَّاسَ إِلَى الْإِسْلَامِ هُمْ سَوَاءٌ كَانُوا يَكْفُرُونَ أَمْ يَأْمُرُونَ بِالْإِسْلَامِ فَكُفِرُوا بِهِ لِظُلْمٍ فَعَلُوا

و على امتداد التاريخ هناك رجال يؤمنون بخط الرسالة المستقيم دون أن يخالط إيمانهم شك أو وهن أو ارتداد.

[٩٠] والله سبحانه يبارك هذا الخط السليم بهدف ان يكون قدوه في الهدى.

أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهَدَاهُمْ أَقْتَدِهِ وَهَذِهِ الْهُدَايَةُ إِنَّمَا هِيَ لِلنَّاسِ جَمِيعًا وَهُوَ لَا يَتَّقِضُونَ أَجْرًا عَلَى تَبْلِيغِهَا.

قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ

ص: ١٢٩

[٩١] الايمان بالله، و معرفته سبحانه هي النقطة المركزيه للايمان بسائر الحقائق و معرفتها، و أنّ أبرز هذه الحقائق الايمان برسالات الله التي من ينكرها فانما ينكر الله أو لا يعرفه حق معرفته، فالله الذي خلق السموات و الأرض و كل شيء فيهما إنما خلقه بهدف و حكمه، و خلق الإنسان و لم يتركه سدى، بل بعث اليه رسلا يوضحون له درب السعاده، فمن أراد السعاده اتبعهم، و من لم يرد، فمصيره النار و ساءت سييلا.

وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْنَا بَشَرًا مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ دَلِيلًا عَلَىٰ شَيْءٍ هُوَ وجوده العيني الخارجي، و الله قد انزل رسالته على البشر متمثله في كتاب موسى عليه السلام الذي يستحيل عقلا أن يكون من غير الله، فاذا هو من الله.

قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ إِنَّهُ مِنْ اللَّهِ بِدَلِيلٍ أَنَّهُ نور يستجلي العقل، و يوقظ الضمير، و ينبه الفطره البشريه، و لأنه نور فهو كاشف للحقائق سواء تلك التي تمت الى الدنيا أو الآخرة، و الكتاب بالاضافه الى ذلك هدى للناس يهدي به الله الى سواء السبيل في الآخرة، و الهدى أخص من النور، لأنه يهدي صاحبه حتى و لو لم يؤت نورا شاملا.

إنّ الأنبياء و الصديقون و العلماء يؤيدون بنور العقل فيكشفون بأنفسهم الحقائق.

أمّا الناس فأنهم قد لا يؤتون النور و لكن يهديهم الله الى الصراط المستقيم عن طريق توضيح السبل لهم كالأعمى الذي يأخذ بيده البصير و يقوده في مسيرته.

تَجْعَلُونَهُ قَرَأَيْسَ تُبْدُونَهَا وَ تُخْفُونَ كَثِيرًا لِأَنَّكُمْ خَشِيتُمْ مِنْهُ عَلَى مِصَالِحِكُمْ وَالْآنَ تَنْكُرُونَ الْبَقِيَّةَ رَأْسًا، أَوْ لَيْسَ فِي هَذَا التَّنَاقُضِ دَلِيلًا عَلَى بَطْلَانِ كَلَامِكُمْ.

وَ عَلَّمْتُمْ مَا لَمْ تَعَلَّمُوا أَنْتُمْ وَ لَا آبَاؤُكُمْ فَجَاءَتْ الْأَفْكَارُ بَعِيدَةً عَنِ الْجَوِّ الثَّقَافِيِّ الَّتِي كَانَ سَائِدًا عَلَيْكُمْ، مِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهَا كَانَتْ أَفْكَارًا غَيْبِيَّةً.

وَ آخِرًا: إِنْ جَدَلْ هَؤُلَاءِ فِي رِسَالَةِ النَّبِيِّ نَابِعٍ مِنْ مَرَضٍ قَلْبِي دَفِينٍ، لَا يَنْفَعُ مَعَهُ إِقَامَةُ الْحُجُجِ، لِذَلِكَ يَجِبُ أَنْ يَتْرَكُوا لِشَأْنِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ جَزَاءُ أَعْمَالِهِمْ.

قُلِ اللَّهُ اللَّهُ هُوَ الْحَاكِمُ بَيْنِي وَ بَيْنَكُمْ، وَ اللَّهُ هُوَ الشَّاهِدُ وَ الشَّهِيدُ عَلَيْكُمْ، وَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي لَوْ آمَنَّا بِهِ حَقًّا لَأَمَّنَّا بِالرِّسَالَاتِ، وَ لِأَصْلِحْنَا عَقْدَ أَنْفُسِنَا.

ثُمَّ ذَرَّهُمْ فِي خَوْضٍ هُمْ يَلْعَبُونَ أَيْ يَلْعَبُونَ فِيمَا يَخُوضُونَ فِيهِ، وَ يَنَاقِشُونَ فِيهِ مِنْ أَفْكَارٍ خَاطِئَةٍ وَ أَهْوَاءٍ. إِنَّهُمْ لَا يَتَّبِعُونَ الْعِلْمَ، بَلْ يَتَلَاَعِبُونَ بِالْأَلْفَاظِ وَ الْأَهْوَاءِ.

خصائص رسالتنا و أهدافها:

[٩٢] الإيمان بالرسالات عموماً، ركن من أركان الإيمان بالله، إلا أن ذلك لا يكفي. إذ يجب أن تؤمن بالرسالة التي تخص حياتنا بالذات، و الرسالة الإسلامية هي تلك الرسالة التي لا بد أن تؤمن بها لعدة أسباب.

أولاً: لأنها مباركة تحفز البشريه نحو التقدم و الرقى، و النمو و الخير، و هذا هو تطلع البشر الأسمى.

ثانياً: لأنها تتفق فى أصولها مع سائر رسالات السماء، مما يدل على وحده المشكاه التى انبعثت منها.

ثالثاً: لأنها جاءت لتحقيق يقظه فى عالم يغط فى سبات الجاهليه، و ذلك فى شبه الجزيره العربيه.

رابعاً: ان الهدف من اعتناقها ليس هدفا ماديا كالوصول الى السلطه أو الغنى، بل هدف معنوى بدليل أن حملته رساله هم رجال الله، فهم يحافظون على صلواتهم، و عموماً المؤمنون بهذه الرساله هم المؤمنون باليوم الآخر الذين لا يهدفون من ورائه الدنيا و زينتها.

وَ هَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَ لِنُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَ مَن حَوْلَهَا وَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ

ص: ١٣٢

إشارة

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمْرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ (٩٣) وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءَ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ (٩٤)

اللغة

٩٤[ما خولناكم]: ما أعطيناكم من متاع الدنيا.

هدى من الآيات:

الظلم ظلمات، فقد يغتصب الفرد حق صاحبه المادى، وهذا الظلم قد ينتهى بالتوبه و أداء الحق، و لكن قد يغتصب الفرد فكر الناس، و يضلّهم و يضل نفسه عن الحق، و يحرف مسيره البشريه، و هذا أكبر خيانه و أخطر ضررا.

فإذا قال أحد: ان الله يقول هذا. كذبا و افتراء، أو ادعى النبوه و هو ليس بنبي أو ادعى قدرته على إبداع أفكار، و مناهج مثيله لأفكار و مناهج الرسالات، فانه آتئذ أظلم الناس، و جزاؤه عذاب الهون الذى يأتیه عند ما تهبط عليه ملائكه الغضب بكل عنف و خشونه، ينتزعون منه نفسه، لأنه كذب على الله، و لأنه استكبر على الحق.

و إنما يعتمد الظالم على قدرته الجسديه أو الماديه أو الاجتماعيه، و لكن حين تنتزع الملائكه نفسه، تتبخر هذه القدرات، فالجسد خائر القوى، و الأموال و الممتلكات تنتظر الورثه، أما الناس الذين زعم أنهم وراء فهم غير موجودين هناك، أو غير نافعین له، أما الأفكار الباطله التى اخترعها فقد أصبحت كالسراب الزائل.

الجريمه المنظمه:

[٩٣] فى عالم الجريمه السارق الوحيد عقوبته محدوده، بينما على العصابه عقوبات مشدده، لأن جريمتهم أخطر، و أخطر من تلك السرقات الكبيره التى تستتر تحت قناع الايدلوجيه الباطله، كسرقه الاقطاعيين و المترفين من المحرومين، أو سرقه الطواغيت و الامبرياليه من الشعوب المستضعفه، و أكثر ما عانت البشريه فى تاريخ الجريمه انما كانت بسبب هذا الطراز من المجرمين.

أن هؤلاء يخترعون أولاً أفكاراً باطلة تساعدهم على استثمار الجماهير، و استغلال بساطتهم، ثم يبدؤون بامتصاص جهودهم الى آخر قطره دم فى عروقهم.

و كثيرا ما ينسبون افكارهم الى الله لإعطائها المزيد من الشرعيه، و لإتاحه الفرصه لأنفسهم للمزيد من الابتزاز، و قد يستخدمون رجال الدين المزيفين لهذا الغرض البشع.

و أخطر من ذلك أنهم قد يدعون النبوه، و أن الله يوحى إليهم، أو حتى يكابرون على ربهم، و يزعمون أن خرافاتهم و ضلالاتهم مثيله لبصائر رسالات الله و هداها.

هذا الفريق أظلم الناس جميعاً.

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً و لعل هذه الكلمه تشمل كل من يدعى كذباً أنه قد فهم الحقيقه حتى و لو لم ينسب كلامه الى الله مباشره، إذ أن مجرد هذا الادعاء يجعل هذا العمل مرتبظاً بالله سبحانه.

أَوْ قَالَ أَوْحَى إِلَيَّ وَ لَمْ يُوحِ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَ مَنْ قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ

عند ما تنتزع الروح:

اما جزاء هؤلاء فيصوره القرآن الحكيم، في لحظه مفارقه الدنيا، تلك التي من أجل متاعها الزائل تسبب هذا الفريق المجرم في حرمان الأملوف من البشر حقوقهم، أو حتى في هلا-كهم، عند ما تهبط عليهم ملائكه العذاب و هم في أشد لحظات الفزع و الاحتضار، حيث تغمرهم أمواج الموت موجه بعد أخرى، و الملائكة واقفون على رؤوسهم، و قد بسطوا أيديهم الغليظه، و هم يقولون بكل عنف: أخرجوا أنفسكم، و ينتظرون انتزاعها لتعذيبها بعذاب الهون.

وَ لَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَّاتِ الْمَوْتِ وَ الْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرَجُوا أَنْفُسَكُمْ ان تصور هذه اللحظات الحاسمه ينفع كل واحد منا في الأتورط في ظلم الآخرين.

الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ اما العذاب ف..

بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ اما الهون و الخزي و العار فانه جزاء الاستكبار.

وَ كُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ

من لضعف الى الضعف:

[٩٤] لماذا يستكبر الإنسان عن الحق، و يخترع أفكارا باطله، و ينشرها بين

الناس، و يمنع الجماهير من نعمه الله؟ هل لأنه يريد جاهها أو مالا- أو قوه، و اين تذهب أمواله و شفعاؤه عند ما تأتيه ملائكه الموت؟! وَ لَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَنْتُمْ ضِعْفَاءُ، بدليل أن خلقكم الاول، مبنئ على الضعف و الانفراد، و انما بسبب نعم الله عليكم التى لم تصبح جزء من كيانكم، بل لم تصبح ملككم أصبحتم كذلك و أنتم تحسبون انكم أقوياء، لقد خول الله لكم هذه النعم. أى أعطاكم إذنا باستخدامها فى طرق معينه، و سوف تذهب عنكم حينما يشاء الله.

وَ تَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ أما المجتمع الفاسد الذى اعتمدتم عليه فى اختراع هذه الأفكار و ترويجها، اما الطبقة المترفه و المفسده، كالأسماليين الكبار، و رجال الأمن الفاسدين، فهم الآن غائبون عنكم، فأين هم؟! وَ مَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَ كُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ اى انفصلت القوى الرابطه بينكم و بينهم، أما الأفكار الجامعه بينكم و بينهم كفكره الطبقة الحاكمه أو الحزب الطليعى، أو النخبه المثقفه، هذه الخرافات التى اخترعتموها لاستثمار الجماهير قد تلاشت و غاصت فى الرمال.

وَ ضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ من الشرك بالله و اعتقادكم بأفكار باطله.

إشارة

إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمْ اللَّهُ فَانَّى تُؤْفَكُونَ (٩٥) فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَيِّكِنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكُمْ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (٩٦) وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٩٧) وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ (٩٨) وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ لَبَاتٍ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَذَاتٍ مِنْ أَعْدَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظُرُوا إِلَيْهِ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٩٩)

اللغة

[٩٨]فمستقر:مستقر في أرحام الأمهات.

[و مستودع]:في أصلا ب الرجال.و جاء في الحديث عن أبي عبد الله ان المستقر هو الثابت من الايمان و المستودع هو الايمان العوارى الذى يبقى لفته من الوقت ثم يزول.

هدى من الآيات:

كيف يختار لنا الشيطان طريق الضلاله و الافك و الانحراف عن مسيره التوحيد، و الله هو الذى خلق الحب و النوى، و هو الذى يحيى الموتى و يميت الأحياء، و هو الذى يخرج الإصباح من رحم الظلام، و يجعل الليل مأوى للأحياء حيث يسكنون الى ظلامه و هدوئه، و سواء الصباح أو الليل، فهما يجريان وفق نظام دقيق يدل على علم المدبر لهما و قدرته.

و مواضع النجوم، و حركتها المنظمه مدبرتين بحكمه بالغه، لا- يكشفها الا- أهل العلم و المعرفه، و لا يعرفون مدى ما فيهما من حكمه، فيتساءلون: إذا كنا نهتدى بالنجوم على الطريق فى الليالى المظلمه، فكيف لا نهتدى الى الله بآياته الباهره؟ و إذا أمعن البشر النظر فى طريقه تناسل الإنسان، و كيف انشأ الله كل البشر من نفس واحده، فمنهم من يستمر فى البقاء، و منهم من يموت، و مال هذا يموت و ذلك يحيى؟! و إذا ما أوتينا الفقه عرفنا ما وراء الموت و الحياه من حكم بالغه تدل

على حكمه ربنا و قدرته.

و الله هو الذى أنزل المطر، فاذا به يتحول بقدره الله الى شتى أنواع النباتات، من حقول خضراء الى جنان النخيل و الأعناب و الزيتون و الرمان بعضها متشابه و بعضها مختلف، و حين ينظر المرء الى ساعه أثمارها، و لحظه ينعها ينبر بها، و عموما فان البشر بحاجة الى فطره سليمه، و غير معقده ضد الايمان حتى يهتدى بهذه الحقائق الى الرب الكريم.

و من الملاحظ ان القرآن الحكيم قد قسم الآيات على أنواع: بعضها للعالمين، و بعضها للفقهاء، و البعض للمؤمنين، للدلاله على تدرج المراحل، الكماله فى البدايه علينا ألا- نكون فى إفك و ضلاله، و تكون القلوب نظيفه من العقد و العقائد الباطله، ثم نحصل على العلم، ثم نتعمق فى العلم، حتى نحصل على غور العلم، و عمقه و هو الفقه، و أخيرا ننظر الى الحياه نظره بسيطه، نابعه من الفطره النقيه، حتى نصبح مؤمنين بأذن الله.

هذا الدرس يأتى حلقه من مسلسل الدروس الايمانيه المباشره، بينما كانت الدروس السابقه تمهد لمثل هذا الدرس.

بينات من الآيات:

النشأه الاولى:

[٩٥] الفلق هو: ان ينشطر شىء فينكشف عن شىء خفى، و الحب تكمن فيه المواد الحيه، و لكنها تبقى خفيه حتى تنفلق و تنشطر، فينكشف عن تلك المواد، و لكن هذه الحاله بحاجة الى من يدبرها حتى ينفلق الحب بتنظيم و متانه و رفق، حتى تتم الولاده سليمه، و الله هو ذلك المدبر العزيز.

ص: ١٤١

إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى وَالْكَلِمَةَ تَدُلُّ عَلَى طَرِيقِهِ النِّشَاءُ، وَهِيَ أَنْ نَمُو الْمَوَادَّ الْحَيَّةَ بِسَبَبِ فِي انْقِشَاعِ الْغُلَافِ الظَّاهِرِ الَّذِي يَخْفَى وَرَاءَهُ تِلْكَ الْمَوَادُّ، فَإِذَا بَنَى نَشَأَ الْحَيَاءَ، بَيْنَمَا كَانَتْ الْحَيَاءُ مَوْجُودَةً سَابِقًا، وَلَمْ تَكُنْ مَعْدُومَةً آتِيًا، وَلَكِنَّهَا كَانَتْ مَخْزُونَةً إِلَى هَذَا الْوَقْتِ.

وَهَذَا النَّمُو يَتِمُّ بِإِضَافَةِ الْمَوَادِّ الْمَيِّتَةِ إِلَى الْمَادَّةِ الْحَيَّةِ، فَتَصْبِحُ تِلْكَ الْمَوَادُّ الْمَيِّتَةُ ذَاتَ حَيَاةٍ بِإِضَافَتِهَا إِلَى تِلْكَ الْمَادَّةِ الْحَيَّةِ، فَالْحَبُّ فِيهِ مَادَّةٌ حَيَّةٌ تَسْتَقِي مِنَ الْأَمْلَاحِ الْمَيِّتَةِ، وَمِنَ النُّورِ الْمَيِّتِ وَمِنَ الْمَاءِ، فَتَصْبِحُ حَبًّا كَبِيرًا، فَإِذَا انْتَهَى دَوْرُهُ الْحَيَاءَ، فَان تِلْكَ الْمَوَادُّ الْمَيِّتَةُ تَزَالُ عَنِ تِلْكَ الْمَادَّةِ الْحَيَّةِ. وَرَبَّمَا يَكُونُ هَذَا الْمَعْنَى قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ:

يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَ مُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمْ اللَّهُ أَوْ يَكُونُ مَعْنَاهُ: إِنَّ اللَّهَ يَخْرِجُ مِنَ ضَمِيرِ الْأَشْيَاءِ الْمَيِّتَةِ شَيْئًا حَيًّا، وَمِنْ رَحْمِ الْأَشْيَاءِ الْحَيَّةِ شَيْئًا مَيِّتًا، وَبِتَعْيِيرِ آخَرَ يَحُولُ الْحَيُّ إِلَى مَيِّتٍ، وَالْمَيِّتُ إِلَى حَيٍّ، سُبْحَانَهُ.

فَأَنِّي تُؤَفِّكُونَ فِي أَيِّ ضَلَالَةٍ تَتِيهُونَ، وَ أَى إِفْكَ يَحْمَلُ عَلَيْكُمْ، وَيَفْرَضُ عَلَيْكُمْ.

أَنَّ الْخَلَاصَ مِنَ الْإِفْكَ الَّذِي تَفْرَضُهُ عَلَى الْبَشَرِ أَهْوَاؤُهُ وَ مَجْتَمَعُهُ وَ الشَّيْطَانُ الرَّجِيمُ، شَرْطٌ مُسَبِّقٌ لِفَهْمِ الْحَقَائِقِ بِبَصِيرَةِ الْفِطْرَةِ النَّقِيَّةِ.

[٩٦] وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ هُوَ الَّذِي خَلَقَ النُّورَ، وَ فَلَاقَهُ وَ نَشَرَهُ، وَ نَظَّمَ انْتِشَارَهُ. كَمَا جَعَلَ الظَّلَامَ فِي حُدُودٍ مَعْيَنَةٍ وَ لِهَدَفٍ مُحَدَّدٍ وَ هُوَ السُّكُونُ إِلَيْهِ وَ الرَّاحَةُ.

فَالِقُ الْإِضْبَاحِ وَ جَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ حُسْبَانًا

جعلهما يسيران وفق نظام ثابت و محسوب، لا يحيدان عنه قيد أنمله.

ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ فَبَعْلَمَهُ سُبْحَانَهُ وَضَعِ الْخَطَةَ، وَبَعَزْتَهُ أَجْرَاهَا.

بين العلم و الهدى:

[٩٧]مواقع النجوم، و ما فى السماء من كواكب سياره، و نجوم ثوابت، بالرغم من دوران الشمس و القمر، انها من آيات الله العظيمه، اننا نهتدى بها فى ظلمات البر و البحر، و هذا الاهتداء يتم لعلنا بثبات هذه المواقع، و بأنها دليل على وجود ثبات فى سنن الكون، و بالتالى على أن للكون أنظمه بالغه الدقه، و أن هذه الآيات وضعها الله ليهدى البشر إليها و ليستفيد منها، أ فلا تدل هذه الآيات على الواحد القهار؟! إذا كنا نهتدى بالنجوم على السبل السليمه فى الحياه، أ فلا نهتدى بها على من وضع هذه السنن ما دامت طريقه الاهتداء واحده، و هى الانتقال من علامه الى ما ورائها من الحقيقه؟! وَ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ قَدْ فَضَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ لأنه من دون العلم و المعرفه لا يمكننا بلوغ معرفه الحقائق، و فى هذه الآيه جاء التأكيد على دور العلم خصوصا فى معرفه الآيات المفصله.

دوره المياه:

[٩٩]التنوع فى الحياه دليل آخر على حكمه الله و علمه و قدرته، فبالرغم من وحده الهدف العام، فانك ترى كل شىء فى الحياه يحقق هدفا معينا يتكامل مع سائر

ص: ١٤٣

الاهداف فى وحده شامله لها جميعا، و اننا نجد الاهداف كلها تتحقق بذات الوسائل الواحده، و ذلك عن طريق احداث تغيرات بسيطه فى طريقه تركيبه المواد مع بعضها، و فى كميته كل ماده و ما أشبهه، فالأرض تسقى بماء السماء، فالماء هو الماء، و الأرض هى الأرض، و لكن النبات يختلف لونه و طعمه و فائدته، و الهدف من خلقه، و كل نبتة أنشئت لهدف محدد يتكامل، مع سائر أنواع النباتات.

وَ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً تَرَىٰ كَمَا هِيَ حَكْمُهُ رَائِعُهُ أَنْ يَنْزِلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً، وَ الْمَاءُ مِنْبَعُهُ فِي الْأَرْضِ، وَ هُوَ مَالِحٌ، وَ لَكِنَّ اللَّهَ يَحْلِيهِ بِالتَّبْخِيرِ، ثُمَّ يَرْفَعُهُ إِلَى السَّمَاءِ، وَ يَضِيفُ إِلَيْهِ هُنَاكَ الْمَوَادَّ الضَّرُورِيَّةَ لِلزَّرْعِ، بِبَعْضِهَا عَنْ طَرِيقِ احْتِكَاكِ السَّحَابِ بِبَعْضِهَا مِمَّا يَحْدِثُ الرِّعْدَ، وَ بَعْضِهَا عَنْ طَرِيقِ امْتِزَاجِ الْمَاءِ بِالْهَوَاءِ، ثُمَّ حِينَ تَمَطَّرُ السَّمَاءُ يَتَوَزَعُ هَذَا الْمَاءُ فِي كُلِّ أَرْجَاءِ الْأَرْضِ السَّهْلِ وَ الْجَبَلِ، وَ الْمَدِينَةِ وَ الصَّحْرَاءِ لِيَحْقُقَ أَهْدَافًا مُخْتَلِفَةً.

أولا تهدينا هذه الآية الى ربنا القدير، ثم أنظر الى آثار الماء الذى يهبط من السماء.

فَأَخْرَجْنَا بِهِ بُيُوتًا مِمَّا كُنَّا بَارِئِينَ مِنَ الْبَشَرِ، وَ كُلَّ شَيْءٍ نَسُفُهُ بِالسَّيْلِ، وَ كُلَّ شَيْءٍ نَسُفُهُ بِالسَّيْلِ، وَ كُلَّ شَيْءٍ نَسُفُهُ بِالسَّيْلِ، وَ كُلَّ شَيْءٍ نَسُفُهُ بِالسَّيْلِ.

فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا كَالْحِنْطَةِ وَ الشَّعِيرِ وَ الذَّرَّةِ وَ مَا أَشْبَهَ مِمَّا يَتَرَاكُمُ إِلَى بَعْضِهَا لِفَائِدَتِهِ الْمُجْتَمِعِ، حَتَّىٰ يَكَادُ الْبَشَرُ يَعْجُزُ عَنْ اسْتِيعَابِ الْفَائِضِ مِنْهُ، فَإِذَا بَعْضُ الدُّوَلِ تَحَرَّقَ الْمَزِيدُ مِنْهَا، وَ بَعْضُهَا تَلْقِيهِ فِي الْبَحْرِ.

وَ مِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ تَعْطِيكَ تَمْرَهَا بِسَهْوِهِ بِالْإِضَافَةِ إِلَى رُوعِهِ جَمَالِهَا، وَ سَائِرُ فَوَائِدِهَا.

وَ جَذَاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَ الزَّيْتُونِ وَ الرُّمَّانِ مُشْتَبِهًا وَ غَيْرَ مُتَشَابِهٍ وَ لِحْظِهِ وَ لَوَادِهِ الْحَيَاةَ لِحْظُهُ رَائِعَةٌ، لِأَنَّهَا أَقْرَبُ إِلَى الْفَهْمِ الْعَمِيقِ لِطَبِيعِهِ الْحَيَاةَ، وَ لَمَّا فِيهَا مِنْ حِكْمِهِ وَ نِظَامِهِ، وَ لَمَّا تَحْتَوِي عَلَيْهَا مِنْ شَوَاهِدٍ عَظِيمَةٍ عَلَى طَبِيعَتِهَا الْمَحْدُودَةِ الْمَحْكُومَةِ بِمَا فَوْقَهَا مِنْ أَرَادِهِ وَ عِلْمِهِ وَ قَدْرِهِ. لِذَلِكَ يَأْمُرُنَا اللَّهُ بِالنَّظَرِ إِلَى هَذِهِ اللَّحْظَةِ.

أَنْظُرُوا إِلَيَّ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَ يُنْعِمُ أَنْ هَذِهِ الْعَبْرُ الْمُنْتَشِرَةُ فِي الْحَيَاةِ بِحَاجَةِ إِلَى الْإِيمَانِ بِهَا حَتَّى يَعْرِفَهَا وَ يَسْتَوْعِبَهَا الْبَشَرُ إِذْ مِنْ دُونَ الْإِيمَانِ يَقْتَصِرُ نَظَرَ الْبَشَرِ إِلَى الْحَيَاةِ ذَاتِهَا، دُونَ النَّظَرِ إِلَى مَا وَرَائِهَا مِنْ حِكْمِهِ وَ غَايَةِ مَعْقُولِهِ، أَوْ لَمَّا فِيهَا مِنْ شَهَادَةٍ عَلَى الرَّبِّ الْكَرِيمِ.

إِنَّ فِي ذَلِكَُمْ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ

الامام على عليه السلام المثل السامى للمؤمن الصادق كان يقول :

(ما رأيت شيئا الا و رأيت الله قبله و بعده و معه)

إشاره

وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَہُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُصِفُونَ (١٠٠) بَدِيعَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
أَنِّي يَكُونُ لَهُ لَمَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (١٠١) ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ
شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (١٠٢) لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (١٠٣)

اللغه

١٠٠ [و خرقوا]: حكموا.

١٠١ [بديع]: بمعنى المبدع، والفرق بين الإبداع والاختراع أن الإبداع فعل ما لم يسبق الي مثله، والاختراع فعل ما لم يوجد سبب له، ولذلك يقال البدعه لما خالف السنه لأنه احداث ما لم يسبق اليه.

ص: ١٤٦

هدى من الآيات:

إذا تدبرنا فى الآيات الكونية التى أشار إليها القرآن الحكيم فى الدروس الماضيه، نجد ان الله يعطينا معرفه بذاته، و يأتى هذا الدرس لىذكرنا ببعض الصفات الالهيه التى يعرفها المؤمن بسبب معرفته بربه، و كلما زادت معرفه الإنسان بالله زادت معرفته بصفاته و أسمائه الحسنى، و من ثم معرفته بسائر المعارف التوحيديه كالعدل و النبوه و الامامه و المعاد و ما إليها.

فى البدايه يذكرنا القرآن بان الله هو الذى خلق الجن، و لكن الساذجين من البشر يزعمون بأن الجن شريك، كما انهم قالوا «كذبا» ان لله بنين و بنات، و هذا يدل على عدم علم بالحقيقه، و لا معرفه بالله المتعالى عن الصفات السيئه.

هو الذى خلق الأشياء من العدم خلقا إبداعيا دون أن تتولد منه الأشياء، حتى يحتاج الى آخر مكمل له يتولد منهما معا، كما البشر بحاجه الى صاحبه حتى يتولد منهما الطفل.

و أخيرا فان الله هو الذى خلق كل شىء، و أحاط بكل شىء علما، و على البشر ان يخلص عبادته لله، لأنه الرب، و لأنه الوحيد، و لأنه مهيمن على كل شىء، يدبر أمر الخلق، و يجرى فيه السنن و الانظمه فهو علينا و كيل.

بينات من الآيات:

حين يجهل المخلوق قدر خالقه!؟

[١٠٠] القوى الغيبية التى يشعر البشر بوجودها (بطريقه أو بأخرى) يجهل عاده طبيعتها، و يزعم انها قوى منفصله عن قدره الله المهيمنه على الحياه، أو حتى أنها آلهه و شريكه للاله العظيم فى العلم و القدره، و قد يتطور هذا الزعم الى خرافه عباده الجن و المرتبطين بالجن، من الناس كالكهنة و سدنه المعابد، الى جانب الايمان بالله و برسالاته.

بينما الحقيقه: ان هذه القوى الغائبه عن الأنظار، سواء كانت عاقله و مريده كالجن و الملائكه، أو لا كقوه الكهرباء و الجاذبيه و ما أشبه، انما هى مخلوقات كسائر المخلوقات الماديه، منتهى الأمر ان علمنا بها محدود.

وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَ خَلَقَهُمْ اللَّهُ خَلْقَهُمْ وَ الْجِنَّ، لأنه هو الاخر يتميز بذات الصفات التى تتمثل فى سائر الموجودات مثل: المحدوديه و الجهل و التعدد و التكاثر، و كلها صفات المخلوق، و المخلوق سواء كان ظاهرا أو غائبا فهو المخلوق.

وَ خَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَ بَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ نسبوا الى الله تهمه بعيده جدا عن الحقيقه، بل هى خرق للفطره، و لما هو معلوم

من سنن الحياه: تلك هي أن بعض هؤلاء الشركاء قريب الى الله، فزعموا انها أبناء لله أو بنات له- سبحانه- وليس أصحاب هذه التهمه على علم بهذه الفكره الخرقاء، و هنا يظهر مدى بطلان كلامهم. إذ كيف يمكن ربط شيئين ببعضهما، و الادعاء بأن هذا قريب من ذلك، من دون اى دليل أو شاهد، و ربما تشير الآيه الى أن طاعه أحد باسم طاعه الله انما هي شرك و ضلاله ما دام الله لم ينزل على ذلك سلطانا و برهانا مينا.

ثم ان نسبه شىء الى الله سبحانه، باعتباره بنتا أو أبنا له لدليل على عدم معرفتهم بالله، إذ ان من يعرف الله يعرف أنه منزّه عن الشرك، و متعال عن صفات الخلق، ان هذه الصفات هي صفات المخلوقين، و لاننا نجد مثل هذه الصفات فى المخلوقات، نعرف ان الخالق منزّه عنها، و لو نسبنا الى الله سبحانه مثلها، إذا لاحتاج هو الاخر الى رب أعلى، لأنها تدل على انه بدوره مخلوق مثل سائر المخلوقات.

سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَىٰ عَمَّا يُصِفُونَ وَ يَنْسُبُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مِنْ صِفَاتِ الْمَخْلُوقِينَ.

الخلق و ليست الولاده:

[١٠١] يبدو ان الآيه السابقه نفت الفكره القائله بأن هناك فى عالم الالوهيه درجات، كل اله له درجه، بعضها كالأب و بعضها كالابن، بيد ان هذه الآيه تنفى وجود التوالد و التناسل، فيذكرنا القرآن هنا: بأن نشوء الخلق ليس كما يزعم المبطلون، من أنه عن طريق التوالد، بل هو عن طريق الخلق المباشر.

بَدِيعَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ

إذ ما من شيء يلد إلا وكان له صاحبه. إذ من دون ذلك من المستحيل الولادة، إذ يسبب في نقصان الشيء الأول وانهائه، وإذا كان ربنا بحاجة إلى جزء مكمل حتى يخلق الخلائق، فما الفرق بينه وبين أي مخلوق آخر، ولماذا أساسا نعتقد بوجوده؟ إن المخلوقات تشهد على عجزها وحاجتها إلى الخالق وبحاجتها إلى بعضها، ولا بد أن يكون الخالق بريئا من ذلك، ولنفرض مثلا حاجة شيء إلى شيء آخر لتتم عملية خلق شيء ثالث، أفلا يحتاجون إذا إلى قوانين و انظمه لهذا التزاوج حتى يتم وكيف وبأى قدر وكميه؟ بلَى و من يضع هذه القوانين، و من يجريها؟ أو ليس شخص ثالث؟ و هو أعلى منهما؟ إذا هو دون هذين الشخصين.

وَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقًا مَسَاوِيًا، فَنَسَبَهُ إِلَى شَيْءٍ إِلَيْهِ هِيَ نَسَبُهُ سَائِرِ الْأَشْيَاءِ دُونَ زِيَادِهِ أَوْ نَقِيصِهِ فَهُوَ خَالِقُهُمْ جَمِيعًا.

وَ هُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ [١٠٢] و هذه بالضبط، صفات الخالق من دون المخلوقين، انه برىء عن نسبه البنين و البنات اليه و عن الأولاد و صاحبه، و عن الضعف و الجهل، فهو الذى تشهد فطرتنا بأنه الخالق الذى نتطلع اليه.

ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَ هُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ و العباده لا تنبغى إلا له، لأنه خالق الأشياء، و لأنه الذى بيده أمور الأشياء، فهو الذى يجرى عليها الانظمه، و يهيمن على أمورها اليوميه.

[١٠٣] و صفة حسنى لله، هى صفة القرب المتعالى، فبالرغم من ان الأبصار لا تدركه لأنه متعال عن الحدود و الأبعاد و الاتجاهات و الأبصار، كما العقول لا تدرك شيئا مطلقا لا حدود له و لا أبعاد، بالرغم من ذلك فهو قريب من الأشياء، فهو يدرك الأبصار، و يحيط علمه بما فى العقول و الأفكار.

□ لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَ هُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَ هَذِهِ الصِّفَةُ تَدُلُّ عَلَى مَنْتَهَى اللَّطْفِ، حَيْثُ أَنَّهُ يَدْرِكُ كُلَّ شَيْءٍ لِأَنَّهُ يَحِيطُ بِكُلِّ شَيْءٍ.

وَ هُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ

اشاره

قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَ مَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَ مَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ (١٠٤) وَ كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ وَ لِيَقُولُوا
دَرَسْتَ وَ لِيُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (١٠٥) اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَ أَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ (١٠٦) وَ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا
أَشْرَكُوا وَ مَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا وَ مَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ (١٠٧) وَ لَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ
كَذَلِكَ زَيْنًا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٠٨)

اللغه

١٠٥ [درست]:الدرس أصله استمرار التلاوه،و درس الأثر دروسا إذا انمحي لاستمرار الزمان به،و درست الريح الأثر دروسا محته
باستمرارها عليه.

١٠٨ [عدوا]:اعتداء و ظلما.

ص:١٥٢

هدى من الآيات:

بعد ان ذكّرت آيات الدرس السابق بالله سبحانه، جاءت هذه الآيات لتؤكد المعنى الذى سبق فى الدروس السابقه و هو أن وجود الآيات لا يكفى فى هدايه البشر، بل إذا لم يرد الإنسان لنفسه الاهتداء، فانه لا يهتدى و هو المسؤول عن ذلك.

و تصريف الآيات اى ذكرها بصفه مكرره انما هو بهدف توضيح الحقائق لمن يعلم أنه يجب عليه أن يتبع الحقائق، دون خوف ممن يخالفها كالذين أشركوا، و المشركون لا- يعجزون الله إذ لو شاء الله ما أشركوا، فشرکهم انما هو بإذن الله (دون ان يكون برضاه سبحانه) و الرسول ليس مسئولاً عن شرکهم، و لا هو و كيلهم، انما عليه ان يبلغهم الرساله، ثم إذا لم يستجيبوا يعرض عنهم الى غيرهم.

ان الشرك مزلل لأهله حتى انهم أصبحوا يقَدِّسون أصنامهم، و لا يجوز سب هذه الأصنام لأنهم آتخذ سوف يسبون الله ظلما و عدوانا. و ان الله الذى سوف يرجعون اليه سوف يجزيهم بما فعلوا، و كيف أنهم خالفوا الحقائق.

و يبدو أن معرفه العلاقة المعقوله و المناسبه بين من يؤمن و بين من يشرك.ذا أمر ايجابى فى استيعاب المؤمنين للحقائق.إذ من دونها ينشغل ذهن المؤمنين بمصير المشركين.

بينات من الآيات:

بصائر الرساله و مسئوليته الاهتداء:

[١٠٤]البصيره هى الآله التى تساعد على التبصر،و القرآن بصائر،لأنه يحتوى على مناهج للفكر و آيات للحقيقه،و القرآن يزكى النفس،و يرفع عنها حجاب الكبر حتى ترى الحقيقه.

قَدْ جَاءَكُمْ بِبَصَائِرٍ مِنْ رَبِّكُمْ و الكلمه المشهوره فى أدبنا الحديث و التى تستخدم مكان البصيره هى الرؤيه،بيد ان البصيره(و جمعها بصائر)أقرب الى المعنى المطلوب ذلك لان الرؤيه تطلق حيناً على الأبصار،و حيناً على اتخاذ رأى،بينما البصيره هى التى تساعد على عمليه الأبصار، و مشاهده الحقائق عن كثب من دون احتمال للخطأ.

و القرآن لا- يحملك رأياً،أو يفرض عليك اتجاهها فكرياً،بل يساعدك على تلمس الحقيقه مباشره من دون وسائط،بيد ان لارادتك دورا فى ذلك،فان شئت استخدمت البصيره،و الا فأنت كمن لا يستخدم عينه فلا يرى.

فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَ مَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا و الرسول هو الآخر لا- يهدف تحميل رؤيه عليك لأنه ليس حفيظاً عليك.أى إن الله لم يكلفه بحفظك و هدايتك،بل أنت المسئول عن نفسك.

وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ [١٠٥] أو الآيات هذه بينها الله بيان واضح.

وَكَذَلِكَ نَصْرَفُ الْأَيَّاتِ وَليَقُولُوا دَرَسْتَ وَ لِيُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ قالوا في معنى الآية: ان تصريف الآيات، و ذكر بعضها بعد بعض و تنزلها بصورة تدريجية يعتبر زياده في شقاء الضالين و زياده بيان للمؤمنين.

ذلك لان الكفار كانوا يتخذون من تنظيم نزول القرآن ذريعه لكفرهم فيقولون:

ان النبي يتعلم من العلماء و يدرس عندهم و يتفكر في المسائل و يدرسها ثم يحولها الى آيات. و إلا- فلم لم يأتى بها جملة واحده كما فعل موسى.

[١٠٦] و على البشر ان يتبع الوحي دون نظر للآخرين الذين لا يؤمنون، لأن أولئك مسئولون عن أنفسهم، و انا بدورى مسئول عن نفسى، فالانشغال بهؤلاء قد يجعلنى انحرف قليلا أو أترك جانبا من الوحي، ان المقياس الاول و الآخر هو الحق، و على البشر أن ينظر اليه فقط فى مسيرته.

اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَ أَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ [١٠٧] و التفكير فى المشركين و فى مصيرهم، و أنه لما ذا يذهبون الى النار بالرغم من أنهم بشر مثلنا؟ هذا التفكير يجعلنا نشبهه فى بعض الحقائق، أو لا أقل لا نتبع مسيرتنا الى نهايتها، لذلك يذكرنا القرآن بأن شرك المشركين ليس بمعجز لله، بل هو ضمن اطار اذن الله و هيمنته على الكون، و إذا كان على البشر أمر أكثر من مجرد دعوتهم الى الايمان. لكان الله سبحانه يفعل لهم ذلك.

وَ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَ مَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا وَ مَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ

فانتظارهم خطأ لأننا لسنا مكلفين بحفظهم أو وكلاء عنهم.

لا تسبوا المشركين:

[١٠٨] دع المشركين في ضلالهم، انهم بعد أن أرادوا الشرك و اختاروه على الهدى، وكلهم الله الى أنفسهم، و زين لهم الله أعمالهم، لذلك فهم يقدسون منهجهم في الحياه، و من الخطأ أن يسب المؤمن مقدسات المشركين، لأنه سوف يسبب في رد الفعل من جانبهم، فیسبوا الله ظلما و عدوانا، و لأنه قد زين لهم هذه الأعمال، فلما ذا نكلف أنفسنا، و أننا نعلم ان مصير هؤلاء الى الله حيث يحاسبهم و يجازيهم؟! و لا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيْنًا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ إذا: يجب الاعراض عن المشركين و الاستمرار في بناء الكيان الاسلامي، بعيدا عنهم لأنه لا أمل فيهم، و حسابهم غدا على الله.

ص: ١٥٦

إشاره

وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لِيُؤْمِنُوا بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ (١٠٩) وَ
نُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (١١٠) وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُم
الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ يَجْهَلُونَ (١١١)

اللغه

١١١ [قبلا]: معانيه.

ص: ١٥٧

هدى من الآيات:

فى سياق الحديث عن ضروره الاعراض عن المشركين باعتبارهم معاندين، فى هذا الدرس، يتابع القرآن هذا الحديث ببيان ان المشركين يحلفون بالله-الايمان المغلظه-انهم سوف يؤمنون بشرط نزول آيه معينه عليهم، أو دليل قوى، بيد أنهم يكذبون، وبالرغم من ان الله قادر على ان ينزل آيه مما يطالبون بها، ولكن ما الضمان لقبولها ما داموا يرفضون الآيات الواضحه، و تحدثنا الآيه الثانيه، عن أن الكفر بالآيات يسبب فى تبديل القيم و المقاييس، و عدم قدره الفكر على التمييز، ذلك لان الكفار طغاه و الطغيان يحجب العقل، و يدع القلب مظلمًا.

و فى الآيه الاخيره: يذكر القرآن انه حتى لو أنزل الله أكثر الآيات وضوحًا، مثل نزول الملائكه، و تكلم الموتى، و حشر كل شىء أمامهم، فإنهم لا يؤمنون لأن الجهل محيط بأكثرهم.

الايمان الكاذبه:

[١٠٩] التعرف على طبيعه المشركين، يساعدا في تكوين علاقات سليمة معهم، انهم انما يكفرون استجابا لشهواتهم، أو تسليما لضغوط مجتمعهم، أو خشية من طاغوت حكومتهم، أو ما أشبهه، ولكنهم يبررون كفرهم بأنهم غير مقتنعين بالحق، أو ان الآيات و المعاجز غير كافيه لهم، و لكي يبالغوا في تغطيه كذبهم و نفاقهم، لا- يدعون قسما الا- و يحلفون به على صدق نواياهم و هم كاذبون.

وَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ أَي بآخر ما يستطيعون عليه من الأيمان.

لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها أي آية معينه يذكرونها، أو آية يصدق عليها كلمه آيه- في زعمهم- مثل ان تكون آيه كبيره جدا كإحياء الموتى.

قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ فَاللَّهُ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ، و لكنه لا- يأتى بها إلا حين تقتضى حكمته، و ليس كلما شاءت أهواء الكفار، أو حتى اراده الرسول صلى الله عليه و آله الحريص جدا على هدايه الناس.

وَ مَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ و أى ضمان نملكه نحن لأيمانهم بعد مجيء مثل تلك الآيه، علما بأن هؤلاء

كفروا سابقا بكل الآيات الواضحه.

محكمه الفطره:

[١١٠] للإنسان فطره أوليه أنعم بها الله عليه، و بهذه الفطره يميز البشر الخير من الشر، و الهدى من الضلاله، و إليها يحتكم أهل الأرض حين يتنازعون، فالفداء و الإحسان و الشجاعه و السخاء و البطوله، صفات جيده، و عكسها رذيله، تجد هذا عند المسلم و الكافر، و الحضرى و البدوى، و حتى الإنسان البدائى شبه الوحشى، انها مقاييس عامه زود الله البشر بها ليتلمس بها طريقه.

و بهذه الفطره الاوليه عرف البشر ربه، و آمن به، و لكنه بعد أن تعرض لضغط الشهوات و الطغاه و الخرافات. استسلم لها و كفر بالله، و حين كفر بربه أرسل الله اليه الرسل، فمنهم من آمن و تحدى الضغوط، و منهم من كفر، و هؤلاء لم يفقدوا نعمه الرساله السماويه فحسب، بل أن الله سبحانه أفقدهم نعمه الفطره الاولى أيضا.

وَ نُقِلُّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَ أَبْصَرَهُمُ الْأَفْنَدَةَ هِى الْقُلُوبُ الَّتِى كَانَتْ سَابِقًا مَحَلًّا لِلْفَطْرَةِ النَّقِيهِ، و للمقاييس السليمه، اما الأبصار فهى الحواس التى تتبع القلوب، فاذا تحولت و تبدلت معايير البشر، فان حواسه هى الاخرى تتحول دون ان يقدر على الاستفاده السليمه منها، و آنئذ يصبح هؤلاء بسبب فقدان الفطره.

كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَ السَّبَبُ ان هُؤْلَاءَ طَغَوْا، و الطغيان يسبب قلب الافئده، و تبدل المقاييس.

فالبشر الذى يتبع عقله، و يتبع الحق، و الحق هو هدفه، مزود بمقاييس لمعرفة هذا

الحق، ولكنه حين يتبع شهوته، ويتبع ذاته، والذات الطاغية كل هدفه، ومقايسه في الحسن والقبح، والخير والشر، والفضيله والرذيله، هو الأقرب الى نفع ذاته و تحقيق هدفه اللامقدس من وراء شهواته، وتكون أصول دينه ثلاثه: الطعام والشراب والجنس، وأحكام دينه هكذا. الحلال ما حل باليد، والحرام ما حرم منه الإنسان، ان مصير هذا الإنسان، مصير الدول الطاغوتيه في العالم التي تصنع لذاتها مقاييس خاصه بها، وقوانين دوليه و محاكم و مجالس أمن.. إلخ. كلها بهدف دعم السلطات الطاغوتيه على رقاب الجماهير المحرومه، لذلك يحذر القرآن من مغبه الكفر بالآيات و يقول:

وَ نَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ لَا يَلْتَمِسُونَ طَرِيقَهُمْ لِأَنَّهُمْ طَغَوْا، بل ان هؤلاء يفقدون شيئاً فشيئاً المقاييس لمنفعه ذواتهم، فيخربون بيوتهم بأيديهم و أيدي المؤمنين.

[١١١] و دليل كذبهم و نفاقهم: أنهم لو أنزلت عليهم أكثر الآيات إثارة لم يؤمنوا.

وَ لَوْ أَنزَلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَ كَلَّمَهُمُ الْمَوْتَىٰ بِلِأَكْثَرِ مِنْ هَذَا لَوَ أَنَّ اللَّهَ حَشَرَ عَلَيْهِمُ السَّمَوَاتِ حَتَّىٰ يِقَابِلُونَهُمْ بِالْحَقِيقَةِ الصَّرِيحَةِ، كما إذا حشر عليهم الطيور فأمنت بالرساله مع ذلك ما آمنوا.

وَ حَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ فَيَهْدِيَهُمْ هُدَايَهُ مَفْرُوضَهُ عَلَيْهِمْ.

وَ لَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ

وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ۗ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۗ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ (١١٢) وَ لِتَصْنَعِيَ إِلَيْهِ أَفئِدَهُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ ۖ وَيَرْضَوهُ ۖ وَيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُّقْتَرِفُونَ (١١٣)

هدى من الآيات:

الدنيا دار ابتلاء، و الهدف مما فيها من صراع، هو فضح جوهر الأشخاص حتى يكون الثواب و العقاب وفق العمل لا وفق علم البارى سبحانه، و لقد قيض الله لكل رسول عدوا. ليكون قدوه لمن لا يؤمن بالآخرة. كما الرسول قدوه و امام للمؤمنين، و أعداء الرسالات يوحى بعضهم الى البعض أقوالا مزخرفة يتبعون بها غرور أنفسهم، و هذا الكلام يشبه الوحي الالهى فى انه مقدس عند من لا يؤمن بالآخرة.

و هنا جعل القرآن الخط الفاصل بين المؤمن و الكافر الايمان بالآخرة، و هذا يعنى ان غير المؤمنين بالآخرة لا يمكنهم الايمان باى شىء آخر من الحقائق.

و يأتى هذا الدرس ليبين جانبا من فلسفه الشرك عند أولئك الذين يرفضون الايمان بالله و رساله. حتى و لو جاءتهم كل آيه ممن ذكرهم القرآن الكريم فى الدرس السابق.

[١١٢] لنعرف ان هناك معاندين لا ينفع معهم الجدل، و أن موقف هؤلاء لا يعتمد على دليل مضاد فلا يبعث موقفهم فى أنفسنا الوهن و الشك، فنقول: لعل حديثهم ينطوى على جانب من الصحة فنخرج-لا سمح الله-من الايمان، لذلك جاء هذا الدرس و ما مضى ليؤكد على أن الله سبحانه ليس فقط حرم هؤلاء من نعمه الهدايه، و سلبهم نعمه الفطره النقيه، و انما أيضا نظم هؤلاء فى قياده مناهضه لامامه الرسول، و جعلهم يقلدون أساليب رساله حتى ان بعضهم يوحى الى البعض الاخر.

وَ كَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ وَالسُّوءِ: كيف جعل الله ذلك، هل خلق أعداء ليكونوا مناهضين للرساله؟ ربما الجواب السليم هو: ان هذه سنه من سنن الله فى الحياه، يذكرها القرآن هنا لتكون على بصيره منها لثلا نفاجئ بها، و لان كل السنن فى الكون من صنع الله لذلك يعبر عنها القرآن دائما بمثل هذه التعبيرات.

ان رساله التى تنتشر دون مقاومه أعداء لا بد ان يتهم أصحابها أنفسهم، لان هذه السنه لم تتحقق فيهم، و ان الرساليين الذين ينتظرون عملا سهلا و ميسورا.

انهم على خطأ ان شيطان الانس يتمثل فى مجتمع الطاغوت، و شيطان الجن يتمثل فى أهواء الجبت و المنافقين و ما أشبه.

يُوحَىٰ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غُرُورًا

وحى الرساله يتمثل فى البصائر التى تساعد البشر على رؤيه حقائق الحياه،بينما وحى أعداء الرساله و ثقافتهم الاسطوريه(المقدسه عندهم)يتلخص فى أقوال مزخرفه ذات أدب خاو مشع بالكلمات المفخمه،غير ذات المحتوى،اما روح هذه الكلمات فيتمثل فى الغرور،و نفخ الانانيه الباطله،ان هذا مقياس صادق لتمييز الثقافه الرساليه عن الجاهليه.

حيث ان الاولى تدعو الى تقديس الحق،و التواضع له،و نسيان الذات و الأرض، و الدم و اللغه،و الثروه و ما أشبه من أجل احقاق الحق،بينما الثانيه تقدس كل شىء مادي غير الصدق و الحق و الخير و ما أشبه.

وَ لَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَ مَا يَفْتَرُونَ فَلَا نَتَصَوَّرُ أَن هُنَاكَ ضَرُورَةٌ تَدْعُو إِلَى إِسْكَاتِ هَؤُلَاءِ، وَ تَصْفِيَتِهِمْ أَوْ هِدَايَتِهِمْ، إِذْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ لَفَعَلَ ذَلِكَ، فَهُوَ قَادِرٌ عَلَى ذَلِكَ وَ إِنَّمَا لَمْ يَفْعَلْ لِحُكْمِهِ بِالْغَيْبِ.

الايمان بالآخره و مسؤليه الضلال:

[١١٣] و من سنن الله فى الحياه ان نعيق أئمه الضلال،يستقطب الهمج الغناء الذين يفقدون الايمان بالآخره،فيكون امتحانا لهم أيضا.

وَ لَتَصِيغَنَّ إِلَيْهِ أَفْنِدَهُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ إِنَّمَا رَكَّزَ الْقُرْآنُ عَلَى الْإِيمَانِ بِالْآخِرَةِ، لِأَنَّ السَّبَبَ فِي عَدَمِ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَ هُوَ مَصْدَرُ كُلِّ مَعْرِفَةٍ وَ إِيْمَانٍ لَيْسَ عَدَمُ وَضُوحِ الشَّوَاهِدِ، فَاللَّهُ أَكْبَرُ شَهَادَةٍ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، وَ إِنَّمَا عَدَمُ الْخَوْفِ مِنَ الْعَاقِبَةِ، وَ أَسَاسُ قِصْرِ النَّظَرِ، وَ مَحْدُودِيَةِ الرَّؤْيَةِ بِمَا فِي عَاجِلِ الدُّنْيَا، بَلْ عَاجِلِ اللَّحْظَةِ الَّتِي يَعِيشُهَا الشَّخْصُ مِنَ الدُّنْيَا.

وَلِيَرْضَوْهُ وَ لِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ مِنَ الْجَرَائِمِ حَتَّى يَلَاقُوا جَزَاءَهُمُ الْعَادِلَ بَعْدَ عَمَلٍ وَعِلْمٍ بِذَلِكَ.

و انما قال ربنا: « وَ لِيَصْغِيَ إِلَيْهِ أَفْئِدَهُ » و لم يقل اسماع لان هذه الأفكار لمزخرفه تتناسب و خوائهم العقائدى فيقبلونها بأفئدتهم.

ص: ١٦٦

إشاره

أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغَىٰ حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ (١١٤) ۖ تَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدَّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (١١٥) وَإِنْ تُطِغْ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يَضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ (١١٦) إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (١١٧)

اللغه

١١٦ [يخرصون]: يكذبون.

ص: ١٦٧

هدى من الآيات:

بعد ان ذكر القرآن الحكيم الوحي الشيطانى فى الدرس السابق ذكّرت هذه الآيات بالوحي الالهى الذى لا يجوز اتخاذ غيره لأنه كتاب مفصل فيه تفصيل كل شىء، فلا نحتاج الى غيره و هو لا ريب فيه بالنسبه للمؤمنين. ففيه الثقه كلها، ثم انه يمثل الحق و العداله، بالاضافه الى كل ذلك فهو كتاب دائم، لا يتغير وفق تطورات الزمان و المكان، لان الذى وضعه هو الله الذى وضع سنن الحياه، و هو السميع العليم و علمه جديد قديم.

و فى مقابل رساله الله لا نجد سوى تخرصات الناس التى لا نجد فيها الا الظنون و الخيالات الفارغه التى لا يقدرّون هم أنفسهم من اليقين بها و الايمان بصحتها.

و الله سبحانه اعلم باتجاهات الناس الضالين منهم و المهتدين لان السبيل هو سبيل الله، و المقياس فى الضلاله أو الهدى هو الله الحق، فهو اعلم بذلك الحق، و أولى بأن نسأله سبحانه فى هدايتنا الى السبيل الأقوم المؤدى اليه سبحانه.

ان البشر يبحث عاده عن الحق و لكنه يضل عنه، و لا-ن الناس يختلفون في الحق، و لا- يمكن ان يجعل كلام بعضهم مقياسا و ميزانا لمعرفة و تمييز الحق عن الباطل، إذا فلنعد الى الله رب الناس، و من اليه منتهى طريق الحق ليهدينا الى الحق.

بينات من الآيات:

أنزل عليكم الكتاب مفصلا:

[١١٤]العالم يموج بالنظريات ذات الاتجاهات المتناقضة، و الحياه تتزاحم فيها السبل المختلفه، و الإنسان يولد مره واحده و يختار سبيله، و النظريات التي يعتقها يتحمل شخصيا مسئوليتها، و الناس لا- يمكن ان يكونوا حكما على بعضهم لأنهم يختلفون مع بعضهم اختلافا و اسعاعا، انما علينا ان نتوسل الى قوه أعلى هي قوه الله لتكون مصدر الهامنا بالنظره الصحيحه، و مصدر هدايتنا الى السبيل الا قوم.

أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكْمًا وَ اللَّهُ تَعَالَى لَمْ يَخُلْ بِالْهُدَايَةِ عَلَى عِبَادِهِ، بَلْ لَمْ يَكْتَفِ بِالْهُدَايَةِ الْمَجْمَلَةَ، وَ انما فصل الهدايه تفصيلا.

وَ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا فِيهِ عِلْمٌ كُلُّ شَيْءٍ بِحُدُودِهِ الْمَتَّعِيرَةِ، وَ حسب مراحل الزمانيه، فالقرآن لا يكتفى ببيان قبح الظلم و انما أيضا يفصل الحديث في أنواع الظلم و تفاصيل العداله.

و الكتاب هذا لا ريب فيه فبامكان البشر أن يؤمن به ببساطه، و دون تعقيد بشرط ان لا يكون معقدا و معاندا.

وَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ

الذين يجادلون في الحق بغير هدف سوى الجدل، لأنه لو لم يكن البشر ممتريا يستهدف المراء و الجدل، فانه سوف لا يشك في الكتاب.

الصدق و العدل وسيله و هدف الرسالات:

[١١٥] تتميز كلمات الله، و خلاصه و حيه الى البشريه بأنها تامه، و التمام بمعنى و فائها بكل الحاجات البشريه، و أنها صادقه تطابق الحق، و الحق هو ما فى الكون من أنظمه و سنن، و بما ان ربنا هو جاعل هذه الانظمه و مجريها، فانه سبحانه هدى البشر إليها عبر كلماته بصدق، و أن كلمات ربنا سبحانه عداله، حيث انها تعطى لكل فرد حقه، و لكل طائفه و قوم و جيل حقه، ذلك لان الله فوق الميول و الشهوات، و قادر و حكيم و عليم، لذلك لا يوجد لديه سبحانه اى سبب للظلم، من عجز و ما أشبه.

وَ تَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الْمَحْتَوِيَةَ عَلَى رِسَالَاتِهِ.

صِدْقًا أَى حَقًّا.

وَ عَدْلًا الصِّدْقُ هُوَ وَسِيلَةُ الرِّسَالَةِ وَ الْعَدْلُ هُوَ هَدْفُهَا.

□ لَا مُبَدَّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ

ص: ١٧٠

فبسمعه يحيط علما بكل صغيره و كبيره من حوادث الحياه،و بعلمه الواسع يحيط بأصل الحياه و أولها و آخرها و..و..،فعلمه جديد قديم.محيط بالجزئيات و الكليات، فهو إذا تام الكلمات صدقا و عدلا.

عند ما لا تتبع رسالتك!

[١١٦]الرساله الالهيه التامه قائمه على أساس الصدق و العدل،الصدق فى القول و العمل،و العدل كههدف لهذا الصدق،اما الثقافات الجاهليه،فانها قائمه على أساس الظن و التخرص،فما هو الظن؟ الظن:هو التصور النابع من الأهواء الذاتيه و الشهوات و الضغوط،أو هو ما تصنعه أنت فى ذهنك.لا لكى تطبقه على الواقع الخارجى،بل ليكون بديلا عنه، مثلا:تصورات الشعراء عن الحياه ظنون.لأنها لا- تهدف كشف الحياه كما هى، بل تهدف تصويرها حسب مذاق الشاعر،و لذلك قيل«الشعر أعذبه أكذبه» كذلك حين تتصور أن نظام الطاغوت يجب ان يبقى لا لشيء الا لأنه يحقق مصالحك الذاتيه،و قد تأتي بأدله متشابهه لإثبات ذلك،و لكنها جميعا تأتي لإثبات قصور مصدره حب الذات لا كشف الحقيقه.

و الظن يختلف عن العلم فى أنه قائم بذاته،بينما العلم قائم بالحقيقه،مثلا:

علمك ببزوغ القمر قائم على أساس وجوده،فاذا أفل زال علمك،أما إذا تصورت القمر على جدار بيتك،فان هذا التصور قائم بذاته،و مثله كلوحه جميله تصور القمر.

سواء كان هناك قمر أم لا.

و البشر قد يتبع الخرص و الاحتمال،و ذلك حين لا- يرى ضروره لكشف لحقيقه،فيفترض افتراضات حولها،مثلما كان الناس يقولون عن السماء و النجوم لأشياء لا برهان لهم بها سوى الاحتمال.

و أكثر البشر يتراوحون بين الظن و الخرص، لأنهم لا يملكون الهدى الرسالي، ذلك لان الهدى كمال لا يبلغه الا من جاهد نفسه و زكاها.

وَ إِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ [١١٧] و إذا كان أكثر البشر ضلالا، لأنهم يتبعون الظن، فكيف يمكن ان يميز الإنسان طريق الحق عن الضلال، ان عليه ان يتوسل بالله لأنه الحق الذي يميز الضلال عن الهدى.

إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ وَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ و لان منتهى السبيل، هو الوصول الى الله سبحانه، فهو دون غيره يهدى الناس الى السبيل، و يحدد من يضل عنه أو يهتدى اليه.

ص: ١٧٢

اشاره

فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنَّ كُنْتُمْ بآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ (١١٨) وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُررْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ (١١٩) وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ (١٢٠) وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ (١٢١)

هدى من الآيات:

يضرب الله مثلا على بصائر الدرس السابق، بان السبيل الى الحق هو السبيل الذى يؤدى الى الله، و الله سبحانه أعلم به، و أن ما سواه ضلاله و ظن و تخرص لذلك بين حكم الطعام الذى هو أبسط الضرورات، و مع ذلك يحرم جماعه أنفسهم منه لبعض الظنون التى لم ينزل الله بها سلطانا، فجاء أمر صريح بأكل ما ذكر اسم الله عليه، ثم تساءل القرآن عن سبب الاحجام عن أكل ذلك بعد أن أعطانا الرب قائمه بالمحرمات التى تصبح هى الاخرى حلالا- عند الضروره، و لكن مع ذلك فان البعض يضلون بسبب أهوائهم.

ان المحرّم هو الإثم الذى فضّله القرآن (ظاهره و باطنه) و كذلك الشرك بالله، و من مظاهره ان تذبح الذبيحه باسم الأصنام، و أولياء الشياطين يجادلون أهل الحق فى ذلك بوحي من الشياطين، و يشككونهم فى تحريم ما ذبح على النصب، أو الذى لم يذكر اسم الله عليه، و ان طاعه الشياطين فى حكم الشرك بالله العظيم.

[١١٨] قد تميل النفس البشرية الى الانطلاق (كما فى بدايه انفجار الحضارات) فتحلل كل حرام، و لا تتقيد بقيود الأخلاق و الآداب، و قد تنعكس فتميل نحو الانغلاق فتكتمش (كما فى حالات التخلف) فتحرم كل شىء، و تستقبح حتى الطيبات، اما المؤمنون فإنهم يتبعون الحق فى حالات الانطلاق و الانغلاق معا، دون الاتباع لأهوائهم، و لطبيعته نفسياتهم فى الظروف المختلفه، و الحالات الاجتماعيه المتباينه.

و القرآن يربط بين الايمان بالله، و بين أكل ما ذكر أسم الله عليه، لكى يكون المؤمن ملتزما فى تصرفاته-سلبا و إيجابا- بالمنهج السماوى.

فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ إى تلك الآيات التى أشار إليها القرآن فى الدرس السابق، و إذا كنتم مؤمنين بان الله أعلم بسبيل الهدى عن الضلاله، فاتبعوه فيما يأمركم به.

[١١٩] يتساءل القرآن عما يدعو البشر الى الامتناع عن أكل غير المحرمات.

وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَضَّلَ لَكُمْ مِمَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ إى انه بالرغم من حرمة بعض الطعام الا أنه حلال لمن يسبب تركه له ضررا كبيرا عليه فهو مضطر اليه، فكيف بالطعام الحلال الذى لا يجوز تركه لمجرد أهواء و نفسيات ضيقه

و من الناس من يتبع أهواءه دون هدى الله، و دون علمه، فيحرم على نفسه الطيبات، لا لأن الله حرمها، و لا لأنه يعلم بضررها.

وَ إِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ الَّذِينَ يتجاوزون حدود أحكام الله-زياده أو نقصانا-فهم لا يتبعون منهج الله، بينما المنهج القويم السالك بالبشرية الى الله، هو منهج الله سبحانه لأنه خالق البشريه، فالمعيار هو ما عند الله، لا ما عند البشريه من أهواء.

الإثم بين الظاهر و الباطن:

[١٢٠] و كما لا- يجوز التوقع و ترك الطيبات احتياطا و حذرا. كذلك لا- يجوز الاسترسال و تناول الرطب و اليابس معا دون فرق، كما تفعله الجماعات البشريه فى ظروف قوتهم و بطشهم(و حضارتهم) كلا..هناك حدود يجب على البشر أن يقف عندها، هى حدود الإثم الذى فصله الله سبحانه.

وَ ذَرُّوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَ بَاطِنَهُ وَ الْإِثْمُ حَرَامٌ لَّا لِأَنَّهُ يَتَشَكَّلُ بِهَذِهِ الصُّورَةِ أَوْ بِتَلَكِ أَوْ لِأَنَّهُ اسْمُهُ (إِثْمٌ) أَوْ لِأَنَّ النَّاسَ يَتَبَرَّءُونَ مِنْهُ، بَلْ لِأَنَّهُ خَبِيثٌ وَ إِثْمٌ فِي جَوْهَرِهِ، وَ لِذَلِكَ لَّا- فَرَقَ بَيْنَ ظَاهِرِهِ وَ بَاطِنِهِ، عِلْنِهِ وَ سِرِّهِ، سِوَاءِ كَانُ بِاسْمِ الْإِثْمِ، أَوْ وَضِعَ لَهُ اسْمٌ آخَرَ مِثْلَ الْأَسْمَاءِ الْقَانُونِيَّةِ الَّتِي تَوْضَعُ الْيَوْمَ لِلِاحْتِكَارِ أَوْ الرِّبَا أَوْ الْغَشِّ، أَوْ مِثْلَ الشَّرَائِعِ الدُّوَلِيَّةِ الَّتِي تَسْمَحُ لِلدُّوَلِ الْكَبِيرِ اسْتِغْلَالِ ثُرُوتِ الشُّعُوبِ تَحْتَ أَسْمَاءٍ مَشْرُوعَةٍ، مِثْلَ الْإِنْتِدَابِ، وَ تَدْوِيرِ الثُّرُوتِ النَّفْطِيَّةِ، وَ الْأَمْنِ الصَّنَاعِيِّ وَ مَا أَشْبَهَهُ... إِنْ الْإِثْمُ إِثْمٌ مَهْمَا غَيَّرْنَا اسْمَهُ أَوْ وَضَعْنَا لَهُ شَرِيْعَهُ أَوْ قَانُونًا.

و الإثم يولد الدمار، سواء سميناه كذلك أم لا.

إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ مِنْ الْإِثْمِ فِي عَاجِلِ الدُّنْيَا وَ أَجْلِ الْآخِرَةِ.

[١٢١] و الإثم هو ما يشرعه الله لا- ما يوحيه الشيطان.مثلا:لا- يجوز أكل الذبيحه التي لم يذكر اسم الله عليها حين تذبح لأنها فسق، يدل على حاله الانفصال بين الإنسان و مبادئه، أو الزعم بأن الدين محصور فى المسجد. أما الحياه سواء منها ما يرتبط بالأكل و الشرب، أو الزواج و الطلاق، أو السياسه و الاقتصاد، فانها منفصله عن الدين. ان كل ذلك فسق و شرك بالله، و ذلك يعنى أن هناك إلهان و وليان و قائدان للبشر، أحدهما للمسجد و الثانى للسوق.

وَ لَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَ إِنَّهُ لَفِسْقٌ وَ الشَّيَاطِينُ يَجَادِلُونَ فِي الْحَقِّ، وَ يَحَاوِلُونَ تَمْيِيعَ الْوَاجِبَاتِ وَ أَنْ يَقُولُوا: مَا هُوَ الْفَرْقُ بَيْنَ الذَّبِيحَةِ الَّتِي لَمْ يَذْكَرْ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهَا وَ بَيْنَ الْآخَرَى؟ دُونَ أَنْ يَضَعُوا الْقَضِيَةَ فِي أَطَارِهَا الْعَامِّ، لِيَعْرِفُوا: أَنْ ذَلِكَ مَرْتَبَطٌ بِكُلِّ سَلُوكِ الْبَشَرِ. أَنْ يَكُونَ سَلُوكًا تَوْحِيدِيًّا يَقُولُ:

قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَ نُسُكِي وَ مَحْيَايَ وَ مَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١) أَوْ سَلُوكًا شَرِكِيًّا يَقُولُ: أَنْ صَلَاتِي وَ نُسُكِي لِلَّهِ وَ مَحْيَايَ وَ مَمَاتِي لِنَفْسِي.

وَ إِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَيْهِمْ أَوْلِيَانَهُمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَ إِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ أَوْلَا: لَنْ طَاعَهُ غَيْرَ اللَّهِ فِي حَكْمِ الشَّرِكِ بِاللَّهِ.

ص: ١٧٧

ثانياً: لان منهج الشياطين هو منهج الشرك، و الفصل بين الدين و الدنيا، بين الدين و السياسه، بين الجامع و الجامعه، بين المسجد و السوق و هكذا.

ص: ١٧٨

إشاره

أَوْ مَنْ كَانَ مِثْلًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٢٢) وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكْبَرًا مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (١٢٣) وَإِذْ آتَيْنَاهُمُ آيَةً قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلَ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سِيبِ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ (١٢٤) فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَانُمُ اتِّصَاعُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ (١٢٥) وَهَذَا صِرَاطٌ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَضَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ (١٢٦) لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٢٧)

اللغه

١٢٤[صغار]:الصغار الذى ينبه المرء الى نفسه.

ص:١٧٩

١٢٥[حرجا]:الحرج أضيّق الضيق، و حرج فلان إذا هاب ان يتقدم على الأمر.

ص:١٨٠

إشارة

فى تضليل الناس

هدى من الآيات:

البشر ميت، و رساله الله روح تبعث فيه الحياه، و تعطيه نورا يتحرك به فى الحياه الاجتماعيه، و لكن فريقا من أبناء البشر يرفضون هذه الحياه، و يفضلون البقاء فى الظلمات، و ذلك بسبب أنهم تعودوا على سلوك معين، و أنهم يستأنسون بذلك السلوك و يحبونه.

و مخالفه الرساله قد تكون له عوامل فرديه، مثل عامل العاده، و قد تكون له عوامل اجتماعيه و منظمه مثل: خطط السلطه الطاغوتيه التى هى فى واقعها تجمع يضم مجموعه من المجرمين، ذات قياده ماكره و مخططه، بيد أن خطط هذه القياده تنعكس عليها، و من خططها تكبرها على الرساله بسبب ادعائها أنها دون الرسول أولى بها، و ما دامت الرساله لم تهبط عليها فانها سوف تكفر بها، و الله يقول: «اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ» .

أما جزاء هؤلاء فهو الذلّ و الصغار و العذاب الشديد بسبب خططهم المضاده

و من عوامل الكفر بالرساله ضيق الصدر، و قله الاستيعاب، و ضعف الاراده، و بالتالى الضيق و الحرج.

و الواقع ان ذلك يصيب قلب الفرد بسبب عدم الايمان، و من عوامل الايمان التذكر و استعادته الحقائق، حيث يهتدى الإنسان بهما الى صراط الله الذى يوفر للبشر الاستقامه و السلامه، و الولايه الالهيه (الدعم الالهى).

و انما يبلغ المؤمن هذه الاهداف بأعماله، و ليس بمجرد التذكر أو العلم و المعرفه.

بينات من الآيات:

أو من كان ميتا فأحييناه؟!

[١٢٢] كما ان البشر كان فاقدا للحركه و النمو، و بالتالى الحياه، حتى نفخ الله فيه روحا، فأصبح بشرا سويا، كذلك فهو فاقد للعلم و الهدى حتى يحييه الله، و يعطيه القدره.

أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَ جَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ ان الله يحيى قلب البشر بالعقل و الوحي، و ذلك لعله يستطيع أن يعرف ضره من نفعه، و يعرف من يضره و من ينفعه، و كيف يتصرف مع الناس، و ينظم علاقته معهم.

بيد ان هناك من لا ينتفع بالحياه هذه، فيبقى فى ظلمات دون ان يخرج منها.

كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا

اما السبب الذى يجعل الفرد يفضل الظلمات على النور فقد يكون العاده حيث يحب الفرد السلوك الذى كان ينتهجه حتى و لو كان شائنا.

كَذَلِكَ زَيْنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ

التنظيم الهرمى فى جهاز الطغاه:

[١٢٣]العامل الثانى للكفر هو وجود ماكرين فى المجتمع و المكر هو:التخطيط من أجل تضليل الناس بهدف وصول جماعه أو فرد لمصالحهم الشخصيه،و فى المجتمعات توجد دائما شبكه من المجرمين تجمعهم قياده واحده تعمل ضد مصلحه الامه.هذه الشبكه هى التى تشكل واقع السلطه الطاغوتيه،و هى تنشأ،من فرد أو عدده أفراد زَيْن الشيطان لهم ما كانوا يعملون من سيئات،ثم نظّموا أنفسهم فى سلسله هرميه على رأسها أكبر المجرمين.

وَ كَذَلِكَ رَبِّمَا الْإِشَارَهُ تَوْحَى بِآخِرِ الْآيَةِ السَّابِقَةِ،أَوْ بِهَا جَمِيعًا،إِى لَان هُنَا جَمَاعَهُ تَسْتَحِبُّ الْعَمَى عَلَى الْهَدَى،فَقَدْ تَشَكَّلَتْ مَنظَمَهُ فِى كُلِّ قَرْيَةٍ لِلْمَجْرَمِينَ.

جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكْبَرَ مُجْرِمِيهَا لِيُمَكِّرُوا فِيهَا وَيُؤْتُوا فِيهَا قِيَادَهُ هَذِهِ الْمَنظَمَةِ الْمَاكِرَةِ إِنَّمَا هِيَ لِأَكْبَرِهِمْ أَجْرَامًا،فَالْقِيمَةُ بَيْنَهُمْ هِيَ قِيمَةُ الْأَجْرَامِ،وَالْهَدَفُ لَهَا هُوَ الْمَكْرُ وَالتَّخْطِيطُ ضِدَّ الْجَمَاهِيرِ.

وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَ مَا يَشْعُرُونَ أَن السَّلْطَةَ الطَّاعُوتِيَةَ حِينَ تَخْطَطُ ضِدَّ الْجَمَاهِيرِ،فَأَمَّا تَتَوَّرُ ضِدَّهَا الْجَمَاهِيرِ، وَ تَقْضَى عَلَيْهَا،فَيَكُونُ جَزَاؤُهَا خِزْيًا،وَعَذَابًا أَلِيمًا،وَأَمَّا تَسْتَرْخَى الْجَمَاهِيرِ،فَيَنْزِلُ

عليها و على السلطه عذاب الله فيدمرهم جميعا، إذا فعاقبه المكر تعود على صاحبه إما وحده أو مع الآخرين.

و الآيه هذه تفضح طبيعه السلطه الطاغوتيه، و تبين أنها ليست سوى تجمع للمجرمين، و أن قوتها تكمن في خططها الماكره، و أن قيادتها متمثله في المجرم الأ-كبر، و أن الأ-مه لو عرفت هذه الطبيعه للسلطه الطاغوتيه، إذا لتخلصت منها، إذ ان المجرم لو كشف مكره جرد منه سلاحه و سهل القضاء عليه.

[١٢٤] من مكر هذه الفئه السالفه الذكر أنها تتعالى عن الحق، بعد أن تضع على نفسها هاله من القداسه الباطله، و تنشر بين البسطاء هذه الفكره الرعناء: لو كانت الرساله صحيحه، إذا لم يكن ربنا يختار لها الا واحدا منا نحن الكبار، و لم يكن يفضل علينا واحدا من عامه الناس.

وَ إِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ و لكن الله يدحض حججهم بقوله:

« اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ » يجعلها في أيد نظيفه، و جيوب طاهره نقيه، و قلوب زكيه، و رجال مخلصين، و ليس في أيدى هذه الفئه التي سرقت أموال الناس، و صنعت مجدها على أجسادهم، ثم يهددهم الله بالقول.

سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ بِسَبِّ تَكْبَرِهِمْ.

وَ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ

[١٢٥] بعد ان بينت الآيات عوامل الكفر الفرديه و الجماعيه، جاءت هذه الآيه لتبين الشروط المساعده للايمان، و فوائده و أبرزها: شرح الصدر حيث ان الايمان بالله يعنى تفضيل المستقبل على الحاضر، و تفضيل الجماعه على الفرد، و تفضيل الحق على الشهوه لان الحق خير عاقبه، و أفضل أملا.

و هذه الصفات لا- تعطى الا- لمن يتمتع ببعده الرؤيه، و رصانه الفكر، و بالتالى سعه الصدر. بينما الكفر الكفر بعكس الايمان تماما، أن هو إلا نتيجته ضيق الصدر، و سبب له أيضا.

فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ يبدو أن الضيق هو الجزع، و محدوديه الرؤيه، و عدم استيعاب الاحداث، بينما الحرج هو التردد و عدم القدره على اتخاذ رأى ما، و بالتالى أن يرى الشخص نفسه عاجزه عن اى شىء، و الذى يصعد فى السماء يشعر بالضيق لأنه يجد نفسه مقطوعا عن أطرافه، و يشعر بالحرج لأنه يخشى الوقوع.

و من المعروف ان الصعود فى السماء يسبب قله الا و كسجين، و بالتالى ضيق النفس، و سوء الخلق و قد يكون التشبيه من هذا الباب.

كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرُّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ انهم يعيشون فى حدود ساعتهم و موقعهم، فلا- يرون الاحداث القادمه، أو الظواهر المتفاعله فيما وراء موقعهم المحدود فتأتيهم المشاكل و الصعوبات من حيث

لم يحتسبوا، ولأنهم كانوا يكفرون بالحقائق الغيبية و التي هي وراء زمانهم و مكانهم، فاذا بهم يواجهون بها دون ان يستعدوا لها.

منافع الايمان:

[١٢٦] كما سبق ان قلنا ان: العامل المساعد للايمان هو شرح الصدر، أما منافع الايمان فهي اربعة أبرزها:

أ/الاهتداء الى الصراط المستقيم الذى يؤدي بصاحبه الى الله سبحانه، بما له من أسماء حسنى و أمثال عليها، أى الى التحرر الكامل، و العدالة الشامله و الفلاح.

وَ هَذَا صِرَاطٌ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا ب/لا تنحرف به الأهواء العاجله، و الشهوات المؤقتة، ذات اليمين و ذات الشمال، لان المؤمن شرح الصدر، لا تغزه الظواهر الآنيه و الاحداث الزائله، فيبقى على خطه و خطته البعيده المدى.

قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ فيعرفون الحقائق و لا ينسونها، اما الذين لا يذكرون، فإنهم لا ينتفعون بالآيات لأنهم لا يربطون بين الآيات و بين الحقائق التى تدل عليها.

دار السلام:

[١٢٧] ج/و بعد الاستقامه، و أيضا بسببها، يستفيد المؤمنون السلامه و الأمن فى الدنيا و الآخرة.

لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ

ص: ١٨٤

لأن ما يهدد سلامه البشر، هو التطرف فى الشهوات. اما الاعتدال فانه طريق الأمن لان العدالة فى المجتمع أفضل وسيله للامن، و الاعتدال فى الطعام و الشراب هو الآخر طريق السلامه الصحيه، و هكذا..

د/اما أهم فائده للايمان، فهى الانصواء تحت رايه التوحيد و التنعم بعباده الله و ولايته.

وَ هُوَ وَرِيَّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ وَ ولايه الله هى التى توفر للبشر الاطمئنان الداخلى، و مضاء العزيمه، و سلامه النيه، و بالتالى الانتصار فى الدنيا و الفلاح فى الآخره.

ص: ١٨٧

وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْرَهْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَّغْنَا أَجَلَنَا
الَّذِي أَجَلْتَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (١٢٨) وَكَذَلِكَ نُوَلِّيُ بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا
كَانُوا يَكْسِبُونَ (١٢٩) يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا
شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا وَغَرَّبْتُهُمُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ (١٣٠) ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى
بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا غَافِلُونَ (١٣١) وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ (١٣٢)

هدى من الآيات:

تلك كانت فوائد الايمان كما ذكرت فى الدرس السابق، أما أضرار الكفر فأهمها هى: الولايه الباطله فاذا كانت للمؤمنين ولايه الله فان الكفار أولياؤهم الجن حيث يحشرهم الله و إياهم، و يحاسبهم و يجيبون انهم انما تولوا الجن طلبا للمتعه، باعتبار المتعه، هى الهدف العام للمشركين.

و لكن المتعه لا تبقى الا لفته محدوده تنتهى فى الأجل المحتوم، ثم يكون مصيره النار.

و لان الظالمين يعملون السيئات، فإن الله يجعل بعضهم أولياء بعض، و يسلط بعضهم على بعض لان هذه نتيجة أعمالهم فى هذه الدنيا، أما فى الآخرة فبعد أن يسألهم ربهم عن سبب كفرهم، و أنه هل كان هناك نقص فى أسباب الهدايه؟ فيجيبون: كلا.. بل جاءت رسل الله و معهم الآيات الواضحه و بالتالى بعد أن يشهدهم على أنفسهم يأخذهم بأعمالهم، و يبين القرآن السبب الحقيقى للكفر و هو:

من هنا يبعث الله فى كل قريه من يندرها،حتى يندرها،حتى يهلك من يهلك عن بينه و حجه واضحه،و انما ينقسم الناس درجات سواء فى حقل الصلاح،أو الفساد بأعمالهم و ليس عبثا.

بينات من الآيات:

لماذا عبدوا الجن؟

[١٢٨] بعض الناس يعبدون الجن و يتخذونهم أولياء من دون الله.لماذا؟و ما هى حاجتهم؟ أولا:حجه هؤلاء ان الجن يمتون الى الله سبحانه بصله قري،أو أنهم أقوياء،بيد ان الجن خلق من خلق الله،و سيحشرون يوم القيامه،و سيحاسبون كما الانس لا فرق،فعبادتهم و اتخاذهم أولياء لا معنى له.

ثانيا:السبب فى عباده الجن أو فى اتخاذ بعض الانس أولياء من قبل الآخرين هو فقدان الرؤيه السليمه للحياه،حيث يحسب البشر أنّ الهدف الأساس من الحياه هى المتعه،و لكى يحقق رغباته فى المزيد من التمتع يرتبط بالجن أو ببعض الانس، و انما يتبع هواه و شهواته باسم اتباع الجن و الانس،اننا حين نتبع الحق لا نعبد الجن أو الانس،انما نعبد الله،و السبب:إننا آتئذ نقيد شهواتنا،و ننظمها وفق البرامج الالهيه،التي تهدينا إليها عقولنا،و لأننا لا نهدف آتئذ التمتع كهدف أعلى لحياتنا، بل نهدف تحقيق مسئوليتنا فى الحياه و هى هدفنا.

من هنا نعرف:أن عباده الجن ناتج من عدم الاستعداد لتحمل المسؤليه فى الحياه.

وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ۗ مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ يَبْدُو ان معناه أنكم.اي الجن قد جذبتكم كثيرا من أبناء الانس لعبادتكم، فالتفوا حولكم، ما السبب؟ و يجب على هذا السؤال الانس الذين التفوا حول الجن.لأنهم هم المسؤولون عن عباده الجن، وليس الجن المعبودون:

وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمَعَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَي إِنَّمَا اتَّخَذْنَاهُمْ أَوْلِيَاءَ لِتَحْقِيقِ رَغْبَاتِنَا بِاسْمِ الْجِنِّ، وَالْأَفَانِ الْمَعْبُودِ الْحَقِيقِيِّ هُوَ الْهَوَىٰ وَ لَيْسَ الْجِنُّ الْمَسَاكِينُ؟ وَ بَلَّغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَلْتُمْ لَنَا فَانْتَهتِ الْمَتْعَةُ وَالْمَهْلَةُ الَّتِي أَمَهَلْتُمُنَا بِهَا.

قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ حَيْثُ أَنَّهُ قَدْ يَرْحَمُ بَعْضَ الْعِبَادِ، وَيُنْهِى فِتْرَةَ عَذَابِهِمْ فِي جَهَنَّمَ حَسَبَ حِكْمَتِهِ الْبَالِغَةِ.

إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ

كيف يهدم الظلم بناء المجتمع؟

[١٢٩] ونستخلص من ذلك: أن أحد الأسباب التي تجعل الكفار بعضهم أولياء بعض هو ابتغاء المتعة، والسبب الآخر هو الظلم، حيث ان الظالم سيف الله ينتقم به و ينتقم منه، فاذا شاع الظلم في المجتمع و زالت قيم العدالة و الحق،

و استطاع القوى ظلم الضعيف، يصبح المجتمع خليطاً من الظالم و المظلوم، كل يظلم من تحته، و يظلم من فوقه، و هناك يقفز الى السلطه أكثر الناس ظلماً، و السبب هو الوضع الذى صنعه الناس بأعمالهم.

وَ كَذَلِكَ تُؤَلَّى بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ أَي بأعمالهم التى يكسبونها، و لقد تكرر التعبير بالكسب للدلاله على العمل فى القرآن، ربما لان كل عمل يقوم به البشر يخلف أثراً ظاهراً أو خفياً عنده، فكأنه يضيف ذلك الأثر الى سائر أجزاء ذاته.

حب الدنيا رأس كل خطيئه:

[١٣٠] تلك كانت عاقبه الظلم فى الدنيا. ان بعض الظالمين يؤلى بعضاً. أما عاقبه الظلم فى الآخرة فانه الهلاك بعد الادانه و التويخ.

يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا رَبَّمَا قَصَّ الْآيَاتِ بِمَعْنَى بَيَانِهَا واحده بعد اخرى، بطريقه تدخل القلب، و أهم بند فى الدعوه هو الإنذار بالعاقبه.

قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا وَ لَكِن السُّؤَالُ: لِمَاذَا إِذَا لَمْ يَقْبَلُوا بِالْآيَاتِ، و لم يؤمنوا بربهم؟! السبب هو تعلقهم الشديد بالدنيا. لان حب الدنيا رأس كل خطيئه.

وَ عَرَّتْهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَ شَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ

فلم يكن كفرهم من دون وعى منهم، بل بسبب اعتقاد راسخ بالفكره المعاكسه لها.

ان تصور لقاء أى إنسان ربه، و موقفه الضعيف امام هيئته البالغه، يكفيه عقلا و رصانه و ايمانا، إذ أنه يكبح شهوات الفرد موقتا، و يثير فيه حبه لذاته، و سعيه وراء تحقيق مستقبله.

لا نهلك القرى بظلم:

[١٣١] و دليل وعى الكفار للحقيقه، و جحودهم بعد اليقين، ان حكمه الله البالغه و رحمته الواسعه الدائمه تأييان الظلم للعباد، و أخذهم بجريمه ارتكبوها من دون وعى منهم، بل بغفله و عدم انتباه، أو بسبب يقين مصاد.

ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ اللَّهُ قَوِيٌّ مَقْتَدِرٌ، وَ لَا يَمْلِكُ الْعِبَادُ دُونَهُ مَلْجَأً، فَان كَانَ يَسْتَحْدِمُ قُوَّتَهُ وَ قُدْرَتَهُ فِي إِهْلَاكِ عِبَادِهِ دُونَ أَنْ يَبْلُغَ الدَّعْوَةَ الْحَقَّةَ إِلَى أَعْمَقِ أَعْمَاقِهِمْ. أَفَلَا يَكُونُ ظَلْمًا؟! وَ لِمَاذَا يَظْلِمُ رَبُّنَا عِبَادَهُ وَ هُوَ الَّذِي خَلَقَهُمْ، وَ أَسْبَغَ عَلَيْهِمْ نِعْمَةً ظَاهِرَةً وَ بَاطِنَةً؟ إِذَا حِينَ يَهْلِكُهُمْ فَهَمْ يَسْتَحْقُونَ، وَ اسْتَحْقَاقَهُمْ دَلِيلٌ وَاضِحٌ عَلَى عِلْمِهِمْ بِالْحَقِيقَةِ، وَ كُفْرِهِمْ بِهَا، وَ شَهَادَتِهِمْ عَلَى ذَلِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، دَلِيلٌ آخَرَ عَلَى ذَلِكَ.

[١٣٢] و عداله الله فى الحياه ظاهره المعالم، و لكن من أبرز أدله هذه العداله هى: أن الله يعطى كل واحد من الناس قدرا من العلم و المال و الجاه يتناسب مع مقدار عمله، و من هنا فانه سوف يثيب أو يعذب عباده يوم القيامه بأعمالهم، و بقدر تلك الأعمال أيضا.

وَ لِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِمَّا عَمِلُوا وَ مَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ

اشاره

وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ قَوْمَ آخِرِينَ (١٣٣) إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآيَاتٍ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ (١٣٤) قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَيَّ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ لَعَلَّكُمْ أَتُونَكَم بِقَوْمٍ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنتُمْ قَائِلِينَ (١٣٥)

لله الأسماء الحسنى، فهو الغنى ذو الرحمه، ولأنه غنى فهو قادر على ان يفنى الخلق جميعا، ثم يخلق مكانه ما يشاء.

و آيه اخرى على غناه سبحانه: أنه جاء بهذا الخلق في مكان خلق آخر كان قبله.

و لكن برحمته التامه لا- يفعل ذلك فهو ذو رحمه، بيد أنه إذا لم يفعل ذلك الآن فليس ذلك دليلا على انه لن يفعل ذلك أبدا، إذ سيأتي يوم ينتهي أجل البشر فتأتيه عاقبته دون أن يستطيع مقاومتها.

و البشر تؤمن له الحريه لفتره معينه و ذلك دليل رحمه الله به، و لكنه سوف يسلب منه هذه الحريه بعد انقضاء اجله، و ذلك بسبب غنى ربه عنه، و لا يسلب الله رحمته الا بسبب ظلمه لذاته.

[١٣٣] لربنا سبحانه أحسن الأسماء، وأعلى المثل، وأسماء الله منتشرة في الكون في آياته التي لا تحصى، ومعرفة أسماء الله و مظاهرها و تجلياتها في الحياه تعطينا بصيره و رؤيه واضحه، و تهديننا الى السبيل الأقوم.

و القرآن الحكيم يذكر هذه الأسماء، بعد أو قبل أن يذكر الآيات التي تدل عليها، و البصائر المستلهمه منها، و السلوك المعين التي تستوجبها.

و الواقع ان هذا المنهج القرآنى يعطى البصائر و الرؤى الحياتيه ركيزه عقليه، كما يعطى الأفكار أبعادا واقعيه، و نتائج سلوكيه، و بالتالى يجمع هذا المنهج بين العقل و الواقع و السلوك مما تتكامل به الشخصيه البشريه.

و هنا يذكرنا القرآن باسمى (الغنى و الرحمه).

وَ رَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ و عند البشر لا- يجتمع الغنى و الرحمه عاده لأن الغنى عند الإنسان مصدره الغير، فيخشى البشر من فقدانه فيخل به، بينما غنى الله مصدره القدره المطلقه على الخلق، كما أن رحمته محدوده بحكمته لا تدعها تنفلت عن اطار العداله.

إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ و هذا دليل على غناه و رحمته معا، فلو لا قدرته، و بالتالى غناه عنكم لما كان قادرا على تعويضكم و تبديلكم، و لولا- رحمته لفعل ذلك أول ما ظلمتم أنفسكم، و هذا دليل قدرته، و أيضا ان رحمه ربنا محدوده باطار حكمته، انه فعل ذلك حين كان من قبلكم

آخرون فذهب بهم و أتى بكم.

كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَةِ قَوْمٍ آخَرِينَ و عند ما يتذكر البشر بهذه الحقيقه يرزق الرصانه فى التفكير، و الواقعيه فى الرؤيه، و الاستقامه فى السلوك، أما رصانه الفكر فلأنه يعلم ان القدره المهيمنه على هذا الكون الرحيب غنيه عنه لكنها رحيمه به، فعليه الا تستبد به الخفه و التكبر و الغرور، و اما واقعيه الرؤيه فعليه الا- ينظر الى حقائق الحياه على انها ثابتة أبدا، اما استقامه السلوك فلأنه يتمتع بالخوف و الأمل، الخوف من استبدال الله له بالآخرين، و الأمل فى رحمته، و بين الخوف و الأمل يستقيم سلوك البشر.

التسليم أو العاقبه:

[١٣٤] و ما دام البشر عاجزا عن توقيف مسيره الزمن، أو منع العاقبه السوءى التى يندر بها، و ما دام عاجزا عن سلب قدره الطرف الثانى و اعجازه، فعليه ان يسلم للحقيقه و لا يتكبر عنها.

إِنَّ مَا تُوَعِّدُونَ لَاتٍ وَّ مَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ [١٣٥] و يندر الله الظالمين حين يقول: ان للحرية الممنوحه لكم و للقدرات المخوله لكم حدودا تقف عندها.

قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ اى بقدر قوتكم و مكنتمكم.

إِنِّي عَامِلٌ فَمَا لِي أَخْذِكُمْ أَيُّهَا الظَّالِمِينَ عَمَلِكُمْ بَيْنَ يَدَيْكُمْ فَخَدُّوا وُجُوهَكُمْ لِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ

فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ الْعَاقِبَةُ الدَّارِ اى من سيسكن بالتالى فى دار السعاده.

و لكن مجرد التفكير فى العاقبه يهدى البشر الى الحقيقه.اذ معلوم لمن تكون العاقبه.

إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ

ص: ١٩٨

إشاره

وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَ مَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (١٣٦) وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادَهُمْ شُرَكَائُهُمْ لِزُدُّوهُمْ وَ لِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرُّهُمْ وَ مَا يَفْتَرُونَ (١٣٧) وَ قَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَ حَرْثٌ حَجْرٌ لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ بِزَعْمِهِمْ وَ أَنْعَامٌ حَرَّمَتْ طُهُورُهَا وَ أَنْعَامٌ لَا يَذْكُرُونَ إِسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (١٣٨) وَ قَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِدُكُورِنَا وَ مُحَرَّمٌ عَلَىٰ أَزْوَاجِنَا وَ إِنْ يَكُنْ مِنْتَهُ فُهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ وَ صَفَّهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (١٣٩) قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَ حَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَ مَا كَانُوا مُهْتَدِينَ (١٤٠)

اللغه

١٣٦[ذراً]:الذرة الخلق على وجه الاختراع،و أصله الظهور و منه ملح ذراني لظهور بياضه،و الذراه ظهور الشيب.

١٣٨[حجر]:الحجر الحرام.

هدى من الآيات:

لان الله حكيم عليم (بالاضافه الى انه غنى رحيم) فهو لم يحرم الطيبات.

بينما المشركون حرموا على أنفسهم كثيرا من الطيبات افتراء على الله، و فى البدء ذكر الله: ان الشرك فى حكم الكفر بالله العظيم، لان من ينذر الله و لغير الله، فان نذره لغير الله سيحبط نذره لله، و سيجعله فى نصيب الآلهه الشريكه.

و الشرك هو الذى دفع بالمشركين الى قتل أولادهم افتراء على الله، و هدف الطغاه و الجبابره الذين يشركون بهم من تشجيع الناس على قتل الأولاد يتلخص فى إهلاك الشعب ماديا و معنويا.

و الله سبحانه ترك المشركين فى هذا الوادى بسبب أنهم افتروا على الله سبحانه بالرغم من قدرته على ردهم بالقهر و الجبر، و منعهم من التسلط على مقدرات الشعب.

و هناك تشريعات باطله أخرى كانت نتيجتها عليهم ان حرموا الطيبات على

أنفسهم، و دفعهم الى ذلك افتراؤهم على ربهم الذى سيجزون عليه، و كذلك تشريع المشركين الباطل الذى يميّز بين الذكور و الإناث فى الانتفاع من الطيبات، أو قتل الأولاد، أو يحرموا ما رزقهم الله كذبا عليه.

بينات من الآيات:

متى يكون الإنفاق لله شركا؟

[١٣٦]الشرك و الكفر توأمان، بيد ان الشرك كفر مغلف، يستهدف إرضاء كل الأطراف، و هو ناتج عن ضعف الارادة، و سوء الحكم و التقدير، و الشرك حاله نفسيه تحاول خداع فطره الايمان بالله، و إشباع شهوات النفس فى عمله تليفقيه مفضوحه.

وَ جَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَ الْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَ هَذَا لِشُرَكَائِنَا قَالُوا: هَذَا لِلَّهِ لَارِضَاءَ حَسَّ التَّيْبَعِ
فى النفس، و لخداع المتدينين، و لان ما لله لا يعارض ما لشركائهم، فاذا كان يعارضهم فإنهم يسلبون حتى ما لله لشركائهم.

انهم يبنون الجوامع الفخمة لله بزعمهم، انهم يطبعون نسخا من القرآن الكريم، انهم يقيمون صلوات الجمعة و الأعياد، حتى انهم يحجون لربهم.

و لكنهم فى ذات الوقت، يجعلون للشركاء نصيبا، فهم يبنون القصور من أموال المحرومين، و يبنون الدول على حساب المستضعفين، و يكتزون الذهب و الفضة، و يدعمون الطاغوت، و يشيعون الإرهاب فى البلاد، و بالتالى يعطون للشركاء كل ما فى الحياه من لباب، و يدعون القشور لربهم، و الله لا يرضى بالقشور.

فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ

الحكم الذى جعلوه للطاغوت، لا يمكن ان يكون حكما إلهيا يسكت عنه ربنا أو يرضى به، و المال الذى جعلوه دوله بين الأغنياء منهم لا يمكن أن يكون برضا الله سبحانه، بل انه تعالى يمقته و يرفضه.

وَ مَا كَانَ لِلَّهِ فَهْوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمُ الصَّلَاةُ الَّتِي لَا تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ، وَالزَّكَاةُ الَّتِي تَعْمِقُ الْهَوَى بَيْنَ الْفُقَرَاءِ وَالْأَغْنِيَاءِ، وَ تَدْعُمُ سُلْطَةَ الطَّاغُوتِ لِأَنَّهَا تَعْطَى لَهُ، وَالْحَجُّ الَّذِي يَتَحَوَّلُ إِلَى سَفَرِهِ سِيَاحِيهِ، أَوْ مُورَدٍ مَا لِيَ لِلْجَاهِلِيَةِ الْجَدِيدَةِ، وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ اللَّذَانِ أَصْبَحَا سَوَاطِئَ عَلَى رِقَابِ الْمُسْتَضْعَفِينَ دُونَ الْمُسْتَكْبِرِينَ، إِنَّهَا جَمِيعًا مِنْ طُقُوسِ الطَّاغُوتِ، وَ لَيْسَتْ مِنْ شِعَائِرِ اللَّهِ تَعَالَى.

سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ

موقف الشريعة من تحديد النسل:

[١٣٧] و هنا يطرح السؤال التالى: ما هدف الطاغوت و من حوله من ملأ- المستكبرين، و حاشيه السلاطين و جلاوزه الأنظمة المفسدين؟ ان هدفهم أولا: استضعاف الجماهير، و ثانيا: تضليلهم، و من الطبيعى ان التضليل يأتى بهدف إبقاء واقع استثمارهم و استعبادهم، و كمثل بارز لهذين الهدفين أن الشركاء الذين يتقاسمون السلطه مع الله- فى زعم هؤلاء- انهم يشيعون بين الجماهير نوعا من الثقافه الجاهليه تشجعهم على قتل أولادهم، فمن ناحيه يضللونهم عن فطرتهم النقيه فى حب الأولاد، و ضروره الإبقاء عليهم و من ناحيه ثانيه يهلكونهم بذلك، إذ أن الجيل الذى ينقطع نسله جيل أبترو، و بالتالى أصلح للاستثمار.

ص: ٢٠٣

وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَائِهِمْ وَ كمثل لهذا الواقع المشين ثقافه الجاهليه الحديثه التي تشجع على تحديد النسل، و على الإجهاض فى الوقت الذى تزداد الهوه الطبقيه فى تلك المجتمعات التي تأخذ بهذه الفكره، و تصرف البلايين فى الحاجات الكماليه التافهه دون ان يفكروا فى أن جزء بسيط من هذه الأموال يكفى لاعاشه الأولاد الذين منع من ولادتهم، و من بركاتهم فى الحياه.

علما بأن التفجر السكانى وسيله طبيعيه للقضاء على الطبقات المستكبره، لان كل فم يحتاج الى خبز سينفتح بالاحتجاج على الطبقيه المقيته.

لذلك يكون الهدف من قتل الأولاد هلاك الناس و تضليلهم.

لِيُرَدُّوهُمْ وَ لِيَلْبَسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ ذَلِكَ ان الدين الصحيح سلاح فعال ضد الطغاه، فتضليل الناس عنه هدف أساس للطغيان.

و الله قادر على أن يحطم عرش الطغاه، بقدرته الغيبيه، و لكنه لا يفعل ذلك ما دام الناس غير واعين، و لا يفكرون فى نجاه أنفسهم من الطغيان، و ذلك بالكف عن الثقافه المشركه التي تفتري على الله سبحانه.

وَ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرُّهُمْ وَ مَا يَفْتُرُونَ

الخرافات إفراز للشرك:

[١٣٨] حين يتمثل المنهج الشركى فى نظام اجتماعى يتبين ضلالته و انحرافه أكثر فأكثر، و فى الجاهليه كانوا يحرمون طائفه من الطبيات على الناس، الا من

يشاءون حسب أفكارهم و مزاعمهم.

وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ أَيْ مَوْقُوفٌ لَا يُمْكِنُ الْإِنْتِفَاعُ بِهِمَا.

لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَأَ بِرِعْمِهِمْ أَيْ الْإِنْسَانُ تَشَاوَهُ أَهْوَاؤُهُمْ وَخِرَافَاتِهِمْ.

وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا لِشَيْءٍ الْإِسْبَابِ مِنْهُمْ الْفِكْرِيُّ الْفَاسِدُ وَ أَهْمُ إِفْرَازٍ لِهَذَا الْمَنْهَجِ أَنَّهُمْ لَا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَى بَعْضِ الْإِنْعَامِ.

وَأَنْعَامٌ لَا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءً عَلَيْهِ فَيَتَقَرَّبُونَ بِتِلْكَ الذَّبَائِحِ إِلَى الْأَصْنَامِ، أَوْ إِلَى الْجِنِّ أَوْ الْمَلَائِكَةِ أَوْ بَعْضِ أَوْلَادِ النَّاسِ، وَ ذَلِكَ حِينَ كَانُوا يَزْعُمُونَ أَنَّ كُلَّ تِلْكَ آلِهَةٍ يَتَقَرَّبُ بِهَا الْإِنْسَانُ إِلَى رَبِّهِ سُبْحَانَهُ. حَيْثُ قَالُوا: «نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى» (١) سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ، وَ يَزْعُمُونَ أَنَّ بَعْضَ الْأَشْيَاءِ أَوْ الْأَشْخَاصِ أَبْوَابُ اللَّهِ دُونَ أَنْ يَكُونُوا كَذَلِكَ.

و يبقی سؤال: ما هی علاقہ الشرك بهذه الخرافات؟

ص: ٢٠٥

(١- ١). الزمر

و الجواب:اولا:ان الشرك بالله يحوّر القلب،و يحجب العقل،و يعمى البصيره،فيرى البشر الأشياء مقلوبه،وقد يصل به الأمر الى اعتبار الخير شرا، و النافع ضارا.

ثانيا:ان كثيرا من المحرمات الاعتباطيه نابعه من الايمان بالشركاء،إذ ان خشيه الشركاء تحرم المشركون من كثير من الطيبات.

ثالثا:ان الواقع الاجتماعى الذى يفرزه نظام الشرك يحرم على الشعب كثيرا من الطيبات بسبب الطبقيه المقيته،بل العنصريه التى تسوده.

[١٣٩]و كان من مظاهر أحكامهم الباطله،و تشريعاتهم السخيفه،التفرقه بين الرجال و النساء مما تأباه الفطره السليمه.

وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَيْنَا أَزْوَاجِنَا وَ فِي الْوَقْتِ الَّذِي كَانُوا يَعْتَرِفُونَ بِعَلَاقَةِ الزَّوْجِيَةِ الَّتِي هِيَ فِي وَاقِعِهَا التَّكَامُلُ بَيْنَ الذَّكَرِ وَالْأُنْثَى ذَلِكَ التَّكَامُلُ الَّذِي يَدْعُو إِلَى الْمَشَارَكَةِ الْكَامِلَةِ فِي الْحَقُوقِ وَالْخَيْرَاتِ كَمَا فِي الْمَسْئُولِيَّاتِ وَالْوَاجِبَاتِ،فِي ذَاتِ الْوَقْتِ كَانُوا لَا يَكْفُونَ عَنْ خِرَافَةِ التَّفْرِيقِ بَيْنَ الذَّكَورِ وَالْأَزْوَاجِ.

وَإِنْ يَكُنْ مَيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ أَى ان كان الجنين ولدا ميتا فسوف يتقاسمه الذكور و الإناث معا.

سَيَجْزِيهِمْ وَصِيْفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ انهم سينالون عقابهم بسبب وصفهم الباطل،و حكمهم غير العادل،حيث فرقوا بين الإناث و الذكور فى الانتفاع بالطيبات،و الله حكيم يحكم بالعدل،و عليم يعلم

اعدام الطفوله البريئه:

[١٤٠] و أسوء من التفرقه الطبقيه و العنصريه و حتى التفرقه بين الرجل و المرأه، أسوء منها قتل الأولاد، تلك العاده الجاهليه العريقه و المتجدده مع كل جاهليه، و سببها النظره الشاذه الى الحياه، و الجهل و الافتراء على الله، و الضلاله عن الحق.

قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَ أَى سَفَهٍ أَكْبَرَ وَ أَخْطَرَ مِنْ أَنْ يَقُومَ الْفَرْدُ بِالْحَقِّ الضَّرْرُ وَ الْخَسْرَانُ بِنَفْسِهِ، وَ أَنْ يَقْتُلَ أَوْلَادَهُ، وَ هَذَا السَّفَهُ الَّذِي يَدُلُّ عَلَى قَلْبِ الشُّعُورِ، وَ عَدَمِ مَعْرِفِهِ مَا يَضُرُّ وَ مَا يَنْفَعُ الْبَشَرَ، أَنَّهُ مَدْعُومٌ بِالْجَهْلِ أَيْضًا إِذْ أَنْ الْعِلْمُ يَزِيدُ الشُّعُورَ، وَ يَوْقُظُ الْعَقْلَ فِي الْبَشَرِ.

وَ حَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ لِأَنَّ هَؤُلَاءِ افْتَرَوْا عَلَى اللَّهِ وَ مَا اهْتَدَوْا بِالْمَنْهَجِ الْإِلَهِيِّ الَّذِي يُوْضِحُ لِلْبَشَرِ كَيْفَ يَسْتَفِيدُ مِنَ نِعْمِ اللَّهِ عَلَيْهِ، وَ بِالتَّالِي لِأَنَّهُمْ لَمْ يَجْعَلُوا الْحَقَّ مَحْوَرًا لَهُمْ، وَ مَقْيَاسًا لِأَعْمَالِهِمْ، وَ بِصِيرِهِ لِفَهْمِ الْحَيَاةِ.

لذلك حرموا على أنفسهم هذه الفرصه الطيبه، و لكن هل ان من يقتل أولاده هو الوحيد الذى يضيع على نفسه فرصه الانتفاع بالحياه، و الاستفاده مما فيها. كلا..

فكل من لا ينتهج نهج الله انه يخسر ما رزقه من الطيبات، فالذى لا يربى أبناءه حسب المنهج الالهي القويم أ فلا يحرم ما رزقه الله، و الذى يسرف فى الاكل فيعرض صحته للخطر، أو يأكل المحرمات، أو يشرب المسكرات، أو يتعاطى القمار و الزنا، أو يظلم الناس، أو يكذب و يغتاب و ما أشبه. انه هو الآخر يضيع على نفسه نعم الله عليه، فهو الآخر مثل الذى يقتل أولاده سفها بغير علم.

قَدْ ضَلُّوا وَ مَا كَانُوا مُهْتَدِينَ

إشاره

وَ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَ غَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَ النَّخْلَ وَ الزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكْلُهُ وَ الزَّيْتُونَ وَ الرُّمَانَ مُتَشَابِهًا وَ غَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَ آتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَ لَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ (١٤١) وَ مِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَهُ وَ فَرْشًا كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَ لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (١٤٢) ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَ مِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (١٤٣) وَ مِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَ مِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمُ اللَّهُ بِهَذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (١٤٤)

اللغه

١٤١ [معروشات]: العرش أصله الرفع، و منه سمي السرير عرشا لارتفاعه، و العرش السقف و الملك، و عرش الكرم (العنب) رفع بعض أغصانها على بعض، و العرش شبه الهودج يتخذ للمرأة.

هدى من الآيات:

الله سبحانه هو الذى أنعم على البشر، نعماً لا تحصى، فهو أعلم بسبل الانتفاع بها، و ما يضر و ما ينفع منها، بينما الجاهليه تحرم و تحلل حسب أهوائها دون أن تعرف طبيعه الأشياء.

فالله هو الذى أنشأ البساتين و الحدائق، و جعل فيها مختلف أنواع الشجر و الثمر، و لذلك فهو سبحانه عليم بأحكامها التى منها أن يأكل البشر من ثمراتها دون انتظار، و أن يعطى الفقراء منها يوم الحصاد، و الا يسرف فى الاكل أو فى العطاء، بل يعتدل فى كافه التصرفات فى الثمرات.

كما أن ربنا الكريم الحكيم هو الذى أنعم على البشر بالأنعام ليتخذ منها الإنسان ما يحمله فى مسيره، و ما يجلس عليه فى بيته، و حكم هذه الانعام هو الانتفاع بها بما رزقه الله منها، و لكن دون ان تصبح هذه الانعام وسائل لتحقيق مطامح شيطانيه كالاعتداء و البطش.

و الله سبحانه رزقنا بازواج الضأن و المعز و البقر و الإبل، و البشر أخذ يحرم هذا و يحلل ذاك، بينما الجميع رزق الله، و الله لم يوص بهذا، انما المفترون هم الذين يضلون الناس بغير علم، و انما يضلون الناس بسبب أنهم ظالمون، فالظلم هو المانع عن هداية الله.

بينات من الآيات:

الطيبات.. ما لك و ما عليك:

[١٤١] ملا-بين الانظمة الطبيعیه، و السنن الاجتماعیه تفاعلت حتى أنشأ الله بها الجنات حيث اخضرت الأرض و أثمرت بمختلف أنواع الثمر، فمن دون وجود دوافع للبشر ركزها الله في غريزه الإنسان، و من دون صلاحية التربه، و وجود مخازن المياه، و ضوء الشمس لم يكن البشر يندفع نحو زراعه الأرض، أو يقدر عليها، و لكن الله أوجد تلك الدوافع، و هيء تلك الوسائل، فهو إذا دون غيره فرش الأرض بسجاده خضراء من البساتين اليانعه.

وَ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَ غَيْرَ مَّعْرُوشَاتٍ فَبَعْضُ الْجَنَانِ مَرْتَفَعٌ عَنِ الْأَرْضِ كَجَنَانِ النَّخِيلِ، وَ بَعْضُهَا مَفْرُوضٌ عَلَيْهَا كَجَنَانِ الزَّرْعِ.

مُخْتَلِفًا أُكْلُهُ وَ الزَّيْتُونَ وَ الرُّمَانَ مُتَشَابِهًا وَ غَيْرَ مُتَشَابِهٍ بَعْضُ الثَّمَارِ تَشَابَهَ مَعَ بَعْضِهَا، فِي اللَّوْنِ وَ الطَّعْمِ وَ الصُّورِ، وَ بَعْضُهَا لَا تَشَابَهَ، وَ التَّشَابَهَ قَدْ يَكُونُ مِنْ جِهَةٍ، وَ عَدَمُ التَّشَابَهِ مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى، فَكُلُّ الثَّمَارِ ذَاتِ نَكْهٍ لَدَيْهِ فِي الطَّعْمِ، وَ مَتَعَهُ فِي الْمَنْظَرِ وَ الْفَائِدَةِ، وَ لَكِنَّا نَتَمَيَّزُ عَنْ بَعْضِهَا فِي نَوْعِ النِّكْهِهِ وَ الْمَنْظَرِ وَ الْفَائِدَةِ. ان روائع الإبداع تتجلى في التشابه، و عدم التشابه، فلو كانت الثمار

من نوع واحد، أو كانت أنواعا متفاضله لما تجلت عظمه الخلقه كما تتجلى الآن، وقد جاءت الثمار أنواعا مختلفه، و لكنها جميعا ذات مستوى عال من ناحيه الطعم و الفائده كل بصوره مختلفه.

و بما ان الله سبحانه، هو الذى أنعم علينا بالثمار، فانه يفصل لنا كيفيه الانتفاع بها، و بين الله هنا ثلاثه من أحكامها:

الاول: حين يقول:

كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ فَإِذَا نُضِجَتِ الثَّمَرَةُ، يكون أو ان الاستفاده منها، و على البشر ألاّ- يحرم نفسه من طبياتها بأوهام باطله، بل بالعكس عليه ان ينتفع من الثمرات و الانتفاع البسيط - كالأكل حين ثمر الشجره - حق من حقوق كل شخص، اما الانتفاع الدائم كما إذا أراد تخزين الثمار و بيعها، أو الاستفاده منها مستقبلا، فان حق الآخرين يتعلق بها.

و هذا هو الحكم الثانى:

وَ آتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ففى ذلك اليوم ينتظر الفقراء حقوقهم من الزكاه أو الصدقه أو غيرهما. كحق الحصاد، بالرغم من أن حقوقهم تتعلق بها منذ نضوج الثمر، و ربما تدل الآيات على أن الاكل يجوز قبل إخراج الزكاه. إذ أن الزكاه تتعلق بما يخزنه البشر لا بما ينتفع منه - و الله العالم -.

بيد ان الانتفاع بالطيبات يجب أن يكون فى حدود الحاجه دون الإسراف، و هذا

ص: ٢١٢

هو الحكم الثالث الذى بينه القرآن الحكيم هنا:

وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ۖ وَأَنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ فَسَوْفَ لَا يَنْصُرُهُمْ وَلَا يَزِيدُهُمْ مِنْ نِعْمِهِ.

الأنعام و فوائدها:

[١٤٢] كما فى الثمرات التى تنبت من الأرض، فكذلك فى الدواب التى ينتفع بها البشر طعاما و حملا و غير ذلك، و الله هو الذى أنعم على الإنسان بالقدره على تسخير الدواب و الانتفاع بها، و جعل الانعام قسامين: قسم منها الانعام الكبيره التى تحمل الأثقال من بلد الى بلد كالإبل، و قسم منها الانعام الصغيره كالشاه التى يستفاد عاده منها فى الطعام. وَ مِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةٌ وَ فَرْشًا الْكِبَارُ وَ الصَّغَارُ.

كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ فَلَا تَحْرَمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمُ الْحَيَوَانَاتِ كَمَا كَانَتْ تَفْعَلُهُ بَعْضُ الْمَذَاهِبِ الْقَدِيمَةِ، وَ لَكِن مِّن جَانِبٍ آخَرَ لَا تُسْرِفُوا فِي الْأَكْلِ، وَ لَا تَظْلَمُوا الْأَنْعَامَ بِاعْتِبَارِهَا مَسْخَرَاتٍ بِأَيْدِيكُمْ، فَتَقْتُلُونَهَا صَبْرًا، أَوْ تَمْنَعُونَ عَنْهَا الْمَاءَ وَ الْكَلَاءَ كَسَلًا وَ مَا أَشْبَهَ، كَمَا لَا تَتَّخِذُوا هَذِهِ النِّعْمَ وَسِيلَةً لِلْبَطْشِ وَ الْإِعْتِدَاءِ عَلَىٰ بَعْضِكُمُ الْبَعْضِ.

وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ وَ بِالرَّغْمِ مِنْ أَنْ لِلشَّيْطَانِ خُطُوَاتٍ مُّتَنَوِّعَةً تَقُودُ الْبَشَرَ إِلَى النَّارِ، وَ كُلُّهَا مَشْمُولَةٌ

للآيه و ممنوعه، الا أن دلالة السياق تدعونا الى افتراض ان اخطر هذه الخطوات هي الامتناع عن الاستفاده من بعض الأنعام افتراء على الله.

[١٤٣] يفصل ربنا أنواع النعم الكبيره و الصغيره ليبين انها جميعا حلال لو حده الملاك و الفائده و الهدف، فلما ذا يحرم البعض دون الآخر، هل لان الله قال ذلك، أم اتبعا لخطوات الشيطان؟! تَمَائِيَهَ أَرْوَاجٍ مِّنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ الذَّكْرَ وَ الْأُنثَى.

وَ مِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ ذَكَرَ الشَّاهِ وَ الصَّخْلُ وَ أَنثَاهُمَا.

أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْوَاحُ الْمُأْنَثَيْنِ مِنَ الْجِنَّةِ، ان هذا التساؤل يزيد الإنسان اهتماما و يستجلى فطرته حتى يحس بعدم الفرق الحقيقى بين هذه الأنواع من نعم الله، لذلك قال سبحانه:

تَبَيَّنُوا لِي بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ اى لا تفرقوا بين الحقائق بأوهامكم، بل بعلم تتراهنون عليه.

[١٤٤] و كما فى الفرش اى الانعام الصغيره مثل الضأن و المعز، فكذلك فى الحموله مثل الإبل و البقر لا يمكن التفريق بين ذكره و أنثاه الا بعلم.

وَ مِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَ مِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ

الذكر و الأنثى لكل واحد منها.

قُلْ أَلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ كَلَّا..لم يحرم الله أيًا منهما، إذ لا أحد يشهد بصدق هذه التحريمات.

أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمْ اللَّهُ بِهَذَا وَبِالطَّبَعِ لَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَدْعِيَ هَذِهِ الشَّهَادَةَ.

فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ لَان هُوَ لَاء يحفرون خطأ منحرفا للناس، و يجعلونهم يظلمون أنفسهم، و يظلمون الناس آلاف المرات، و كل سيئات الظلم تكون على عاتق ذلك الذى افترى على الله. مثلا:الذين يفسفون الطبقية، و يجعلونها مشروعا. كم يفترون من الإثم؟! إذ أنهم يتسببون فى ألوف بل ملايين الجرائم، أليس كذلك؟! إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ الذين يفترون على الله كذبا، و لذلك فهم يضلون السبيل القويم، و هنا لا بد من التذكر بفكره هى: أن السبب الذى يدعو فريقا من الناس الى اختراع الشرائع الباطله هو اتباع الشهوه فى ظلم الآخرين، كما ان السبب الذى يدعو الناس الى الالتفاف حول هذا الفريق هو الظلم أيضا، و الظلم الصغير يولد الظلم الكبير الى أن يضل الطريق رأسا.

ص: ٢١٥

إشاره

قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهْلًا
لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٤٥) وَ عَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُنْفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ
حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوْ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ (١٤٦) فَإِنَّ
كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ (١٤٧)

اللغه

١٤٦[الحوايا]:المباعر،و مفردھا حاویه و ھی ما یحوی فی البطن ما اجتمع و استدار.

إشاره

فى تشريعات التوحيد

هدى من الآيات:

فى مواجهه الانغلاق الذى أصيب به البعض، فحرموا على أنفسهم الطيبات الا- قليلا- ذكر القرآن الحكيم هنا أنه ليس تلك المحرمات الجاهليه موجوده فى الكتاب، إنما هى أشياء معدوده ذكرت فى الآيه و هى الميتة و الدم و الخنزير و الفسق.

بيد أنه حرم الله على بنى إسرائيل أنواعا من الطيبات، و ذلك مثل كل ذى ناب أو مخلب، و شحوم البقر و الغنم، و ذلك لأنهم بغوا على بعضهم البعض، و كلما زاد بغى البشر ضاقت عليه النعم.

و الله سبحانه رحيم، و رحمته واسعة، و لكنّه فى ذات الوقت شديد العقاب، لا يستطيع المجرمون الفرار من عقابه.

و تأتى هذه الآيات لتؤكد الفكره السابقه و هى ضروره الاستقامه على الخط السليم دون زياده أو نقصان. لأن الأحكام الشرعيه مرتبطه بالمصالح الواقعيه التى

لا تتغير.

بينات من الآيات:

دود الحرام:

[١٤٥] يزعم البعض أن الدين معتقل حصين لطاقت البشر، لا يدعها تنمو و تتكامل، و أن كل شىء فى الدين حرام الا ما استثناه الله، و الله سبحانه ينفى هذه الفكرة الباطله مره بعد اخرى.

و فى هذه الآيه يشرح الله سبحانه أصل الحليه التامه الا فى أشياء معينه، و بذلك يشجع البشر على التمتع بنعم الله، الا إذا سبب ضررا بالغاء عليه.

قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ خَارِجًا مِنْ الْجَسَمِ باندفاع، اما الدم المتبقى فى ثنايا اللحم فانه معفو عنه.

أَوْ لَحِيمٍ خنزير فَإِنَّهُ رَجَسٌ بالرغم من ان ظاهره طيب، و لكن واقعه رجس، يولد أنواعا من المرض كما يطبع طاعمه ببعض الأخلاق الذميمة.

أَوْ فِسْقًا أَهْلًا لغير الله به ان الذبيحه التى تهدى للصنم حرام لأنها جزء من واقع الشرك فلذلك هى فسق و حرام، و لكن مع كل ذلك فان هذه المحرمات تصبح حلالا فى حاله الاضطرار إليها، و الاضطرار يعنى: أن يصيب الفرد فى حاله تركه لها ضررا كبيرا لا يتحمله، فليس بضرر ذلك الذى يلحق الظالم حين يترك ظلمه أو يلحق المسرف و المتجاوز

ص: ٢١٨

حده حين يعود الى حده و نصابه، لان الضرر انما يقاس بمعيار الحق القائم على العقل و الفطره، و تمييز العرف العام، و لذلك فان معايير الظالمين و البغاه أو المتجاوزين بالسرف و الترف لا تعتبر معايير كافيه، و لذلك

جاء في تفاسير الصادقين عليهم السلام :

(إن البغاه هم الخارجون على امام الأمه، و العادون هم:العصاه) و لا ريب أن هذا واحد من المصاديق لهاتين الكلمتين في حين تشمل الآيه كل باغ و عاد، و بكلمه ان البغى و العدوان في هذه الآيه-حسب ما يبدو لى- مرتبط بالمعيار، فاذا كان معيار الاضرار سليما يجوز الاستفاده من هذا القانون و الا فلا.

فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاطِلٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ مغفرته تتجلى في عدم أخذ من يأكل الميتة اضطرارا بالرغم من حرمة في الواقع، و رحمته تتجلى في خلقه سائر الطيبات.

ملحقات المحرمات:

[١٤٦]مبدئيا لا يحرم الله الطيبات على البشر، بل الخبائث، و هى استثناء و ليست أصلا، و بالتالى فهى معدوده كما عرفنا، بيد ان ربنا قد حرم وفقا لحكمه معينه طائفه من الطيبات لاسباب خارجيه مثل تأديب المجتمعات المائعه و الظالمه، مثلا:حرم الله على اليهود كل ذى ظفر، و هو الحيوان الذى يستخدم اظافره سلاحا لصيده.مثل السباع، و الطيور ذات المخالب(كالعقاب) و قيل:ان هذه الكلمه تشمل الإبل و الأنعام لأنهما و أمثالهما ليست بمنفرج الأصابع.

وَ عَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ

ص:٢١٩

و شمل تحريم ربنا الاستثنائي على بنى إسرائيل شحوم البقر و الغنم، الا تلك الشحوم المتراكمه على ظهورها، أو الموجوده على مقاعدها، أو تلك الشحوم المختلطه بعظم.

وَ مِنَ الْبَقَرِ وَ الْغَنَمِ حَرَمٌ عَلَيْهِمْ شُحُومُهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ وَ السُّؤَالُ: لِمَاذَا حَرَّمَ اللَّهُ كُلَّ تِلْكَ الطَّيِّبَاتِ عَلَيْهِمْ؟ يَجِيبُ رَبُّنَا: إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ ظَلَمُوا وَ بَغَى بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ، فَحَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ بَعْضًا مِنَ الطَّيِّبَاتِ، وَ يَبْقَى سُّؤَالٌ: لِمَاذَا يَتَسَبَّبُ الْبَغَى فِي الْحَرَمِ؟ وَ الْجَوَابُ: إِنَّ السِّنَنَ الَّتِي نَسَمِيهَا بِالْإِنْظَامِ الطَّبِيعِيِّ لَا تَخْتَلِفُ عَنِ الْأَحْكَامِ التَّشْرِيعِيَّةِ إِلَّا فِي شَيْءٍ وَاحِدٍ هُوَ أَنَّ تِلْكَ يَجْرِيهَا رَبُّنَا عَلَى الْكُونِ وَ عَلَى الْبَشَرِ قَهْرًا وَ دُونَ أَيِّ تَغْيِيرٍ وَ تَبْدِيلٍ، بَيْنَمَا الْأَحْكَامُ الشَّرْعِيَّةُ يَأْمُرُ بِهَا النَّاسَ، وَ يَحْذَرُهُمْ مِنْ عَاقِبَتِهَا، لِذَلِكَ فَانْهَاتَيْنِ السَّنَنَ الطَّبِيعِيَّةَ وَ التَّشْرِيعِيَّةَ تَلْتَقِيَانِ فِي الْخَطُوطِ الْعَامَّةِ، لِأَنَّهُمَا تَصْدُرَانِ مِنْ مَنبَعٍ وَاحِدٍ، وَ بِمَا أَنَّ النِّهَايَةَ الطَّبِيعِيَّةَ لِلْبَغَى فِي الْمَجْتَمَعِ هُوَ انْحِسَارُ النِّعَمِ عَنْهُ وَ تَضْيِيقُ الْخِنَاقِ عَنِ أَوْبَانِهِ، فَانْهَاتِيهِ بِمَا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ سَبْحَانَهُ عَلَى مَجْتَمَعِ الْبَغَى، وَ ذَلِكَ بِتَحْرِيمِ طَائِفَةٍ مِنَ الطَّيِّبَاتِ عَلَيْهِ.

ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَ إِنَّا لَصَادِقُونَ

ذو الرحمه و البأس:

[١٤٧] ان كل واحد من البشر يتصور الله على شاكلته و حسب مشتهياته، كما يتخذون ذات الصوره لسائر الحقائق، و المذنبون من الناس يضحمون في أنفسهم صفه الرحمه و العفو لله دون أن يتذكروا صفات الغضب و البأس و العقاب له سبحانه،

و لذلك فهم يكذبون من يحذرهم الآخرة، و يوعدهم العذاب.

فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ ۖ وَ تَكْذِيبَ رَحْمَةِ اللَّهِ مَخَالِفٌ لِّلْفِطْرَةِ، و لما نشاهده فى عالم الواقع، و لذلك أكد الأنبياء هذه الصفة الحسنى لله، و لكنهم أكدوا على الصفة الاخرى أيضا.

وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ

ص: ٢٢١

سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاءُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَيْلٌ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَوْلَا أَنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ (١٤٨) قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ (١٤٩) قُلْ هَلَمْ شُهَدَاءُكُمْ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا فَاِنْ شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدُ مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ (١٥٠)

هدى من الآيات:

حين يكون معيار الحق و الباطل عند البشر ذاته، و ليس الواقع و الحقيقه، يزعم أنّ كلما يفعله يطابق الحقيقه عند الله، و ان أعماله و أقواله تستمد شرعيتها من الله عز و جل، إذ ما دام يعتقد هو بها و ان ما تعتقده نفسه فهو صحيح. إذا فالله أيضا أمر به لذلك ينسب المشركون من أهل الكتاب أو من غيرهم شركهم و تشريعاتهم الى الله، و لكن الله سبحانه لم يصدقهم إذ عذبهم بيأسه فى الدنيا قبل الآخره حتى ظهر لهم و لغيرهم أنهم ليسوا على حق، و يتساءل القرآن كيف يزعمون أن أفكارهم صحيحه. هل علما بذلك أم ظنا و توهما؟! الله لا أنا و أنت فالذى عنده الهدى، و له الحجه البالغه على الهدى، و هو قادره على هدايه الناس اليه، أما هؤلاء فإنهم يكذبون بالحق و لا حجه لهم عليه، و لا شهود صادقين، و لذلك أمرهم القرآن بإحضار شهداءهم، و لكنه نهى عن الشهاده لهم لأنهم.

أولاً: يتمحورون حول ذواتهم و أهوائهم.

ثانياً: يكذبون سلفاً و بلا تردد بكل العلامات التي تدل على الحق لأنهم لا يهدفون بلوغ الحقيقة.

ثالثاً: انهم يكفرون بالآخره و يقصرون حياتهم على الدنيا.

رابعاً: و أخيراً إنهم لا يميزون بين الله و بين خلقه سبحانه.

بينات من الآيات:

جذور الانحراف:

[١٤٨] و يأتى هذا الدرس فى بيان الجذور الخبيثه للتشريعات البشريه الباطله فى القضايا الاجتماعيه التى بسببها يتبع البشر هواه، و يعبد ذاته، و يترك الحق و مسئوليته، و يتشبث بتصورات باطله و أوهام بعيده تستمد شرعيتها من الهوى، فيقول بالحتميات الباطله. مثلاً: ان الليل و النهار و حوادث الحياه هى التى تجبره على اتخاذ موقفه، أو يقول: ان الله أجبره على ذلك لان الله هو خالق ما فى الوجود، و القاهر فوق العباد، فهو الذى اضطره على ذلك أو ما أشبه، أو يتشبث بالخرافه الباطله التى تقول: ان الله فوض أمور العباد الى أنفسهم، فهم يقزرون لها ما شاءت عقولهم، (و هنا يخلطون بين العقل و الهوى خطأ متعمداً عجيباً).

و سواء تشبثوا بهذا النوع من التصور أو ذاك فان الهدف منه شىء واحد هو إعطاء الشرعيه لعباده أهوائهم، و التمحور حول ذواتهم، و اعتبار افكارهم و تشريعاتهم مقدسه، بل و مدعومه من قبل الله من فوق عرشه سبحانه، و هذه آخر مرحله من الضلاله عند البشر.

سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ

فإنه كان قادرا على منعنا من الشرك، و التشريع الباطل، فلم يفعل فهو راض بما نفعله، و يجب القرآن الحكيم على ذلك:

أولا- ان هذا الفريق هو الذى يكذب بالحق لذلك فهم يتشابهون مع كل من يكذب بالحق فى التاريخ علما بأن أحد الطرق لكشف حقيقه جماعه هو الكشف عن التيار العام الذى يقعون فيه و يتسابقون معه، فإذا مصدر هذا الزعم و سببه هو انهم يكذبون بالحقائق، و إذا عرف الداعى النفسى الى فكره ما افترضت طبيعتها و حقيقتها، مثلا: إذا عرفت ان زيدا الذى يتحدث عن فكره انما يتحدث عنها لأنه ينتمى الى حزب كذا عرفت جوانب كثيره من الفكره.

ثانيا: ان النهايه التى جعلها الله لمثل هؤلاء هى العذاب الشديد. إذا فهم ليسوا بخارجين عن دائره المسؤوليه التى من أجل الهروب منها تشبثوا بمثل هذه الأفكار الباطله.

كذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا ۗ ثُمَّ و بعد ان يشكك هؤلاء بأفكارهم- يطرح عليهم هذا السؤال: هل هذا علم أم ظن؟ ان مجرد طرح هذا السؤال يعنى جعل شرعيه الأفكار مناطه بالعلم لا بالمصلحه، و بالتالى فضح جذور الفكره، و أنها نابعه من الهوى، و بما انهم لم يدعوا العلم لأنهم لا يعترفون بالحق (بل بذاتهم) حتى يبحثوا عن العلم الذى يهديهم اليه، و لكن مع ذلك لا يمكنهم انكار شرعيه العلم.

ثم يؤكد القرآن الحقيقه فى أمر هؤلاء، و يقول: ان اعتماد هؤلاء هو على التصور و الوهم و التصور (الظن) هو الكذب المتعمد، و الوهم هو الشك (الخرص).

قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا ۚ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا

تَحْرُصُونَ و هم لا- يستطيعون انكار ذلك. إذ انهم لو أنكروه فقد فتحوا باب المباحثه البناءه، و الحوار الفاعل على أنفسهم، و هو يضرهم لأنه يعيد الشرعيه للحق و العلم لا للهوى و الظن.

لا للحتميه:

[١٤٩] لم يحتم الله على البشر الضلاله، و لا رضى بها. إذ لم يجبرهم على ترك ضلالتهم، بل وفر لهم فرصه الهدايه كامله، فأعطاهم الحججه البالغه، و بقى عليهم ان يقوموا بدورهم فى استيعاب الهدايه، كما ان الله قادر على أن يجبر الناس على الهدايه، و لكنه لم يفعل، كما لم يجبر الناس على الشرك..فليس تركه للناس دليلا على رضاه سبحانه لأنه أتم الحججه عليهم.

قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ

الاستشهاد:

[١٥٠] احدى الوسائل الفعاله لتمييز الحق عن الهوى، و العلم عن الظن، و الصدق عن الكذب، هى طرح الأفكار على عقول الناس، و استشهادهم عليها، ذلك لان الناس حتى و لو كانوا يتبعون الهوى و الظن فإنهم حين يقيمون أفكار الآخريين، فليس من الضرورى القبول بها أو التصديق، ذلك لان مصالح الناس مختلفه، و أهواءهم متفاوته، و بالتالى كل حزب بما لديهم فرحون. بيد أن شهاده الناس ليست دليلا على الحق و لو كانت دليلا على بطلان الهوى. فهى مفيده سلبيا فقط (تنفى و لكنها لا تثبت).

قُلْ هَلْ مِمَّ شُهَدَاءُكُمْ

أى اجمعوا شهداءكم، لأنه بجمعهم تفرق كلمتهم لأنها باطله، و لذلك من وسائل كشف عصابه الاجرام جعلهم جميعا يشهدون على الواقعه فترى كم أنهم يختلفون، بل و يتناقضون مع بعضهم لأنهم ان اتفقوا على مخالفه الحق فلن يتفقوا على نوع الباطل، لذلك فصل القرآن و قال:

الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا وَ لَكِنِ اتَّفَقَ عَلَى الْبَاطِلِ لَا يَصِحُّ دَلِيلًا عَلَيْهِ.

فَإِنْ شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ وَ لَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَ الْقُرْآنَ الْحَكِيمِ يبين هنا المزيد من جذور الشرك. حيث يبين ان السبب فى عدم اتباع الحق لا تلفها الهوى هو عدم الايمان بالآخره هذا أولا، ثانيا: عدم معرفه الله و خلط الله و خلط الله بخلقه.

وَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَ هُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ وَ مَنْ يَعْدِلِ اللَّهُ بَخَلْقِهِ لَا يَعْرِفُ اللَّهَ وَ لَا خَلَقَ اللَّهُ.

اشاره

قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَيْهِمْ إِلَّا تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَزَّلْنَاكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَ لَا تَقْرُبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَ مَا بَطَنَ وَ لَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (١٥١)

اللغه

١٥١[إملاق]:الاملاق الإفلاس من المال،و منه الملق و التملق لأنه اجتهاد فى تقرب المفلس للطمع فى العطيه.

هدى من الآيات:

بعد بيان المحرمات المعدوده التى ترتبط بالماديات، جاء دور المحرمات الاجتماعيه الأكثر أهميه و الأكثر مصداقيه و الأكثر صعوبه، و هى كالتالى:

أولاً:الشرك بالله.

ثانياً:الإحسان الى الوالدين، اى حرمة إيدائهم، و حرمة إهمال حقوقهم.

ثالثاً:حرمة إهمال حقوق الأولاد من الفقير.

رابعاً:الفواحش التى بينها الله فى كتابه، سواء الخفيه منها أو الظاهره.

خامساً:قتل النفس المحرّمه.

هذه وصايا ربنا التى تنفعنا، و التى يمكن لنا أن نعقلها ببساطه.

حرمات الله:

[١٥١] الجاهليه بشكلها القديم و الجديد،الظاهر و المغلّف تحاول تضخيم جوانب من الدين على حساب جوانب اخرى هي الأهم و الأصعب،و هي المحتوى و اللباب،و رساله الله تذكر الناس بأن الدين لا يبعّض،و أن ذلك التضخيم و المبالغه و الاحتياط فى غير محله،بل حرام أساسا،و فى الآيات السابقه رأينا كيف ان الله بيّن ان تحريم الجاهليه للطيبات من الرزق،باسم الدين كان باطلا،بينما المحرمات تلك كانت محدوده بل و جانبيه،أما المحرمات الكثيره و الاساسيه التى تناسها الجاهليون القشريون عمدا و لخطورتها و أهميتها فهى التى تذكر بها هذه الآيات، فعلىنا الاهتمام بها ان كنا فعلا مؤمنين و لا نخادع أنفسنا فى الدين.

المحرمات الاساسيه هى التى تنظم الحياه الاجتماعيه للإنسان،ابتداء من حياه الاسره و حتى السياسه،و لكن كلّ الانظمه الاجتماعيه فى الإسلام مصطبغه بالتوحيد و رفض الشرك بالله سبحانه،لذلك بدء الله هويته به و قال:

قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَيْهِ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا يَجِبُ أَنْ نَخْلُصَ الْعِبَادَةَ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ،وَالْآنُ نَخْضَعُ أَوْ نَسْتَسَلِمُ لَشَيْءٍ مِنْ دُونِ اللَّهِ، وَالْآنُ نَقْبَلُ ضَغْطًا أَوْ زُورًا،بَلْ يَكُونُ بِنَاءِ حَيَاتِنَا عَلَى الْحَرِيهِ الْمَطْلُوقَةِ(إِلَّا فِي حُدُودِ الْقَانُونِ)وَالْعِزَّةِ وَالْكَرَامَةِ.

محتوى التوحيد هو الحريه و الحريه ممارسه و سلوكك و فعل يقوم به الشخص ذاته قبل ان تكون حقا،و نظاما و انفعالا.كلا..فحريتي تبدء حين أرفض الخضوع لشيء أئى كان اسمه لانى اعتبر كل شيء خاضعا لله،و انا أيضا خاضع لله

و لقانونه، و لمن أمرنى باتباعه، و فيما وراءه لا شىء يمكن أن يخضعنى لا الثروه و لا السلطه و لا الإرهاب الفكرى أو التعذيب.

الشرك اولاً ثم الروابط العائليه:

و إذا ساد فى المجتمع نظام الشرك، فان القانون لا يمكن ان يكون الهيا لان كل بند من بنود القانون ينقض تحت ضغط الثروه أو السلطه أو الإرهاب الفكرى. لذلك بدء الله النهى عن المحرمات الاجتماعيه بالنهى عن الشرك لأنه الشرك لأنه الشرط المسبق لتنفيذ سائر المحرمات.

و بعد ان نتعهد بالتسليم لله وحده لا- لشىء آخر يأتى دور بناء العلاقات الاجتماعيه و أهمها علاقته بين الأجيال- بين الجيل السابق (الوالدين) و الجيل اللاحق (الأبناء)-العلاقه مع الوالدين يجب أن تكون علاقته الإحسان.

وَ بِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا و الإحسان هو: العطاء الفضل الذى يتجاوز الحق الى الخير، و هو بالتالى لا يعنى التسليم المطلق (كما تعنى العباده) كما لا- يعنى الطاعه للوالدين. إذ أن الطاعه تعنى بدورها الخضوع، و المؤمن لا يخضع لغير الله، نعم الطاعه بمعنى قبول عرض منهما بالنسبه الى عمل دون أن يكون ذلك فرضاً من قبل الوالدين أو تسليماً من قبل الأولاد، هذه الطاعه مطروحه.

و المنطق المتخلف جعل التسليم للوالدين واجبا شرعياً، فكّرس الروح العشائريه فى النفوس، بينما لا نجد فى الإسلام سوى الأمر بالإحسان الى الوالدين، بل وجدنا بالعكس من ذلك تماماً، نهى الإسلام عن الاتباع الأعمى للآباء، و هذا ما يجرنا اليه المنطق المتخلف.

و كما يجب التسليم لله و الإحسان الى الوالدين لا بد أن تكون علاقه الإحسان هى العلاقه السائده بين أبناء المجتمع، أما العلاقه بين الإنسان و بين أبنائه و عموما الذين هم أقل منه مستوى فهى علاقه المحافظه عليهم، و ألا يزعم الأب ان أولاده منافسين له فيقتلهم خشيه أن يتأثر وضعه الاقتصادى بهم.

وَ لَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ إِلَّا هُمْ أَوْلَادٌ كَانُوا يَافِكُونَ (والتى هى نظره الشركه) الآباء و كأن بينهم و بين الأبناء صراعا على البقاء، و لذلك كانوا يقتلون أولادهم قديما، أو يجهضون أولادهم بزعم أنهم يزاحمونهم فى نعم الحياه، أو يمنعون النسل بهذه الحججه.

هذه النظره الشركيه هى التى أوحى الى الماركسيه بتصور التناقض الحاد بين أبناء المجتمع، كما أوحى الفرويديه بأن الابن الذكر ينافى أباه على أمه و الأنثى تنافى أمها على أبيها.

بينما النظره التوحيديه السماويه توحى الى الإنسان بحقيقه التكامل فى الحياه، و أن نعم الله ليس فقط تسع كل الناس من دون صراع حاد، بل و أيضا أنها تزداد كلما ازدادت العناصر الطالبه لها، و ربما لذلك أشارت الآيه الى ان الرزق سيتناوله الآباء قبل الأبناء فى حاله تواجدهم مع بعضهم.

ما هى الفواحش؟

العلاقه الحسنه بين الآباء و الأولاد تتكامل مع العلاقه السليمه بين الزوجين، حيث يجب أن تكون علاقه البناء لا الهدم، و الزواج لا الفاحشه، لذلك حرم الله الفواحش كلها.

وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ قَدْ تَكُونُ الْفَاحِشَةُ ظَاهِرَةً كَالزَّانَا وَالشَّدُوذِ، وَالْعَادَةُ السَّرِيهَ وَمَا إِلَيْهَا، وَقَدْ تَكُونُ بَاطِنَةً وَهِيَ الَّتِي لَا تَحَقِّقُ أَهْدَافَ الزَّوْجِ السَّامِيهِ كَالصَّدَاقَةِ مَعَ النِّسَاءِ، أَوْ حَرْفِ الْغَرِيزَةِ بِمَا تَخْدُمُ أَهْدَافَ الشَّيْطَانِ كَالْاِكْتِفَاءِ بِالصُّورِ الْجَنْسِيَّةِ أَوْ بِالْأَفْلَامِ الْخَلِيعَةِ عَنِ الْعِلَاقَةِ الْجَنْسِيَّةِ السَّلِيمَةِ.

وَقَدْ يَكُونُ مِنْ مَصَادِيقِ الْفَاحِشَةِ الْبَاطِنَةِ عَدَمُ إِجَادِ جَوِ التَّكَامُلِ فِي مَحِيطِ الْبَيْتِ بِمَا يَخْدُمُ مَصْلَحَةَ الطَّرْفَيْنِ، أَوْ عَدَمُ أَدَاءِ الْحَقُوقِ الْوَاجِبَةِ مِنْ قَبْلِ أَىِّ وَاحِدٍ مِنَ الطَّرْفَيْنِ كَالْمَهْرِ وَالنَّفَقَةِ وَالتَّمَكِينِ، أَوْ أَنْ تَكُونَ نَظَرُهُ أَحَدَ الزَّوْجَيْنِ مُتَوَجِّهًا إِلَى غَيْرِ زَوْجِهِ مِنْ سَائِرِ الذَّكَورِ وَالْإِنَاثِ.

وَكَذَلِكَ قَدْ تَكُونُ مِنَ الْفَاحِشَةِ الْبَاطِنَةِ أَنْ يَسْتَهْدَفُ كُلُّ مِنَ الزَّوْجَيْنِ إِشْبَاعَ غَرَائِزِهِ دُونَ أَنْ يَفْكَرَ فِي مَصْلَحَةِ الطَّرْفِ الثَّانِي، فَلَا يَتَّبِعُ غَرِيزَتَهُ فِي وَقْتِ هَيْجَانِهَا، أَوْ لَا يَفْكَرُ فِي تَكَامُلِهِ وَنُمُوهِ وَرَاحَتِهِ بِقَدْرِ مَا يَفْكَرُ فِي نَفْسِهِ فَتَكُونُ قَرَارَتُهُ ذَاتِيَّةً بِحَتِّهِ.

هَذِهِ عِلَاقَةُ الزَّوْجَيْنِ، أَمَّا عِلَاقَةُ النَّاسِ بِبَعْضِهِمْ فَيَجِبُ أَنْ تَكُونَ تَكَامِلِيَّةً وَلَا تَكُونَ حَدِيدِيَّةً نَابِعَةً مِنْ نَظَرِ الشَّرْكَ الَّتِي تُوْحِي أَبْدَاً بِالصَّرَاحِ الْبَاطِلِ.

وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ فَقَتَلَ النَّفْسَ الْمَحْرَمَةَ مَظْهَرٌ مِنَ الْمَظَاهِرِ الصَّرَاحِ الشَّرْكَى، وَحِينَ يَجِبُ تَصْفِيهِ أَحَدِ جَسَدِيَّاتِهَا، كَمَا إِذَا كَانَ قَاتِلًا أَوْ مَفْسِدًا فِي الْأَرْضِ فَانْهَاجُ ذَلِكَ.

أَنَّ هَذِهِ الْمَحْرَمَاتُ هِيَ مِمَّا يذْكَرُ بِهَا اللَّهُ لِيَفْتَحَ الْعُقُولَ بِهَا. إِذْ أَنَّهَا مَرْتَكِزَةٌ فِي فِطْرَةِ الْبَشَرِ لِذَلِكَ عِبْرَ الْقُرْآنِ عَنْهَا بِالْوَصِيَّةِ الَّتِي هِيَ خَيْرُ ظَاهِرِهِ لِلْإِنْسَانِ.

ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ

اشاره

وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَ أَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَ بَعِّدُوهُ عَنِّي وَأَمَّا اللَّهُ فَمَعَزُومٌ بِمَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ (١٥٢) وَ أَنْ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٥٣)

اللغه

١٥٢ [أشدّه]:الأشد جمع شد،و الشد القوه و هو استحكام قوه الشباب اى حتى يبلغ قوى شبابه،و هو انما يحصل بالبلوغ و الرشد.

إشاره

الحياه الاجتماعيه

هدى من الآيات:

بعد أن تحدث القرآن عن ادائه منطق الشرك الذى يدعو الى الصراع و التناقض، فحرم القرآن جانبا من آثار هذا المنطق الباطل، بعدئذ نهى القرآن عن آثار هذا المنطق فى الواقع الاقتصادى للمجتمع، حيث يسعى كل فريق نحو ابتزاز الآخرين، فحرم الله الاعتداء على أموال الآخرين و بالذات أكل أموال الضعفاء كالأيتام، و أكل الأموال بطرق ملتويه كالغش و نقص المكيال و الميزان. صحيح أن الفرد حين معامله يتدخل ما له بأموال غيره من حيث لا يريد- هو ليس بحرام- لان الله لا يكلف الإنسان إلاّ بقدر طاقته، و لكن حرام أن يتعمد ذلك تعمدًا، أو على الأقل يعمل بالتطيف فى الميزان.

و لذلك أيضا أوجب الله الاستقامه على الطريق، و عدم الانحراف عنه يمينا أو شمالا، و ذلك بقبول القيادات الباطله، أو الخضوع للتيارات المنحرفه، و هذا هو لب التقوى، و محتواها الحقيقى الذى لا يصل اليه الإنسان إلاّ باجتهد عظيم، و جهاد

بينات من الآيات:

كيف نتصرف في مال اليتيم؟

[١٥٢] من الميزات الهامة في التشريعات القرآنية هي الواقعية، فتأتى واجبات و محرمات القرآن مطابقيه لانحرافات الواقع الخارجى و مركزه عليها. مثلا: فى باب الاقتصاد لا يكتفى القرآن ببيان حق الملكيه الخاصه، و حرمة الاعتداء على أموال الناس، بل و يهتم أبدا بتلك الحلقات الأكثر عرضه للاعتداء، فيركز حديثه عليها، و لذا يتوقف المجتمع عن الاعتداء فى الحلقات الأكثر عرضه للاعتداء و يسرا، فإنه بالطبع لا يعتدى على غيره، و من هنا ذكر القرآن الحكيم هنا مال اليتيم، و النقص فى المكيال و الميزان، أما مال اليتيم فلائن صاحبه ضعيف لا يقدر على المطالبه به، و لأنه أيسر و أقرب للضياع، و اما النقص فى المكيال فلائنه أسلوب شائع و بعيد عن ملاحقه القانون لان من الصعب التعرف عليه.

وَ لَا تَقْرُبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ أَيَّ مِنْ أَجْلِ تَنْمِيَّتِهِ، أَوْ الْمَحَافِظَةِ عَلَيْهِ، وَ إِلَّا فَلَا يَجُوزُ أَسَاسًا وَضَعُ الْيَدِ عَلَى مَالِ الْيَتِيمِ لِأَنَّهُ لَا يَعْرِفُ رِضَا صَاحِبِهِ بِذَلِكَ.

حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ فَإِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ، وَ بَلَغَ سِنَ الْكَمَالِ وَ كَانَ رَشِيدًا فَلَا بَدَانَ تَعَادَ إِلَيْهِ أَمْوَالُهُ، وَ لَا يَجُوزُ حَتَّى التَّصَرُّفِ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فِيهَا، كَمَا جَاءَ فِي آيَةٍ أُخْرَى.

« وَ ابْتُلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ

أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا» (١) وقد يكون بلوغ النكاح وحده نهايه السماح بالتصرف في أموال اليتيم لأنه بعد ذلك سيصبح سفيها، و مسئول عن أموال السفهاء من جهة اخرى.

وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ فَيَحْرَمُ الْغَشَّ فِي الْمِكْيَالِ لِأَنَّهُ نَوْعٌ خَفِيَ لِلْإِعْتِدَاءِ عَلَى ثَرَوِهِ الْمَجْتَمَعِ، وَعِلَاقَةُ شَرِكِيهِ وَ لَيْسَتْ تَوْحِيدِيهِ بَيْنَ أُنْبَاءِ الْمَجْتَمَعِ، وَالْوَفَاءُ بِالْكَيْلِ وَاحِدٌ مِنْ مَصَادِيقِ إِحْتِرَامِ حُقُوقِ الْآخَرِينَ أَشَارَ إِلَيْهِ الْقُرْآنُ لِمَعْرِفَةِ سَائِرِ الْمَصَادِيقِ مِثْلِ الْغَشِّ وَالْغَبْنِ وَ مِمَّا طَلَّهُ الْمَدِينِينَ، وَ اسْتَعْجَالَ الدَّائِنِ.

في المجتمع الاسلامى الذى تسود علاقاته نظره توحيديه لا يقتصر الفرد فى النظر الى نفسه، بل الى الآخرين أيضا، ويرى ان بلوغ الآخرين الى مآربهم جزء من أهدافه، بل هو طريق لبلوغه هو الى مآربه.

لَا يُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا بِالْوَفَاءِ بِالْكَيْلِ وَ عَدَمِ بَخْسِ الْمِيزَانِ لَا يَعْنِي ضَرُورَهُ الدَّقَّةَ الْعَقْلِيَّةَ فِي ذَلِكَ مِمَّا يَصْعَبُ عَمَلِيَّةَ التَّبَادُلِ التِّجَارِيِّ، بَلْ يَعْنِي أَنَّ يَكُونُ هَدَفُ الْفَرْدِ الْقِسْطَ، وَ لَا يَتَعَمَدُ التَّجَاوُزَ عَلَى حُقُوقِ الْآخَرِينَ، وَ مِنْ هُنَا جَاءَ فِي الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ: أَنَّ اللَّهَ لَا يَكْلِفُ نَفْسًا إِلَّا وَسْعَهَا. أَيْ حَسَبَ اسْتَطَاعَتِهَا دُونَ حَرَجٍ أَوْ عَسْرِ، ذَلِكَ لِأَنَّ الْمَجْتَمَعَ الْمُسْلِمَ تَنْتَشِرُ فِيهِ رُوحُ الْمَسَامَحَةِ وَ الْإِحْسَانِ إِلَى جَانِبِ الْإِلْتِمَامِ بِالْحُقُوقِ.

المسؤولية الاجتماعية:

و حين يلتزم سائر الأفراد بالحقوق تنتهى المشكله، و لكن إذا تعاسروا و اختلفوا

ص: ٢٣٧

فان أبناء المجتمع يجب أن يصبحوا قضاة عدولا، ولا يحكموا ضد أو مع هذا و ذاك، من دون دليل ثابت حتى ولو كان الشخص من اعدائي أو من اقاربي. لا بد ان يكون كلامي عدلا.

وَ إِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَ لَوْ كَانَتْ ذَا قُرْبَىٰ وَ إِذَا امْتَلَكَ الْمَجْتَمَعُ رُوحًا قَضَائِيَّةً عَادِلَةً حَكَمَ أُنْبَاءُهُ لِصَاحِبِ الْحَقِّ وَ ضَدَّ الظَّالِمِ أَنِّي كَانَ، فانه يصبح ذا مناعه كافيه عن انتشار الظلم فيه، و عن نمو الجريمة، إذ أن الظالم لا يبدأ ظلّمه بظلم كبير، و كذلك المجرم لا يقترف جرائم كبيره مره واحده، انما يتدرج نحوها شيئا فشيئا، فاذا ظلم الشخص مره فعارضه أقرب رفاقه و أقاربه فسوف ينسحب لصالح المظلوم، يتأدب، و يتخذ لمستقبله درسا لا ينساه، و كذلك المجرم لو قام في البدء بجريمه صغيره في محيط معارض له فسوف يتوقف عن الاستمرار في الجريمه.

وَ بَعَثَ اللَّهُ أَوْفُوا هُنَاكَ صَلَاتٍ طَبِيعِيَّةٍ بَيْنَ أُنْبَاءِ الْمَجْتَمَعِ كَصَلَةِ الْآبَاءِ، بِالْأُنْبَاءِ، وَ قَدْ سَبَقَ الْحَدِيثُ عَنْهَا فِي الدَّرْسِ السَّابِقِ، وَ هُنَاكَ صَلَاتٌ حَضَارِيَّةٌ أُسَاسِيَّتُهَا التَّعَاوُنُ عَلَى الْخَيْرِ، وَ الْمَصَالِحِ الْمَشْتَرِكَةِ وَ قَدْ تَحَدَّثَ عَنْهَا الْقُرْآنُ فِي هَذَا الدَّرْسِ، بِيَدِ أَنْ شَرَطَ بَقَاءَ هَذِهِ الصَّلَاةِ هُوَ تَحْكِيمُ النَّظَرِ التَّوْحِيدِيَّةِ فِي الْعِلَاقَاتِ، وَ ذَكَرَهَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ مَثَلًا فِي حَرَمِهِ الْحَقُوقِ، وَ عَدَالَةِ الْقَضَاءِ، وَ الْآنَ ذَكَرَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ الْعَهْدَ بِاعْتِبَارِهِ الْحَبْلَ الْمَتِينِ الَّذِي يَشُدُّ الْمَجْتَمَعَ بِبَعْضِهِ، وَ مِنْ دُونِ تَقْدِيرِهِ وَ احْتِرَامِهِ لَا يَثِقُ الْمَجْتَمَعُ بِبَعْضِهِ، فَيَخْتَلِ التَّعَاوُنَ، بَلْ يَسْتَحِيلُ التَّعَاوُنَ، إِذْ لَا يُمْكِنُ أَنْ تَعُوْضَ الْقَوَانِينُ الْمَسْتُورَةُ وَ الضَّابِطُ الْإِلِكْتُرُونِي بِالْعَهْدِ، حَيْثُ إِنَّ الْبَشَرَ قَادِرٌ عَلَى تَجَاوُزِهَا وَ الْإِلْتِفَافِ حَوْلَهَا، وَ لَكِنَّهُ لَا يَسْتَطِيعُ تَجَاوُزَ ضَمِيرِهِ، وَ الْإِلْتِفَافِ حَوْلَ وَجْدَانِهِ.

وقد جعل الله العهد بين الناس وثيقه بينه وبينهم مباشرة فسماه عهد الله حتى يعطيه الضمانه الايمانيه لاجرائه.

ان هذه وصايا ربنا الاجتماعيه التي لو أمعنا فيها النظر لرأينا أنها حقائق واضحه كنا غافلين عنها، فذكرنا ربنا بها:

ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ

الخطوط السياسيه فى المجتمع:

[١٥٣] فى الآيات السابقه بين الله ضرورات بناء المجتمع المتكامل، و علاقاته الداخليه بينما فى هذه الآيه يبين الله وجهه هذا المجتمع العام، و تياراته السياسيه و علاقاته العامه، فيأمر الله المسلمين باتباع الصراط المستقيم الذى لا ينحرف مع ظروف سياسيه متغيره.

وَ أَنْ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ الْجَمَاعَةَ السِّيَاسِيَةَ تَعِيشُ كَمَا الْفَرْدُ فِي الْمَجْتَمَعِ بَيْنَ تِيَارَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ مَنشُورًا سَائِرَ الْمَجْمُوعَاتِ السِّيَاسِيَةِ الْمَجَاوِرَةِ لَنَا، وَ كَمَا عَلَى الْفَرْدِ أَنْ يَلْتَزِمَ خَطَّ الْإِسْتِقَامَةِ بَيْنَ أَفْرَادِ الْمَجْتَمَعِ كَذَلِكَ الْمَجْمُوعَةُ السِّيَاسِيَةَ يَجِبُ أَنْ تَلْتَزِمَ بِالْحَقِّ بَيْنَ سَائِرِ الْمَجْمُوعَاتِ.

ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ وَ حَيْثُ يَكُونُ الْخَطُّ السِّيَاسِيَّ الْعَامَ خَطًّا صَحِيحًا يَكُونُ مِنَ السَّهْلِ عَلَى أَوْلَادِ هَذَا الْمَجْتَمَعِ الْإِلْتِمَامَ بِالْوَجِبَاتِ الشَّرْعِيَّةِ وَ التَّقْوَى عَنِ الْمَحْرَمَاتِ، بَيْنَمَا لَوْ لَمْ يَكُنِ الْخَطُّ الْعَامَ كَذَلِكَ فَانْ مَسَاعَى الْإِفْرَادِ فِي الْإِلْتِمَامِ بِالْخَطِّ الْإِسْلَامِيِّ تَكُونُ قَلِيلَةً الْجَدْوَى.

ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَ تَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَ هُدًى وَ رَحْمَةً لِّعَلَّهِمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ (١٥٤) وَ هَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مَبْرُوكًا فَاتَّبِعُوهُ وَ اتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (١٥٥) أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَنْزَلَ الْكِتَابَ عَلَيَّ طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَ إِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ (١٥٦) أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْنا الْكِتَابَ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيْنَهُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَ هُدًى وَ رَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَ صَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ (١٥٧)

هدى من الآيات:

هناك خطان في الحياه.خط الشرك و الضلاله،و خط التوحيد و الهدى،و فى الدرس السابق بين الله سبحانه جانبا من مفارقات هذين الخطين،و ما فيهما من آثار سلوكيه،و فى هذا الدرس يبين فكره خط الرساله عموما.فيقول: ان الله سبحانه أنزل الكتاب على موسى لكى يكون نعمه تامه للمحسنين،و لكى يفصل به شرائع الحياه تفصيلا،و لكى يهدى الناس الى الحقائق مباشره،و لكى يوفر لهم الحياه الآمنه السعيده،و أخيرا لكى يرَبِّي فيهم التطلع الانسانى الأرفع الذى يتجاوز الدنّيا الى الآخره.

و كذلك انزل الله مثل ذلك الكتاب عليكم،فعليكم اتباعه،و أن تتقوا الله باتباع مناهجه ظاهرا و باطنا حتى تتوفر لكم حياه سعيده،و هذا الكتاب فيه زياده على كتاب موسى،فهو مبارك.

و انما انزل الله الكتاب أيضا لكى يتم الله حجته عليكم،فلا تقولوا يوم القيامه

تبريرا لكفركم: ان الله أنزل كتابه على اليهود و النصارى دوننا، و أننا كنا غافلين عما يدرسون من الكتاب، أو تقولوا: اننا سنكون أكثر التزاما بالرسالة لو أنزلت فينا، فهذه رسالته بينه جاءكم من ربكم. فيها خصائص الرسالات السماويه السابقه من الهدى و الرحمه، و لكن كم يكون ظلم المخالفين لأنفسهم عظيما، و انحرافهم بعيدا لو تركوه.

بينات من الآيات:

أهداف رساله موسى:

[١٥٤] أن لم تكن تلك الحقائق كافيه لكم فهاكم حقيقه اخرى هي رساله موسى، كيف كانت؟ انها كانت رساله تامه للمحسنين، حيث فتح لهم مجال العمل الأ-كثر من أجل الله و الانسانيه ذلك لان في كل مجتمع نوعان من الرجال (محسنين و ظالمين) و المحسن أنى كان معترما و مقبولا اجتماعيا، و لكنه بحاجة الى برامج لمضاعفه إحسانه و لتنظيمه، و جعله أكثر فاعليه و أبعد أثرا، تماما كالمجاهد الذى ينذر نفسه لله و لكنه بحاجة الى برامج و مناهج ليجعل عمله أكثر نفعا، و أقرب الى النتيجة، و الله بعث برسالته التامه للمحسنين، و هذا بذاته دليل على طبيعه الرساله الحقه.

آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ آى رساله تامه على من أحسن من الناس، و المحسنين كما قلنا: هم فئه من الناس يتجاوزون ذواتهم الى الآخرين، فلا يكتفون بأداء حقوق الناس بل يضيفون عليها شيئا من حقوقهم.

وَ تَفْصِيلاً لِكُلِّ شَيْءٍ

ص: ٢٤٢

برامج الله ليست ذات بعد واحد يتصل مثلا بالفرد دون المجتمع، أو الاقتصاد دون السياسه، أو الماديات دون المعنويات، أو الآن دون المستقبل، أو هذه الطبقة دون تلك، أو تهتم بالعواطف دون العقول، وهكذا. ان دليل صدق رسالات السماء أنها تتحدث عن كل شىء، و لكن بتكامل و تناسب و عداله بين مختلف أبعاد الحياه البشريه.

وَ هُدًى و البرامج الالهيه تنتهى بالهدايه لأنها حقه و واقعيه، فلو طبقها البشر لوصل الى الجذور الاساسيه لها، و الأصول العامه التى ابنتت عليها، و بالتالى الى الحقائق التى استهدفتها تلك البرامج.

ان البرامج الالهيه تختلف فى هذه النقطه عن البرامج البشريه و هى انك كلما طبقت البرامج التى وضعها البشر. كلما تعرفت على نقاط الضعف فيها بعكس البرامج السماويه التى يقول عنها ربنا:

وَ الَّذِينَ جَاهَدُوا فِيْنَا لَنُهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا (١) وَ رَحْمَةً و حين تطبق البرامج الالهيه تتحقق اهدافك و تطلعاتك بعكس البرامج البشريه، فلذلك فهى نقمه و البرامج السماويه رحمه.

و لكن الرسالات الالهيه لا تكتفى بتنميه الجوانب الماديه لحياه البشر، بل و تنمى أيضا تطلعاته الأسمى من عالم الماده (عالم الدنيا الزائله) الا و هى التى تلامس

ص: ٢٤٣

حدود الغيب و الآخره.

لَعَلَّهُمْ يَلْقَاءَ رَبَّهُمْ يُؤْمِنُونَ ان الهدف من الرسالات السماويه هو تحقيق رفاه البشريه الذى يفرغ الإنسان للآخره.

أهداف رساله الرسول:

[١٥٥] و لذات الاهداف انزل الله كتابه الأكمل و الأخير على محمد صلى الله عليه و آله .

وَ هَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ وَ بَرَكَتُهُ وَ نُمُوهُ يَتِمُّثَلُ فِي أَنَّهُ أَكْمَلُ مِنْ سَائِرِ الرِّسَالَاتِ.

فَمَاتَبِعُوهُ وَ اتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ واجب البشريه امام القرآن اثنان:الاتباع و التسليم الظاهر،و التسليم الباطن (التقوى)و إذا تحقق التسليم ظاهرا و باطنا تأهل البشر لرحمه الله.

إتمام الحجبه:

[١٥٦] من مظاهر رحمه الله انه أتم حجته على عباده، فرفع عنهم كل حجاب يمكن أن يمنع عنهم نور الهدى، فحين عرف أن للعرب عصبية تحجبهم عن قبول رساله الله التى أنزلت فى غيرهم من اليهود و النصارى بعث فيهم نبيا من أنفسهم، كما أنه لكى لا يدعى هؤلاء أنهم كانوا مفصولين عن دائره التأثير برسالات بنى إسرائيل، لذلك بعث فيهم رساله خاصه بهم.

أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَنْزَلَ الْكِتَابَ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَ إِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ

ص: ٢٤٤

لِغَافِلِينَ فَلَمْ نَنْتَبِهْ لِلرَّسَالَةِ، وَ مِنَ الطَّبِيعِيِّ أَنْ الْغَفْلَةَ عَذْرٌ عَقْلِيَّةٌ، أَوْ لَا أَقْلُ أَنْ رَحِمَهُ اللَّهُ أَبْتَأَنَّ تَعَذُّبَ النَّاسِ عَلَى ذَنْبِ اقْتِرَافِهِ غَفْلَةً.

[١٥٧] يزعم البشر: انه متكامل، و ان ما به من نقص و عجز فإنما هو بأسباب خارجه عن إرادته، و لكي لا يزعم العرب هذا الزعم، و يتصوروا انه لو أنزل الكتاب عليهم لكانوا أفضل من اليهود و النصارى فى تطبيقه. انزل الله الكتاب عليهم و قال سبحانه:

أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ ۚ وَيَتَحَدَّى الْقُرْآنَ الْحَكِيمَ يَقُولُ: مَا هُوَ الْكِتَابُ نَزَلَ عَلَيْهِمْ وَ فِيهِ ثَلَاثُ مَزَايَا.

الأولى: انه حجه واضح، و دلالة بينه على الحقيقة. كما المعالم تدل على الطريق، و كما الدخان يدل وجود النار، و الصوت على وجود صاحبه.

الثانية: انه إذا طبقه الفرد هداه الى الحقيقة، كما إذا سار الفرد فى الطريق حتى وصل الى غايته، أو استدل بالدخان فتحرك حتى رأى النار، و رأى صاحب الصوت مباشرة.

القرآن هدى للمتقين، فليس فقط يقود الفرد الى الحقيقة، بل و أيضا يجعل الفرد يلامس الحقيقة.

الثالثة: و حين يجد الفرد الحقيقة فان جانبا اساسيا من تطلعه يتحقق و هو عطشه نحو الحقيقة. اما الجانب الثانى فهو السعادة و الفلاح، و بالتالى الاستفادة من نعم الله سبحانه و رحمته، و يلخص القرآن هذه المزايا و هو يتحداهم بالقول:

فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيْنَهُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةً الْبَيْنَهُ كَمَا الْمَعَالِمِ فِي طَرِيقِ الْحَقِيقَةِ، وَ الْهُدَى الْوَصُولِ إِلَى الْحَقِيقَةِ، وَ الرَّحْمَةُ هِيَ:

نعم الله.

فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا أَعْرِفْ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ الَّتِي تَتَضَمَّنُ تِلْكَ الْمَزَايَا الَّتِي فِيهَا تَطَّلِعُ الْإِنْسَانُ الْأَسَاسِي فِي الْحَيَاةِ، كَمَا إِذَا عَطَشَ الْفَرْدُ وَ لَكِنَهُ حِينَ وَصَلَ إِلَى الْمَاءِ كَذَبَ بِأَنَّهُ مَاءٌ، وَ اعْرَضَ عَنْهُ، إِنْ فَطَرَهُ كُلُّ وَاحِدٍ مِمَّنَا تَتَعَطَّشُ لِلْحَقِيقَةِ أَكْثَرَ مِمَّا يَتَعَطَّشُ الْكَبِدَ الْحَارَّ لِلْمَاءِ الْبَارِدِ، وَ إِنْ حَاجَاتُ كُلِّ وَاحِدٍ مِمَّنَا الطَّبِيعِيَّةُ تَتَطَلَّبُ اشْبَاعَهَا وَ هَذَا التَّطَلُّبُ وَ ذَاكَ التَّعَطُّشُ قَدْ يَكُونُ الْمُرَادُ مِنْ تَعْبِيرِ الْقُرْآنِ فِي بَدَايَةِ الْآيَةِ.

أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ وَ لَكِن كَم يَكُونُ ظَلَمَ الْفَرْدُ لِنَفْسِهِ كَبِيرًا حِينَ يَخَالَفُ فِطْرَتَهُ وَ حَاجَاتِهِ لِأَجْلِ عَقْدِهِ نَفْسِيَّةً، أَوْ اسْتِكْبَارِهِ عَنِ الْحَقِيقَةِ، أَوْ مَرَاعَاهُ ظُرُوفِ اجْتِمَاعِيَّةٍ أَوْ مَا أَشْبَهَ؟! سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ

ص: ٢٤٤

هَيْلٌ يَنْظُرُونَ إِلَّا- أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انْتَضِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ (١٥٨) إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شَتِيْعًا لَسْتُ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (١٥٩) مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (١٦٠)

هدى من الآيات:

فى الدرر السابق ذكر القرآن، ان الكتاب جاء استجابة لحاجه ملحه، أمّا الآن فيبدو أن القرآن يبين العقبات التى تعترض طريق الاستجابة للرسالة الجديدة، وهى -فى هذا الدرر- ثلاث:

الأولى: التردد و انتظار شىء خارق للعادة مثل هبوط الملائكة، أو وجود بعض الآيات، و يعظنا القرآن أن نبادر الى الاستجابة للحقيقه. إذ ان انتظار ذلك اليوم الخارق معناه. فوات الفرصه.

الثانية: هى المعطيات الطائفية، و القرآن يبين: أن هذا الذى يختلف فى رساله ليس من الدين فى شىء.

الثالثة: وجود الذنوب المتراكمه، و يقول القرآن: إنّ الحسنه الواحده تنمو و كأنها عشر حسنات، أما السيئه فأن جزاءها واحد فقط.

السبب الأول:

[١٥٨] لقد زود الله البشر بعقل و فطره و معايير قادره على فهم الحقيقه بعد التذكر بها من قبل الله سبحانه، و لكن عليه أن يبادر بالاقدام و تجاوز حاجز التردد و الخوف و الانتظار، ان هذه هي الشجاعه العلميه التي كانت وراء اكتشافات العلماء، و هي الشجاعه الايمانيه التي كانت وراء تضحيات الصالحين، و يتساءل ربنا عن هؤلاء الذين لا يؤمنون.

هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَلْ يَنْتَظِرُونَ هبوط الملائكة كأمر خارق حتى يثير فيهم الحماس و يدفعهم نحو الايمان بالله.

أَوْ يَأْتِي رَبُّكَ عبر آياته الكبرى، فالله سبحانه لا ينتقل من مكان لمكان لأنه لا يخل منه مكان سبحانه.

أَوْ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ حيث تتجسد الحقائق. مثل ان يكون النهي عن الإسراف لأنه يؤدي الى شلل الاقتصاد، أو الظلم لأنه يؤدي الى الفساد و الدمار، أو الدكتاتوريه التي تؤدي الى التخلف و العجز أو الثوره أو الأخلاق السيئه فانها تؤدي الى المرض و الفرقه، فلا يطبق الإنسان هذه النصائح بانتظار تلك العواقب التي حذر عنها، و حين تأتي تلك

العواقب فما ذا ينفع قبول تلك التحذيرات.

يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا ۗ لَنْ يَصْدُقَ الْمَرِيضُ قَوْلَ الدَّكْتُورِ وَهُوَ يَحْذَرُهُ مِنْ سُوءِ حَالَتِهِ بِسَبَبِ الْإِرْهَاقِ، وَانْتَظَرَ الْإِرْهَاقَ ذَاتَهُ فَمَا ذَا يَنْفَعُهُ؟! أَوْ صَدَقَهُ وَ لَكِنَّهُ لَمْ يَفْعَلْ بِنَصِيحَتِهِ؟! كَذَلِكَ حِينَ يَنْظُرُ الْفَرْدَ فَلَا يُؤْمِنُ حَتَّى تَبْدُو آثَارُ كُفْرِهِ، فَهِنَاكَ يُؤْمِنُ فَمَا يَنْفَعُهُ الْإِيْمَانُ.

قُلِ انْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ ۗ نَحْنُ نَنْتَظِرُ وَ نَحْنُ مُؤْمِنُونَ، أَمَا أَنْتُمْ فَتَنْظُرُونَ عَلَى كُفْرِكُمْ، وَ الزَّمَنُ يَعْمَلُ لِمَنْ لَحَنَّا دُونَكُمْ.

الإنسان يجب أن يتوكل على الله، و يتق نعمه عليه، فيتحرك بكل قوه نحو ما يهتدى اليه دون ان ينتظر شيئاً.

السبب الثاني:

[١٥٩] و النظر الى الدين باعتباره ماده للعصبيات العرقية و القوميه، أو الجدليات الفارغه أحد أسباب الخطأ في فهم الدين، و بالتالى فى الايمان به و القرآن يصرّح بأنه ليس ذاك الدين الذى يتخذ ماده للخلاف هو دين الله.

إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَ كَانُوا شَيْعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ۗ وَاللَّهُ هُوَ الْحَاكِمُ فِي عِبَادِهِ، وَ كَثِيرٌ مِنَ الْخِلَافَاتِ الْمَذْهَبِيَّةِ لَا يُمْكِنُ أَنْ تَحْلُهَا

ص: ٢٥٠

الجدليات، بل يجب أن تتحوّل الى يوم القيامة و الى الله و المستقبل.

إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ

السبب الثالث:

[١٦٠] يشجع القرآن البشر الى المبادرة نحو الايمان بالله سبحانه، فيعدهم بأن يجازيهم بالحسنه عشر أمثالها. بينما لا يجازيهم بالسيئه الا مثلها.

مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ و لكن كم يكون الظلم للنفس كبيرا حتى يرد على ربه هذه النعمه الكبيره فلا يعمل بتلك الحسنه التي تحتوى عشر أمثالها.

ص: ٢٥١

إشاره

قُلْ إِنِّي هِدَايَ رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مَلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٦١) قُلْ إِنَّ صِيْلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (١٦٣) قُلْ أَعْبُدُوا اللَّهَ أَعْبُدُوا رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (١٦٤) وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيُبْلِغَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (١٦٥)

اللغه

١٦١[حنيفاً]:مائلا عن الباطل الى الدين الحق.

١٦٢[و نسكى]:النسك العباده،و رجل ناسك،و منه النسيكه الذبيحه،و المنسك الموضع التي تذبح فيه النساءك،فالنسك كل ما تقرب به الى الله تعالى الا أنّ الغالب عليه امر الذبح.

١٦٤[و لا تزروا]:و لا تحملوا.

[وازره]:نفس حامله.

[وزر]:الوزر الثقل بوزر الجبل و يعبر بذلك عن الإثم كما يعبر عنه بالثقل.

هدى من الآيات:

لكى يشجع ربنا عباده على الايمان بالكتاب.ضرب لهم مثلا- برسوله الذى هداه الى الصراط المستقيم،و الذى يتطلع اليه الجميع،ذلك الدين القويم الذى يمثل جوهر القيم و ذات الاستقامه على نهج إبراهيم عليه السلام و شريعته و خطه(خط التوحيد و نفى الشركاء)و يتمثل خط التوحيد عند إبراهيم عليه السلام و فى دين محمد عليهما و آلهما صلوات الله.يتمثل فى توجيه الحياه كلها فى خط التوحيد.سواء كانت الصلاه و النسك(العبادات)أو أمور المعيشه فى الحياه و الممات،و ان ينفى الشركاء،و أن يسلم لله رب العالمين دون أن يعير انتباها الى سائر الناس و هذا معنى الحنيف،و إذا انحرف البشر عن عباده الله فإلى أين يتجه،هل يستبدل الله الذى هو رب كل شىء بغيره و يكتسب إثما؟!إنه إن يكتسب إثما فانما يكتسبه على نفسه،و لا يحمل أحدا أثقاله.إذا فالبشر مسئول عن عمله،و غدا سيلاقى جزاء عمله،و يرى الحقائق واضحه.

أما الطبقات الاجتماعيه فلا تدل على ان الطبقة الأعلى رب صغير، و على أبناء الطبقة الأدنى اطاعتهم.. كلا. انما هذه الطبقات هي من صنع الله، و هدفها اختبار البشر، و هي زائله، و الله سريع العقاب، و لكنه قد يمهل البشر لأنه غفور رحيم.

بينات من الآيات:

مله إبراهيم:

[١٦١] من الفوائد الاساسيه لبعث الرسل في صوره أشخاص أنهم يصبحون قدوه حيه للآخرين، و البشر بطبيعته يتأثر بالقدوه أكثر من تأثره بالفكره المجرده، و قد كان الأنبياء عليهم السلام يدعون الناس بسلوكهم المستقيم، و أخلاقهم الحسنه، كما كانوا يدعون بأقوالهم، و لقد دعوا اتباعهم الى مثل ذلك كما

جاء في الحديث.

(كونوا دعاه لنا بغير ألسنتكم) و حين يكون الشخص مستقيما في فكره يكون مستقيما في سلوكه، و السلوك المستقيم ينعكس ايجابيا في الفعل، فيصنع واقعا قائما بذاته، و يؤثر بالطبع ذلك الواقع في الحياه، و لنضرب مثلا صغيرا: إذا أصبحت مستقيما فما ذا أفعل؟ أولا: لا أكذب و لا أخون الوعد أو العهد أو الامانه، لترداد ثقته الناس بي، و أصبح قطبا لاهتمامهم، و مركزا لقيادتهم.

ثانيا: تستقيم آرائي و ترشد، فأكون موضعا لاستشاره الناس، و مركزا لقيادتهم.

ثالثا: أكون شجاعا مقداما لا أخشى أحدا، فأكون موكلا للمستضعفين و ملجأ لهم.

رابعاً: استقيم في تربيته أبنائى، و تهمة اموالى، و تهذيب زملائى و.. فأكون مثلاً للقوه.

ترى كم تخلف الاستقامه من أثر في الواقع الخارجى فتخلق تغييرا فيه، هكذا تصبح استقامه الأنبياء، و من أبرز البينات على صدق دعوتهم، و كذلك العلماء و المصلحين.

قُلْ إِنِّي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ و الاستقامه ليست طبيعیه فى البشر، بل انها بحاجة الى مناهج عملیه متكامله، انك بحاجة الى خريطة واضحة حين تريد المشى فى طرق الغابه، اما طرق الحياه فهى أكثر تعقيدا من طرق الغابه فأين هى برامج الاستقامه؟ انما هى فى الدين القويم.

ديناً قيماً أى دينا علا كلّه استقامه، و الدين القيم لم يكن بدعا فى التاريخ، بل كان خطأ اجتماعيا متمثلا فى نهج إبراهيم عليه السلام .

مَلَّةِ إِبْرَاهِيمَ و إبراهيم عليه السلام كان متحديا لانحرافات الناس.

حَنِيفًا و مَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ عشرات الأفكار رفضها إبراهيم حتى أصبح موحدًا، و مئات الأنواع من الضغوط تحداها حتى تحرر منها و لم يرضخ لوجهتها، و مئات القيود كسرهما و حطمها حتى أصبح حرا طليقا، تحدى قيد الاسره فرفض كلام أبيه آزر (عمه) الذى امره بالكفر، تحدى قيد المجتمع و قاومه، و تحدى السلطه و استهزء بها، و تحدى حب الأولاد فأراد

ان يذبح ابنه استجاب له لأمر الله، وهكذا أصبح حنيفاً حراً، ولم يكن مشركاً بالله أحداً من خلقه أو شيئاً من نعمه.

معنى التوحيد:

[١٦٢] و من ابرز تجليات الاستقامه فى حياه الرسول وحده و جهته فى أبعاد حياته.

قُلْ إِنَّ صِيْلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ فَلَمْ تَكُنْ صَلَاتِهِ وَذَبَائِحِهِ لغير الله حسب ما كانت عليه الجاهليه، أو صَلَاتِهِ لله عبر عبادته للأصنام. كلاً.. ولم تكن حياته لقيصر و مماته لله، فاقتصاده و سياسته، و أخلاقه و اجتماعه، و تربيته و بناء بيته، و حتى حركاته و سكناته كلها كانت لله، و باتجاه مرضاته، و لتحقيق قيمه سبحانه، و فى خطه كما كان مماته لله، فكان يختار الشهاده فى الله إذا دعت الضروره الرساليه ذلك.

[١٦٣] و عاد القرآن و كرر ان معنى التوحيد هو كسر القيود، و قطع الحبال التى تربط بأى مركز آخر.

لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ لَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ نَبِيَهُ مِثْلَمَا أَمَرْنَا بِالْأَنْوَاعِ لَئِي ضَغَطَ أُنَى كَانَ نَوْعُهُ، وَ أَنْ نَسْلَمَ لِمَنَاجِ اللَّهِ.

[١٦٤] و السؤال لماذا التوحيد، و لماذا إخلاص العبوديه لله؟ و الجواب أولاً: لأن الله هو رب كل شىء، فعباده الأشياء التى هى خاضعه لسلطه الله دون ربها ليست إلا غباء.

قُلْ أَغَيَّرَ اللَّهُ رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَالنَّظَامُ الْقَائِمُ فِي الْكُونِ انما هو بتدبير الله و هو الذى يجريه، فعلينا ان نخضع لذلك النظام.

ثانيا: ان الارتباط بغير الله من خلقه لا يرفع عنى وزرا و لا مسئوليه، فلا يمكن ان أغمض عيني و أقلد آبائى أو مجتمعى، أو الأسماء اللامعه فى الثقافه، لانى بهذه العمليه لا- أستطيع أن ارفع عن عنقى المسئوليه، أو أن أضع وزرى على عاتق من اتبعه. كلا.. أنا مسئول، و ذنبى يتبعنى شئت أم أبيت.

وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ۗ ثالثا: الله هو المقياس الحق لتقييم الفكره السليمه عن نقيضتها الباطله، أو لتقييم السلوك السليم عن المنحرف، و ليس مقياس الحق و الباطل أكثره الآراء أو القوه أو الشهره أو القرابه.

ثُمَّ إِلَيَّ رُبُّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ [١٦٥] رابعا: ان الله هو الذى جعل طائفه من الناس بعد طائفه، و جيلا بعد جيل، و قرنا بعد قرن، فليست أسبقته هؤلاء دليلا على أنهم أقرب الى الله زلفى، بل كلهم عند ربهم سواء، و لذا لا يجوز أن يتخذ بعضهم بعضا أربابا، فيعبد الخلفاء من كان قبلهم. كلا.. كما ان الله هو الذى أنعم على بعض الناس بنعم أكثر من غيرهم أو بنعم مختلفه عن نعم الآخرين، و هذا لا يدل على أنه سبحانه أقرب الى هؤلاء أو أولئك، بل ان الهدف من ذلك هو مجرد اختبارهم فى النعم، فيمتحن الغنى بثروته و الفقير بفاقته، و العالم بعلمه، و الجميل بما لديه من جمال.

و هكذا ينسف القرآن أصول الشرك من النفوس حيث يحترم الفرد السابقين،

فقد يعبدهم مبالغه فى احترامهم، وقد ينهر بهم و ينجذب إليهم فيختار عبادتهم لهذا السبب.

وَ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مَّخْلَقَاتٍ لِيُبَلِّغُكُم فِيهَا مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكُم وَإِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ وَ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مَّخْلَقَاتٍ لِيُبَلِّغُكُم فِيهَا مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكُم وَإِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ

وَ رَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيُبَلِّغُكُم فِيهَا مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكُم وَإِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ وَ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مَّخْلَقَاتٍ لِيُبَلِّغُكُم فِيهَا مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكُم وَإِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ

يعاقب أحدا فهو سريع فى عقابه، ولكنه لا يريد أن يعاقب أحدا لأنه يغفر ذنبه أو يؤخره لعله يتوب، من هنا فعلينا ألا نعتمد أبدا على أن الله لم يعذبنا بشركنا باحترام آبائنا الى حد الشرك و الطاعه و العباده لهم، أو حب المال و الجمال و السلطه الى درجه الانجذاب إليهما و عبادتهما، كلا ان الله إذا أراد أن يعاقب فهو سريع لا يعطيك فرصه للفرار.

سوره الأعراف

اشاره

ص: ٢٤١

فضل السوره:

-١

روى العياشى باسناده عن أبى بصير، عن أبى عبد الله عليه السلام قال «من قرأ سوره الأعراف فى كل شهر كان يوم القيامة من الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، فان قرأها فى كل يوم جمعه كان ممن لا يحاسب يوم القيامة. » ٢-

قال ابو عبد الله «اما إنَّ فيها آيا محكمه فلا تدعو قراءتها و تلاوتها، و القيام بها، فانها تشهد يوم القيامة لمن قرأها عند ربه » (١)

ص: ٢٦٣

هذه السوره تبحث موضوع الإنسان، ففي البدايه تبين قصه الخطيئه الاولى و غريزه حب السلطه و حب الخلود، و كيف يغوى الشيطان البشر فيندم، و يتعدى على حقيقته التي لا- يسترها الا لباس التقوى، و أن من عوامل الخطيئه التقليد و تقديس الآباء، و الزعم بان الله يأمر بذلك، بينما الله لا يأمر بالفحشاء، بل يأمر بالقسط، و التوجه مخلصا الى الله عند كل مسجد و التزين، و ان يتمتع بالخيرات دون إسراف، و أن من الحرام: الفواحش، و البغى، و الشرك، و التقوّل على الله بدون علم أو كتاب منير (٣٣/٩).

و الإنسان يهتدى برسالات السماء، أما من يكذب و يستكبر، أو يفترى على الله فانه يعذب عذابا شديدا، حيث تلعن كل أمه أختها بسبب الطاعه لها، أما في الجنه فهناك القلوب الصافيه، و هذا التقسيم للناس انما هو بمقياس الهدايه و الضلاله، و العلاقه بينهما هي التي تظهر عند الله، حيث يستجد الكفار بأهل الجنه،

فيذكرونهم بأيام صدهم عن سبيل الله في الدنيا، وبينهما أهل الأعراف من قاده المتقين حيث يعرفونهم جميعاً، ويوبخون أولئك الذين اتخذوا الدين لهواً ولعباً، وانتظروا نهايه الأمر (٥٢٤).

و علاقته الإنسان بالله هي طلب المزيد من رحمته، لأنه رب العالمين، وعلاقته بالحياه و بالناس هي الإصلاح و عدم الإفساد.

و كما أرسل الله الرياح بشرا بين يدي رحمته، فكذلك أنزل رسالاته هدى و رحمه، وقصه نوح مع قومه تدل كيف أن رسل الله يريدون هدايه الناس و إنذارهم و رحمتهم بالتالي، و لكنهم يعاندون و يستكبرون فيهلكون (٦٤/٥٣).

و كذلك هود دعا الى التقوى فكذبوه و سفهوه، و لكنه ذكرهم برب العالمين (و صاحب الرحمه المكتمله لهم)، و ذكرهم كيف استخلفهم الله في الأرض، فتمسكوا بضلاله آباءهم فاستمهلهم الله قليلاً، و بعدئذ قطع الله دابرهم (٧٢/٦٥).

أما صالح رسول الله الى ثمود فقد زود بناقه معجزه، و ذكرهم باستخلافهم، و نعم الرفاه و العماره عندهم، و لكن حاله الاستكبار و استغلال المستضعفين منعتهم من الاهتداء، فعقروا الناقه، و اهلكهم الله (٧٩/٧٣).

و انحرف الإنسان في قوم لوط بالشذوذ الجنسي، فأمر الله عليهم بعد نصيحه نبيهم مطر السوء، أما مدين فقد نصحهم رسولهم شعيب بترك الفساد الاقتصادي و الإصلاح، و عدم الصد عن سبيل الله الذي اتبعه فريق منهم، و لكن الاستكبار منعهم، و دعاهم الى محاوله إخراج شعيب، و توكل المؤمنون على الله، فأخذت الرجفه الظالمين و أصبحوا حديثاً يروى، و لم يأس عليهم رسولهم الناصح (٩٣/٨٠).

و يأخذ الله كل قوم يرسل إليهم نبيا بالبأساء و الضراء، و لكنه يبدلهم بالحسنه

السيئه، ثم إذا لم تنفعهم الحسنه أو السيئه يأخذهم بغته، و ان الايمان و التقوى يفتحا بركات السماء عليهم، و لكن هل يأمن أهل القرى بأس الله و مكره؟! ان عليهم ان ينظروا كيف يهلك الله قوما، و يستخلفهم بقوم آخرين (١٠٠/٩٤).

كذلك جاء موسى بالآيات لملاً فرعون الذين ذكروا بها، و انتهت حياتهم الفاسده، و ذكرهم موسى بالحق، و طالبهم بتحرير بنى إسرائيل، فطالبوه بآيه فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ، و أراهم يده البيضاء، و لكنهم رموه بالسحر و اتهموه بتهديد الأمن، و سجنوه، و جمعوا السحرة، و أغروهم بالسلطه و المال فسحروا أعين الناس، و لكن عصا موسى ابتلعت سحرهم، فأمن السحرة و انقلبوا صاغرين، و عذب فرعون السحرة المؤمنين فصبروا، و طالب الملاً فرعون بعقاب موسى فتوعد فرعون موسى، و لكن قوم موسى استعانوا بالله و صبروا انتظارا لوراثه الأرض، فأخذ الله آل فرعون بالسنين و المصائب، و لكنهم نسبوا الحسنه الى أنفسهم و السيئه الى موسى، و استكبروا عن الايمان و تظاهروا بالايمان عند السيئه، و كفروا عند الحسنه، فانتقم الله منهم فأغرقهم، و أورث الله الأرض الذين كانوا يستضعفون، و دمر فرعون و قومه (١٣٧/١٠١).

و يستمر السياق القرآنى فى بيان الطرح البشرى بين فريقى المهتدين و الضالين الى الآيه (١٥٦) حيث يحدثنا عن مجمل قصص موسى مع قومه.

و يحدثنا السياق عن الرساله الجديده التى جاءت محرره للبشرية من أغلالها النفسيه و الثقافيه و ذلك على يد النبى الأمى المبشر به فى الكتب السابقه، و التى هى رساله جميع البشر (١٥٨/١٥٧).

و يعود السياق الى امه موسى و أقسامها و اخطائها و منها: عدم تناهيهم عن المنكر فى قصه السب، و كيف مسخوا قرده، و كيف تركوا الدين بالرغم من أن

بعضهم ظل متمسكا بالكتاب، و كيف أمرهم الله بأخذ الكتاب بقوه و ذلك بعد ان نتق الجبل فوقهم (١٧١/١٥٩).

و لكن السياق يعود بنا الى العهد الانسانى الاول، حيث أخذ ربنا من بنى آدم عند ما كانوا فى ظهر أبيهم ميثاقا باتباع الهدى، و كيف أن بعضهم يشرك الآن بسبب شرك آبائهم و أن بعضهم ينقض هذا العهد عهد العلم و المعرفة، حيث يخالف ميثاق المعرفة (١٧٦/١٧٢).

لذلك يختار الله اليهود تاره و العرب تاره، حسب ظروف فتره الاختيار، و يبين مدى الجريمه عند من يكذب بالدين، و كيف أن ربنا قد قدر لهم جهنم مصيرا، لأنهم لم يستفيدوا من مداركهم (١٧٩/١٧٧).

و يبين الله أسماء الحسنى، و كيف أن طائفه يلحدون فى أسمائه سبحانه، و أن الله سيستدرج المكذبين و يملى لهم حسب خطه حكيمه لأنهم لم يتفكروا ليعرفوا أن رسولهم ليس بمجنون، و لم يتفكروا ليعرفوا ما فى السموات و الأرض من آثار التدبير و التقدير، و انه عسى قد يكون أجلهم قد اقترب، و أنه ان لم يؤمنوا بهذا الحديث فبأى حديث بعده يؤمنون (١٨٥/١٨٠).

و الله يضل و من يضلله الله فلا هادى له و أن الساعه علمها عند الله، و اما الرسول فلا يملك لنفسه نفعا و لا ضرا (١٨٨/١٨٦).

و يبين السياق: كيف أن الله قدر حياه البشر، و خلقه بوحدانيه المتعالیه عن الشركاء، و لكن المريين أفسدوا ضميره و أشركوا فيه، بينما الله هو ولى البشر، و ولى الصالحين منهم بالذات، بينما الشركاء لا- يستطيعون نصر البشر، و الشركاء لا- يملكون السمع (١٩٨/١٨٩).

و على الرسول ان يأخذ العفو، و يأمر بالفطره و العقل، و يتعد عن الجهل، و على البشر أن يتقوى بالله على شيطانه، و ان يتذكر ربه حتى يمسح نفسه آثار مس الشيطان و يبصر الحقائق، و إذا لم يكن الإنسان متقيًا فان الشيطان يمدّه فى الغي و العمه مثلاً نرى يطالبون أبداً بآيه لم ينزلها الله دون أن ينتبهوا الى ان الرسول مقيّد بالوحى، و ان القرآن بصائر، و على الإنسان نفسه ان يتبصر الحقائق، و ان يستمع الى القرآن، و ان يذكر ربه تضرعاً و خفيه، و ان يتجنب الغفله، و لا يستكبر عن عباده ربه، و يسبحه و يسجد له، ذلك هو برنامج بناء الشخصيه المؤمنه و الإنسان المتكامل الذى تتناوله موضوعات سورہ الأعراف (٢٠٦/١٩٩).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . المص (١) كِتَابٌ أَنْزَلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صِدْرِكَ حِزْبٌ مِنْهُ لِيُنذِرَ بِهِ وَذَكَرَى لِلْمُؤْمِنِينَ (٢) اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ (٣) وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ (٤) فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ (٥) فَلَنَسِيئَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسِيئَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ (٦) فَلَنَقْصُرَنَّ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ وَكُنَّا غَائِبِينَ (٧) وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٨) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ (٩)

هدى من الآيات:

(أ ل م ص) هذا كتاب أنزله الله على قلب الرسول الذى ينبغى ان يتسع له و لا يضيق به، و لا يتردد فى قبوله و ادائه، و إنذار الناس به حتى يؤمنوا فاذا آمنوا فان الكتاب سيكون ذكرى لهم..

و على الناس اتباع قيم الكتاب، و الذين يجسدون هذا الكتاب، أما غيرهم الذين يتخذون من دونهم أولياء لا على أساس القيم فحرام اتباعهم، لأنهم سوف يقودون البشر الى الهلاك، فكم من قريه أهلكتها الله فاذا بعذاب الله يأتيها ليلا، أو عند فتره القيلولة صباحا و لم يدعوا شيئا، و انما اعترفوا بذنبيهم، و أنهم ظلموا أنفسهم.

و الله سبحانه يحاسب الذين أرسل إليهم الكتاب، كما يحاسب الذين أرسلهم لتبليغ الرساله، ثم يبين الله لهم الحقائق لأنه سبحانه كان شاهدا عليها و لم يكن غائبا عنها، ثم بعد الحساب الدقيق يوزن ايمان و اعمال العباد، فمن كانت موازينه ثقيله فانه من أهل الجنه و الفلاح، بعكس ذلك الذى كانت موازينه خفيفه أنه قد

خسر نفسه، و ضيع الفرصه عليها، و السبب أنه حين جاءته الآيات الكريمة لم يستمع إليها حتى يهتدى بها و لا يظلم نفسه..

بينات من الآيات:

اشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ [١] المص هذه هي فواتح السور التي قيل عنها أشياء كثيرة قد يكون أغلبها صحيحا، باعتبار القرآن الكريم ذو أبعاد مختلفه، بيد أن من الممكن ان تكون هذه الأحرف رمزا تدل على ذاتها دون اى شىء وراءها، كما سبق و أن تحدثنا عنه فى سورتي البقره و آل عمران، و على هذا الأساس تكون الكلمه التاليه لها خبرا لها.

ربانيه الكتاب:

[٢] و لم يكن القرآن من تأليف محمد (صلى الله عليه و آله) و لا من نبوغه، بل هو كتاب أنزله الله، و أحد أبسط الأدله على ذلك أن صدر الرسول يكاد يضيق به، و لذلك أمر الله رسوله بأن يتسع قلبه الشريف لهذه الرساله.

كِتَابٌ أَنْزَلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي سَيْدِرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ الرِّسَالَهُ بِحَاجَةِ إِلَى سَعَةِ الصِّدْرِ حَتَّى يَتَحَمَّلَ الْفَرْدُ ثِقَلَ الْحَقَائِقِ الَّتِي فِيهَا وَ حَتَّى يَتَحَمَّلَ جَهْدَ الْعَمَلِ بِهَا، وَ صَعُوبَاتِ تَبْلِيغِهَا، وَ سَعَةِ الصِّدْرِ تَأْتِي مِنَ الْإِيمَانِ بِالْغَيْبِ، بِالْمُسْتَقْبَلِ الْبَعِيدِ، بِالْآفَاقِ الْوَاسِعَةِ، وَ مِنَ التَّوَكُّلِ عَلَى اللَّهِ، وَ الثِّقَةِ بِالْقُدْرَاتِ الَّتِي أَوْدَعَهَا فِي كِيَانِ الْبَشَرِ، وَ الْإِمْكَانِيَّاتِ الَّتِي سَخَّرَتْ لَهُ، وَ بِالتَّالِيِ فَان سَعَةِ الصِّدْرِ نَابِعَهُ مِنَ الْخُرُوجِ عَنِ زَنْزَانَةِ الذَّاتِ، وَ الْإِنْطِلَاقِ فِي رِحَابِ اللَّهِ مِنْ أَجْلِ خِدْمَةِ الْبَشَرِيَّةِ جَمِيعًا.

ص: ٢٧٣

ان الشهوات، و الآمال و الطموحات الخاصة، و الجهل بالمستقبل، و الانحسار ضمن اللحظة الحاضرة كل تلك جدران معتقل البشر التي تضيق عليه رحاب الكون.

فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ (١) و على من يريد حمل رساله الله ان يتمتع بسعه الصدر بهذا المفهوم الواسع للكلمه، و الهدف من الكتاب هو: إنذار غير المؤمنين، و تذكركه المؤمنين حتى يزدادوا ايماناً.

لِتُنذِرَ بِهِ وَ ذَكَرَى لِلْمُؤْمِنِينَ [٣] لقد أنزل الله الكتاب لكي لا يتبع الإنسان سوى القيم السماويه، و الذين يجسدون تلك القيم، و لا يخضعون لهذا أو ذاك باى أسماء مخترعه..

اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَ لَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اى لا تتركوا اتباع القرآن باتباع الأولياء الغرباء..

قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ إذ البشر قلما يستطيع التحرر من جاذبيه الأشياء و الأشخاص، و التحليق فى سماء القيم، و إذا تمت هذه الحريره فإنما عن طريق التذكّر بالله و باليوم الآخر.

ص: ٢٧٤

[٤] وحين يتبع الإنسان اولياء من دون الله فإنه هالك، و يأتيه عذاب الله على غفله منه دون ان يستطيع له ردا..

وَ كَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ أَى لَيْلًا أَوْ فِى مُنْتَصَفِ النَّهَارِ حِينَ يَسْتَرِيحُونَ إِلَى نَوْمِ الْقِيلُولِ، أَوْ بِتَعْبِيرٍ آخَرَ لَيْلًا أَوْ نَهَارًا.

[٥] و لم تكن حجتهم إذ ذاك الا الاعتراف بظلمهم.

فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ لَقَدْ كَانَ ظَلَمَهُمْ بوعى، و بعد إتمام الحجج عليهم، لذلك اعترفوا به حين الهلاك و لم يدعوا-حتى مجرد الادعاء-بغير ذلك.

[٦] و لم تنته العقوبه بالنسبه لهؤلاء بالهلاك الدنيوى، إذ جاء بعدئذ دور الحساب الأخرى.

فَلَنَسْئَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَ لَنَسْئَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ أَى نَسْأَلُ الْمُبْلِغِينَ لِرِسَالِهِ كَيْفَ بَلَّغُوا وَ بِمَاذَا أُجِيبُوا؟ وَ نَسْأَلُ النَّاسَ لِمَاذَا لَمْ يُجِيبُوا بَعْدَ إِتْمَامِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ؟ [٧] و لكن هذا السؤال ليس عن جهل أو عن غيبه، بل لمجرد المحاسبه، و لكى يعترف الظالمون بجريمتهم، فان الله سوف ينبئهم عن كافة تفاصيل حياتهم بعلم، لان الله لم يكن غائبا حين اكتسابهم للأعمال..

فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ وَ مَا كُنَّا غَائِبِينَ

[٨] و بعد المحاسبه يأتى دور الجزاء العادل، لان ما يوزن به الأعمال حق و دقيق، و ليس فيه أدنى نقص.

وَ الْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ لَأَنَّهُمْ أَصَابُوا الْفَلَاحَ الْمَادَى وَ الْمَعْنَى بِالْجَنَّةِ وَ الرِّضْوَانِ، وَ قَدْ
انتهت صعوبات الحياه و مخاوفها بحياه رغيده آمنه.

[٩] و لكن الخساره كل الخساره هي أن يكتشف الفرد خفه موازينه، إذ لا يملك البشر سوى فرصه واحده للعمل هي أيام عمله
المعدوده فى الدنيا، فاذا خسرها فماذا يبقى له هناك؟ وَ مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا
يَظْلِمُونَ انهم ظلموا الآيات فلم يسمعوها، و لا عملوا بها، فاذا بهم يخسرون كل ما يملكون.

ص: ٢٧٦

إشاره

وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ (١٠) وَ لَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ (١١) قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَ خَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ (١٢) قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ (١٣) قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (١٤) قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ (١٥) قَالَ فِيمَا أُغْوِيَنِي لِأَفْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ (١٦) ثُمَّ لَمَّا تَبَيَّنَهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَ مِنْ خَلْفِهِمْ وَ عَن أَيْمَانِهِمْ وَ عَن شَمَائِلِهِمْ وَ لَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ (١٧) قَالَ أَخْرُجْ مِنْهَا مَذْذُومًا مَدْحُورًا لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ (١٨)

اللغه

١٣[الصاغرین]:الصاغر الذليل بصغر القدر، و صاغر إذا رضى بالضم.

١٨[مذءوما]:الذم و الذيم أشد العيب.

[مدحورا]:الذحر الدفع على وجه الهوان و الاذلال، يقال دحره إذا دفعه بقوه و قسوه.

هدى من الآيات:

في هذا الدرس يبدو ان القرآن الحكيم يذكرنا بالموضوع الاساسى فى هذا السوره حيث تبين طبيعه الإنسان، و أسباب انحرافه، لقد خلق الله الإنسان. و جعل له الأرض مكانا و محلا للرزق، و لكن رد فعله لم يكن الشكر، و لكن لماذا لم يشكر؟ ان هذا يعود الى قصه الخطيئه الاولى، حيث خلق الله آدم و جعله فى أحسن صوره و تقويم (و أعطاه الروح، و العلم، و الاراده) و أمر الملائكه بالسجود له، فلم يسجد إبليس له لأنه خلق من نار بينما خلق آدم من طين، و هكذا تكبر إبليس فطرد من السماء و اخرج صاغرا، بيد أن إبليس طلب المهله، فأعطاه الله ما طلب، فاستغل إبليس مهلته فى إغواء البشر عن الصراط المستقيم، و اقسم انه سيأتيهم من قدامهم و من خلفهم، و من قبل إيمانهم و شمائلهم، ليحرفهم عن الشكر لله، لذلك اخرج ربنا إبليس كما أخرج الذين يتبعونه، و أوعدهم النار، و أن يملأ بهم جهنم جميعا.

هكذا كانت جذور الانحراف عند الإنسان، اما المثل الحي لهذا الانحراف فسوف يحدثنا عنه القرآن في الدرس القادم.

بينات من الآيات:

بين النعمة والجريمة:

[١٠] من نعم الله على الإنسان تمكينه في الأرض، و تذليل الأرض و تسخيرها له، و جعل الله فيها معاش البشر، و ما به تستمر حياتهم.

وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَ جَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ بئد ان البشر لا يفكر في أسباب النعم و عواملها، لذلك لا يشكر عاده من أنعم بها عليه.

قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ [١١] من اين تنشأ عاده الجريمة؟ في قصه آدم و إبليس توضيح لهذا السؤال، لقد خلق الله البشر و صور خلقه جوهرًا و صوره و هيئته، و ربما المراد من الصورة هي ما أودع الله عند الإنسان من صفات و أخلاق، و من غرائز و فطره، و بالتالي العقل و الاراده كما قال سبحانه:

وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ٢٩/ الحجر و قال سبحانه:

لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ١٣٠/ التين و قال:

ص: ٢٨٠

فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ / ٦٤ غافر و بعدئذ امر الله الملائكة بالسجود لآدم، وربما كان السجود رمزا لكرامه العلم و الاراده عند البشر، و رمزا لتسخير الحيله له بفضل العلم و الاراده، بيد أن الهدف من بيان قصه إبليس هنا، يختلف عن هدف ذلك في سوره البقره، حيث كان الهدف هناك -حسب الظاهر- هو: بيان تسخير الحياه للإنسان بفضل العلم، أما الهدف منها هنا فهو: بيان واقعه الخطيئه كيف؟ و لماذا وقعت؟ و لَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ

لماذا عصى إبليس؟

و لقد جاء في الأحاديث أن التعبير القرآني الذي استخدم ضمير الجمع هنا دليل على واقعه الذر، حيث خلق الله البشر جميعا بصوره (ذر) في صلب آدم، و لذلك جاءت كلمه (ثم) للدلاله على الترتيب.

[١٢] و لكن ما هي الصفه التي كانت في إبليس، فمنعته عن السجود بعد ما جاء الأمر الصريح؟ قَالَ مَا مَنَعَكَ إِلَّا تَسْجُدَ إِذْ أُمِرْتُكَ استخدم القرآن التعبير بكلمه (ألا) بدل (أن) ربما للاشاره الى ان صفه المنع لم تكن آنيه أو محدوده بهذا العمل، بل كانت مرتبطه بالطاعه على العموم، أي ما منعك عن الطاعه الا تسجد.

قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَ خَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ

لقد كان جواب إبليس واضحاً، لقد كان سبب عصيانه العنصريه، و الزعم بأن عنصره أفضل من عنصر آدم، و عموماً هناك مقياسان للإنسان، اما مقياس الذات، و اما مقياس العمل الصالح، فاذا كان مقياس الشخص هو ذاته، فانه سوف لا يقف عند حد في جريمته، لأنه لا يرى شيئاً أقدس من ذاته أو أعلى من نفسه، و من هنا فان جذر كل المشاكل البشريه، هو: تقوقع الإنسان في ذاته، و اعتقاده بأن ذاته هي المقياس، و ما الاقليمي، و القومي، و العشائريه، و كل الحواجز الذاتيه ما هي سوى آثار لهذه العنصريه المقيته.

[١٣] و لكن مقياس الحق هو: مقياس العمل الصالح، لا- فرق بين عامله من يكون؟ و من اي عنصر؟ لذلك أخرج الله إبليس من جنته.

قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا^{١٣} اى من السماء أو من الجنة، و تدل كلمه الهبوط على الهبوط من مكان أعلى، و من الطبيعي ان يكون هبوط إبليس ليس مادياً فحسب، بل و معنوياً أيضاً، و لذلك عاد القرآن و استخدم كلمه الإخراج أيضاً.

فَمَا^{١٤} يَكُونُ لِمَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا^{١٥} فَاخْرُجْ^{١٦} إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ^{١٧} و هكذا كانت الخطيئه الاولى بسبب الاعتماد على العنصر، و الذى تجسد فى صورته التكبر عن الحق، و من ثم كان الجزاء الهوان.

من حقائق الجزاء:

[١٤] و على الإنسان ان يعرف حقيقه هامه جدا هي: أن الجزاء لا- يكون دائماً بعد العمل مباشره، بل على العكس حيث يتأخر الجزاء عن العمل، و هذا إبليس قد طلب المهله من ربنا فأعطاه إياها.

قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ [١٥] قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ و أهميه فهم هذه الحقيقه تأتي من أن البشر بسبب محدوديه الرؤيه، و ضيق الأفق يزعم أنه لا يجازى على أعماله بمجرد تأخر الجزاء، بل حتى حين يأتيه الجزاء ينسى أنه جاءه نتيجة عمله، و لذلك لا يرتدع بالعقاب و لا يندفع الى الثواب، و انما يستفيد من الجزاء الذين يعدمون المسافه الزمنيه بين العمل و الجزاء، و يتصورون أنفسهم منذ لحظه القيام بالعمل و كأنهم فى لحظه الجزاء، فالزراع الذى يتصور وقت الحصاد، و الطالب الذى يتخيل قاعه الامتحانات، و الجندى الذى تتراقص فى مخيلته لحظات الانتصار، و المؤمن الذى يظن أنه ملاق ربه يكون عملهم أتقن و أبقى، بينما المجرم الذى ينسى قاعه المحكمه، و الفاجر الذى يكفر بالآخره، و الفاسق الذى يتناسى الموت يكون أجراء على الله، و أوغل فى الخطيئه.

[١٦] و الهالك يسحب من حوله الى الهلاك، كما الناجى يريد لمن حوله النجاه مثله، و إبليس حين أمره الله بالسجود تكبر فأخرجه، و هكذا أضمر حقدا مركزا ضد أبناء آدم الذى بسببه طرد من السماء.

قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ انه يقعد لنا، اى يرصدنا و يمكر بنا، و مكره يتجسد فى محاوله سلب نعمه الاستقامه منا.

[١٧] و يسعى إبليس بكل وسيله ممكنه لكى يضللنا.

ثُمَّ لَأَتَّبِعَهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَ مِنْ خَلْفِهِمْ وَ عَنْ أَيْمَانِهِمْ وَ عَنْ شَمَائِلِهِمْ

قد تكون هذه الجهات رمزا لاحاطه الشيطان بأبناء آدم من كل مكان،حتى يتحسس البشر بمدى الخطر الذى يهدده،فلا يكون فى الحياه مهملا،فارغ البال، ضعيف العزيمه،بل يكون جديا ذا فعاليه كبيره.

وقد تكون رمزا لأساليب الشيطان،حيث يخدع البشر بالمستقبل القادم من بين يديه حينما،حيث يمينه غرورا،و يزين له أشياء يعده بها،وقد يضلّه بتصوير الماضى بطريقه تدفعه الى الأعمال السيئه،أو بسيره الآباء،أو بفلسفه التاريخ أو..بمن حوله من الناس،بأولاده و زملائه،أو بأعدائه و المنافسين له.

المهم:ان يعرف البشر أنه لو لم يتصل بالله سبحانه،و يستعد استعدادا كاملا،لأحاط به مكر الشيطان و اراده و أهلكه،فلا يصبح شاكرا لأنعم الله و جميل فضله.

وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ و هذا فى الواقع أسلوب حيث يستخدمه إبليس،حيث يربط النعم بنفسه،أو بالأولياء من دون الله،و الذين هم أدوات له و ليس بالله سبحانه.

[١٨]و الله أعطى البشر العلم و الاراده،و حذره من الشيطان،و بذلك كلفه مسئوليه الدفاع عن نفسه،ضد هجمات إبليس.

قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْذُومًا مَدْحُورًا اى انه بعيد معنويا و ماديا حيث انه يذم و يطرد.

لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ اى بالتأكيد ان من يتبعك من البشر سيكون مكانه جهنم مع إبليس.

إشاره

وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (١٩) فَوَسَّوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوَاتِهِمَا وَقَالَ مَنْ نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ (٢٠) وَقَسَيْمَهُمَا إني لَكُمَا لِمَنْ النَّاصِحِينَ (٢١) فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ (٢٢) قَالَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٢٣) قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ (٢٤) قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَ مِنْهَا تُخْرَجُونَ (٢٥)

اللغه

٢٠ [ليبدى]: الإبداء الإظهار، وهو جعل الشيء على صفة ما يصح أن يدرك و ضده الإخفاء، و كل شيء أزيل عنه الساتر فقد أبدى.

[ورى]: المواراه جعل الشيء وراء ما يستره و مثله المساتره و ضدها المكاشفه.

[سواتهما]: عوراتها.

هدى من الآيات:

كانت قصه إبليس و عنصريته، و تكبره و خروجه من السماء، و وعده أنه سوف يغوى أبناء آدم، و بالتالي كانت قصه الخطيئه الاساسى هى موضوع الدرس السابق، و الآن جاء دور آدم و أبنائه كيف أنهم انخدعوا بإبليس، و كيف ينبغي تجنبه؟ أسكن الله آدم و زوجه الجنة، و سمح لهم بتناول كل الطيبات باستثناء شجرة واحده، و التى انما نهيا عنها بسبب حكمه، بيد ان الشيطان و سوس لهما ليظهر ذلك العيب الذى ستره الله، و خدعهما بأن الله لم ينه عن هذه الشجرة الا لكى لا يصبحا ملكين خالدين، و بذلك اثار فيهما حب الرئاسه و حب البقاء.

و حلف لهما بأنه ينصحهما، و لكن ذلك كان غرورا، فلما طعما من الشجرة ظهرت العورات الخفيه لهما، و إذا بهما يخصفان عليهما من ورق الجنة، و هناك ناداهما الله ربهما، و قال: أو لم أنهكما عن الشجرة و حذرتكما من عدو كما الشيطان، و بخلاف الشيطان الذى ازداد تكبرا، فإن آدم و زوجه ندما على عملهما

و اعترفا و قالان: إِنَّ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَ تَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ، و لكن الذنب كان له أثره السلبي حيث أهبطا و ذريتهما الى الأرض، ليكون بعضهم لبعض عدوا، و لتكون لهم فيها فرصه محدوده.

طبيعته العجز البشري:

[١٩] يبدو أن الجنة التي سكن فيها آدم و زوجته مثل حي لنعمه الحياه المرهفه التي يوفرها الله سبحانه للبشر إذا اتبع مناهجه، حيث إن مناهج الله ليست سببا للشقاء، بل سببا للسعادة و الفلاح، و الله لم يحرم الطيبات، بل حرم بعضا مما أوجبه حكيمته سبحانه، كما أباح لأبينا آدم و زوجته أكل ما شاء و لكن حرم عليهما شجره واحده، و التي لو اقتربا منها لأصبحا ظالمين حيث إنها كانت تضرهما.

و يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَ زَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَ لَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ [٢٠] قبل أن يواجه الإنسان التحديات و الشهوات يزعم أنه قادر على مواجهه الضغوط و المشكلات، و أنه صالح، و لكن الضعف و العجز كامنان في طبيعته البشرى، و يظهر ان فى الامتحان، و على البشر أن يستعد للقيام بعد السقوط، و التوبه بعد الذنب، و ألا يغتر بنفسه، و لا تأخذه العزه بالإثم.

فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا و الوسيله التي استخدمها الشيطان هى الوسوسة، و حسب الظاهر فان الوسوسة هى: التشويش على رؤيه الإنسان و عمله و فطرته، و ذلك عن طريق اثاره الغرائز التي تصبح حاجزا بين العقل و الحقائق.

و استخدم إبليس اسلوبيين آخرين:

أولاً: تفسير الحقائق و تحويلها تفسيراً باطلاً.

ثانياً: الكذب و الحلف عليه، أما التفسير الباطل فحين كذب.

وَ قَالَ مَا نَهَاكُمْ رَبُّكُمْ عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونُوا مَلَائِكَةً أَوْ تَكُونُوا مِنَ الْخَالِدِينَ

جذر الخطأ:

لقد أشار إبليس صفتين في آدم موجودتان في كل أبنائه، أولهما: حب الملك و العزه و الرفعه، و الثانيه: حب الخلود و البقاء و الاستمرار و هاتان الصفتان هما تعبيران عن حب الذات و العنصريه المقيته التي كانت السبب في إغواء إبليس، بيد أن إبليس أظهر السبب صراحه، و علينا ان نسعى من أجل مراقبه هذه الصفات التي ينفذ من خلالها الشيطان الى قلوبنا و يفسد أعمالنا.

و من الملاحظ ان نقص المواد الغذائيه، أو فقدان المسكن و الملابس و ما أشبه لم يكن سبب معصيه آدم، إنما هو حب الخلود و الملك، و هكذا في أبنائه فلو استطاع البشر مقاومه هذا الحب لتخلص من كثير من المعاصي.

[٢١] و لم يكتف إبليس بتفسير النص الالهى تفسيراً خاطئاً لهما و اثاره الغرائز عندهما، بل كذب عليهما كذبا صريحا و مؤكداً بالقسم.

وَ قَاسَىٰ مَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ وَ أَصْلُ الْمَقَاسِمَةِ: ان تكون من طرفين كأيه صيغه أخرى من دون المفاعله، بيد أن إبليس قد يكون حلف حلفاً مكرراً كان يعارض حلف الطرف الآخر.

[٢٢] و كل ذلك التفسير و الكذب و الحلف كان غروراً، أي تركيزاً للنظر في

جانب واحد فقط، وترك الجوانب الثانيه مهمله، حيث إن أصل الغرور هو الثوب حتى لا يتبين كل جوانبه، والشيطان ينفذ الى قلب البشر من خلال الغر حيث يسعى الى تأكيد جانب واحد فقط من الحقائق و ترك سائر الجوانب.

فَدَلَاهُمَا بِعُرُورٍ و أخيرا طعما شيئا من الشجره، فظهرت لهما عوراتهما فاذا بهذا يرى عوره الثانى فاستحيا، فأخذا يجعلان أوراق الشجر على بعضها عسى ان تصبح على هيئه اللباس فيوارى عوراتهما، وبالطبع فان أبناء آدم حين يتبعون الشيطان تظهر نقائصهم، و ضعف إرادتهم، و قله مقاومتهم للشيطان.

فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجْرَةَ يَدَّتْ لُهُمَا سَوَاتُهُمَا وَ طَفِقَا يَخْصِمَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَ هنا انتهت مرحله الامتحان، فناداها ربهما و قال لهما:الم أنهكما عن هذه الشجره، و هكذا يستيقظ الضمير بعد ارتكاب الجريمة.

وَ نَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنهَكُمَا عَنْ تَلْكُمَا الشَّجْرَةَ وَ أَقَلَّ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ [٢٣] و عاد الرشد الى آدم و زوجه كما يعود الى ابنائه العاديين بعد الجريمة، و هذه من ميزات البشر على إبليس الذى لم يعترف بالخطيئه، اما التوبه و إصلاح الفاسد من أبرز و أعظم الصفات الحسنه لو استغلت.

قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَ إِن لَّم تَغْفِرْ لَنَا وَ تَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ [٢٤] و خسر البشر بذلك فرصه البقاء فى الجنه، و هبطوا الى دار الدنيا بسبب حب الخلود و الرفعه، و انتشرت بينهم الخلافات، و الصراعات الاجتماعيه الدائمه

والمقيته و كل ذلك وليد هذه النفسيه المذنبه، و لكن الله أنعم عليهم ببعض الاستقرار على الأرض، و ببعض المتاع و التمتع المؤقت..

قَالَ اهْبُطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ [٢٥] هنا دار الحياه و الممات، و من ثم البعث.

قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَ فِيهَا تَمُوتُونَ وَ مِنْهَا تُخْرَجُونَ

ص: ٢٩١

اشاره

يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَ لِبَاسٌ أَلْتَقْوَى ذَلِك خَيْرٌ ذَلِك مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَكَّرُونَ (٢٦) يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِيَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ (٢٧) وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَحَيْدُنَا عَلَيْهِمْ آبَاءُنَا وَاللَّهُ أَمَرْنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٢٨) قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ (٢٩) فَرِيقًا هَدَىٰ وَ فَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِم الضَّلَالَةُ إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ (٣٠)

اللغة

٢٧[قبيله]:القبيل الجماعه من قبائل شتى،فاذا كانوا من أب و أم واحد فهم قبيله.

٢٩[بالقسط]:العدل.

ص:٢٩٢

إشارة

سوأه الإنسان؟

هدى من الآيات:

كما نزع إبليس لباس أينا آدم حتى بدت له سوءاته، كذلك يسعى من أجل أن ينزع لباس التقوى منا نحن أبناء آدم، ذلك اللباس الذى يوارى سوءات البشر، وعلينا ان نتذكر هذه الحقائق: ان الشيطان أقوى منا فى الخداع، لأنه يرانا دون أن نراه، ولكنه لا يستطيع ان يسيطر الا على الكفار، لان الايمان يقاوم إغراء الشيطان.

أما الكفار فإنهم يخدعون من خلال مجموعه أفكار خرافيه مثل: اتباع الآباء، و الاعتقاد بأن كل ما يعمله الآباء فهو دين و مأمور من قبل الله سبحانه، بينما ربنا لا يأمر بالفحشاء، وهؤلاء يقولون ما لا علم لهم به، وانما اتباعا لأهوائهم، ولا يتذكر هؤلاء أن أباهم آدم قد خدعه الشيطان، فكيف بسائر الناس؟! إذ المقياس ليس ما يقوله الآباء، بل ما يأمر به الله سبحانه الذى أمر بالقسط.

ص: ٢٩٤

لباس التقوى:

[٢٦] لقد انزل الله لبنى آدم لباسا يوارى عوراته، و أعطاه ريشا و زينه يتجمل بها، بيد أن لباس التقوى الذى يوارى سوءات البشر المعنويه خير له، و عليها لا يكتفى بلباس البدن وحده.

يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤَارِي سَوْآتِكُمْ و ربما استخدم القرآن كلمه (أنزلنا عليكم) لان البركات كلها من السماء.

وَ رِيشًا اى زينه و متاعا.

وَ لِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ مِنْ لِبَاسِ الْبَدَنِ بِالرَّغْمِ مِنْ ضَرُورَةِ الْإِهْتِمَامِ بِهَذَا وَ ذَاكَ مَعًا.

ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ اى هذه حجه من حجج الله، و آيه تدل على عظمه الله، و هذه الحقيقه يجب أن يستوعبها الناس.

لَعَلَّهُمْ يَذَكَّرُونَ ان معرفه حاجه البدن الى اللباس قد لا تحتاج الى تعمق بقدر فقه حاجه الروح اليه..

[٢٧] و مره اخرى يذكر الله البشر بأنهم أبناء آدم الذى فتنه الشيطان و أخرجه من الجنة، و عليهم أن يتحذروا من فتنه الشيطان.

يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ وَ الشَّيْطَانُ كَمَا نَزَعَ لِبَاسِ التَّقْوَى.

يَنْزَعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا وَ كذلك حين يفتن البشر يرى الواحد سلبياته و ضعفه و عجزه، فيكون أول من يندم و يوبخ نفسه، و الشيطان يملك و سيله ضد البشر هى المكر و الخداع، فإذا تسلح الإنسان باليقظه و الحذر استطاع ان يقاوم كيد الشيطان.

إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَ قَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ

بين ولايه الله و سلطان الشيطان:

و لكن ليس للشيطان سلطان على البشر، لأن البشر يملك الاراده و العقل و الضمير، و لكن الكفار يفقدون إرادتهم فى مقاومه الشيطان، فيصبح وليهم بسوء اختيارهم.

إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ أما المؤمنون فالله وليهم و هم أحرار من قيود الشيطان قال تعالى:

ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَ أَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ ١١/ محمد ان الذى يتبع شهوه الشروه و يخضع لسلطان الطاغوت، و يستسلم لاراده رئيس العشيره، و يخوض مع تيارات المجتمع حيث خاضت، انه يفقد أرادته و يصبح ذره فى مهب الرياح الشيطانيه.

[٢٨] وعلامة فقد الاراده، أن هذه الفئة لا تملك حريه التفكير و تتعرض لأسوأ استعمار و استعباد و هو فقدان الاستقلال الفكرى و الثقافى الذى هو مقدمه لسائر أنواع الاستغلال و الاستثمار.

وَ إِذَا فَعَلُوا فَاَحْسَهُ قَالُوا وَحَيْدُنَا عَلَيْهَا آبَاءُنَا زَاعِمِينَ أَنْ ذَلِكَ يَكْفَى شَرْعِيَهُ لِلْعَمَلِ، وَ أَسْوَأَ مِنْ هَذَا أَنَّهُمْ كَانُوا يَزْعُمُونَ أَنَّ أَفْكَارَ الْآبَاءِ تَمْتَلِكُ قَدَاسَهُ سَمَاوِيَهُ.

وَ اللَّهُ أَمَرَ نَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ تِلْكَ الَّتِي يُوَافِقُهَا الْفَرْدُ بِعَقْلِهِ، وَ كَلِمَا يَأْمُرُ بِهِ الْآبَاءُ أَوْ الْأَحْبَارُ أَوْ السَّلَاطِينُ، وَ لَكِنِ الْعَقْلُ كَانَ يِعَارِضُهُ فَهُوَ بَعِيدٌ عَنِ الْقَدَاسَةِ وَ عَنِ اللَّهِ.

أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ [٢٩] الْعَدَالَةَ فَطَرَهُ كَامِنَةً فِي الْبَشَرِ وَ طَمُوحَ كَبِيرٍ وَ إِذَا لَمْ يَهُوَ أَحَدُ الْقِيَامِ بِالْقِسْطِ بِنَفْسِهِ فَلَا رَيْبَ أَنَّهُ يَجِبُهُ لِلْآخِرِينَ وَ يَطَالِبُهُ مِنْهُمْ، وَ اللَّهُ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَأْمُرَ بِغَيْرِ الْقِسْطِ، وَ الْعَالَمُ كُلُّهُ يَشْهَدُ لَهُ بِالْعَدَالَةِ فِي كُلِّ شَيْءٍ.

قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَ أَمَرَ اللَّهُ بِاللَّهِ بِالْإِلَهِيِّ عِبَادَتِهِ، وَ حَتَّى فِي الْمَوَاضِعِ الَّتِي يَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ، يَجِبُ رَفْضُ الشُّرَكَاءِ وَ عِبَادَةُ اللَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ.

وَ أَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ أَنَّى كَانَ مِيعَادُ السُّجُودِ عَلَيْنَا إِنْ نَسَجَدَ اللَّهُ لَا لِلشُّرَكَاءِ، رَمَزًا لِخُلُوصِ عِبَادَتِنَا

و وحده اتجاهنا، و دعائنا كذلك يجب أن يكون خالصا لله.

وَ اذْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فلا يتجزأ الدين ليؤخذ منه جانب العبادات و تترك المعاملات الاقتصادية، أو القضايا السياسيه أو ما أشبهن، و ليس هناك تمييز بين أبناء آدم حتى يعبد بعضهم بعضا، أو يترك بعضهم جانبا من الدين إرضاء للبعض الآخر.

كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ سواسيه كأسنان المشط.

[٣٠] نعم هناك اختلاف واحد بين أبناء آدم يعترف به الإسلام هو: اختلافهم من حيث الايمان و العمل الصالح (أو بتعبير آخر اختلاف الاراده و السلوك).

فَرِيقًا هَدَىٰ اى هداهم الله فاستجابوا للهدايه.

وَ فَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ و كتبت عليهم الضلاله بسبب توجههم الى غير الله.

إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنََّّهُمْ مُهْتَدُونَ حينما يهبط البشر الى هذا الدرك لا يرجى له الشفاء و يصبح ممن حقت عليه الضلاله، حيث يتخذ الشيطان، الذى هو عدو وليا و قائدا له، و يكفر بالله خالقه و راحمه، و الانكى من ذلك أنه يحسب نفسه مهتديا، و هو فى الضلال البعيد.

إشاره

يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ (٣١) قُلْ مَنِ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٣٢) قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٣٣)

اللغه

٣٣[البغى]:الاستطاله على الناس،وحدّه طلب التروّس بالقهر من غير حقّ.

هدى من الآيات:

فى الدررس السابق، أمر القرآن بإخلاص الدين لله، و معناه أن تكون وجهه البشر نحو الله فى كل جوانب الحياه، و أن تكون برامج الله سائده على كل أبعاد الحياه، و فى هذا الدررس يضرب القرآن لنا مثلا واقعيًا حيث يأمرنا بالتزين عند كل مسجد فالمسجد عباده، و الزينه حياه كما يأمرنا بالأكل و الشرب ضمن حدود التقوى، ثم تساءل القرآن عمن حرم زينه الله، و طيبات رزقه التى هى خالصه للمؤمنين فى يوم القيامه؟ ثم نهى القرآن عن مجموعه شؤون حياتيه كالفواحش و الإثم و البغى فالفواحش و الإثم مثلا للسلوك الشخصى المنهى عنه و البغى مثلا للسلوك الاجتماعى المنهى عنه.

كما نهى مره اخرى عن الشرك. الذى من مظاهره الخضوع للسلطان الظالم، و نهى عن القول بغير علم مثلا لتوجيه القرآن فى الثقافه، هذا هو الدين و خلوصه يعنى الا يتبع الفرد شريعته و منهاجا من غير الدين.

كيف نعرف طبيعه الديانات..؟

[٣١]بالنظر الى جانب واحد من مذهب أو دين نستطيع ان نعرف طبيعته معرفه تامه،فاذا نظرت الى مسجد المسلمين فانك تستطيع ان تعرف الصيغه التكاملية للإسلام،فالمسجد محل عباده يعرج منه المؤمنون الى الله،و مقام حرب بين الهوى و العقل،و بين الباطل و الحق،و لكنه فى نفس الوقت مكان للتعارف و التعاون و الاجتماع،و كلما يقرب الأفراد الى بعضهم يستحب أو يجب وجوده فى المسجد كالطهاره و النظافه و الزينه،حيث أمر الله بأن يتخذ المؤمنون أفضل زيتهم الى المساجد،حتى يكون مظهر المجتمع جذابا،و يقرب مظاهر الأفراد بعضهم الى بعض.

﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَ كَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ لِبَنِي آدَمَ لِبَاسًا وَ رِيشًا،وَ كَمَا أَنْعَمَ عَلَيْنَا بِاللِّبَاسِ كَذَلِكَ أَمَرَ بِالِاسْتِفَادَةِ مِنْ نِعْمَةِ الزَّيْنَةِ،وَ لَكِنْ لَيْسَ فِي التَّفَاخُرِ وَ لَا فِي مَجَالِسِ اللّٰهُوَ،وَ إِنَّمَا لِلتَّعَارُفِ وَ لِلتَّعَاوُنِ فِي المَحَافِلِ الدِّينِيَةِ وَ كَمَا يَنْبَغِي الِانْتِفَاعَ بِاللِّبَاسِ كَذَلِكَ يَنْبَغِي أَنْ يَسْتَفِيدَ الْمُؤْمِنُ مِنَ نِعْمِ الأَكْلِ وَ الشَّرْبِ وَ لَكِنْ فِي حُدُودِ العَدَالَةِ الَّتِي تَحَافِظُ عَلَيَّ تَعَادُلِ المَجْتَمَعِ،كَمَا تَحَافِظُ عَلَيَّ سَلَامَةِ الجَسَدِ الِذِي يَفْسُدُهُ الإِسْرَافُ فِي الطَّعَامِ.

﴿وَ كُلُّوا وَ اشْرَبُوا وَ لَا تُسْرِفُوا إِنَّ حَرَمَهُ الإِسْرَافُ،وَ ضَرُورُهُ تَنْظِيمَ الأَكْلِ وَ الشَّرْبِ مَظْهَرَ آخَرَ مِنَ مَظَاهِرِ التَّكَامُلِيَةِ فِي الإِسْلَامِ.

﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ المُسْرِفِينَ

الإسراف قد يكون بتجاوز حدود الشريعة، فالذى يأكل لحم الخنزير، ويشرب الخمره فهو مسرف لا يحبه الله، إذ ما دام الحلال واسعاً فلا حاجة الى الحرام، وقد تتجاوز حدود العرف العام فتبنى بيتاً بمليون دينار في الوقت الذى يكفيك نصفه، وقد تشتري سياره بعشره آلاف دينار بينما تكفيك سياره بألفين، و حدود السرف ترتبط بالظروف الاجتماعيه، بل و حتى الظروف الشخصيه، فالفقير الذى لا يملك سوى بضعه دنائير فيصرفها فى شراء العطور، و يهمل عائلته جائعين يعتبر مسرفاً، بينما لو فعل الغنى مثل ذلك لم يكن كذلك، و الدول الفقيره التى تقلد الدول الكبرى فى بناء المطارات الضخمه، أو المباني الرياضيه الكبيره، أو بناء سفارات فخمه تعتبر مسرفه، بينما قد لا يعتبر مثل ذلك إسرافاً للدول الغنيه.

هل حَرَمَ اللهُ الزينه؟

[٣٢] لم يحرم الإسلام الزينه على المؤمنين، بل اعتبرها خالصه لهم يوم القيامه، فكيف يحرمها الله على المؤمنين فى الدنيا؟ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَ الطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فالزينه مخلوقه للمؤمنين فى الدنيا و لكنها غير خالصه من شوائب المصائب، أما فى الاخره فهى خالصه لهم..

كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ بالعلم و المعرفه يعرف المؤمن ان الاستفاده من نعم الله لا- ينقص الايمان، و إنما ظلم الناس، أو الخضوع للظلم، أو السكوت على ظلم الظالمين هو الحرام و هو الأصعب مسئوليه و واجبا، و من استطاع ان يحقق هذا الواجب، و يؤدي هذه

المسؤولية فقد اقتحم العقبه و فاز، و لكن من دونها لا ينتفع له التخشن في المأكل و ترك الزينه.

تحريم الفواحش جوهر الدين:

[٣٣] ركز القرآن على حرمه الفواحش و البغى و الشرك و هي جوهر الدين و أثقل مسؤوليه، و هذه المحرمات الثلاث تتصل بثلاث أبعاد من حياه الفرد هي:

الأول: العلاقات الجنسيه: حيث حرم ربنا الفواحش، و من أبرز مظاهرها الشذوذ الجنسي الذى يهدم الأسره، و يفسد العلاقات الاجتماعيه، و سيئ التربيه و هكذا، و ليست الفواحش الظاهره كالزنا هي المحرمه فقط، بل الباطنه أيضا منهي عنها مثل: مصادقه النساء، و ربما تشمل الفواحش الباطنه تلك الأسباب التى تؤدى إليها مثل الخلاعه، و وضع العقبات أمام الزواج.

قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ الثَّانِي: السلوكيات الشخصيه التى حرم ربنا فيها الإثم و هو كل حرام مثل شرب الخمر، و أكل لحم الخنزير، و المحرم من اللحوم خصوصا ما لم يذكر اسم الله عليه.

الثالث: ظلم الناس و تجاوز حقوقهم سواء كانت الحقوق المالىه كحرمه السرقة، و الرشوه، و الضرائب المجحفه، و الغش، و أخذ المال من دون عمل مناسب. أو كانت حقوقا اجتماعيه مثل حرمه الغيب و التهمه و النميمه و ما الى ذلك، إن كل ذلك ظلم و حرام..

وَ الْإِثْمَ وَ الْبَغْيَ بغيرِ الْحَقِّ و ربما يكون كلمه (بغير الحق) تفسير للبغى، و أن كل تجاوز للحق يعتبر بغيا

و ظلما حراما.

و بعد هذه المحرمات يأتى دور المحرّم الخطير!؟ و هو المرتبط بالسياسه حيث يحرم الخضوع لسلطان غير سلطان الله، أو اتباع شخص أو جهاز لم يأذن به الله، و بالتالى يحب التمرد على هذه الانظمه التى تحكم الشعوب بأسماء غير اسم الله، أو تدعى أنها تمثل سلطان الله كذبا و زورا و هذا هو الشرك.

وَ أَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ فِي سُلْطَانِهِ وَ سِيَادَتِهِ الْقَانُونِيَّةِ وَ السِّيَاسِيَّةِ.

مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا فَإِذَا أَنْزَلَ اللَّهُ سُلْطَانًا بِجَوَازِ اتِّبَاعِ أَحَدٍ عِبر ادله عقليه واضحه لا يرتاب فيها الشخص، آئذ فقط يجوز أن يخضع الفرد له و ذلك الشخص مثل الرسول صلى الله عليه و آله و الائمه الهداه عليه السلام، و العلماء بالله الأئمة على حلاله و حرامه.

أما ان يتخذ الفرد شخصا قائده و امامه، أو يتخذ حزبا يقلده و يتبع برامجه بصوره عشوائيه، فذلك امر لا يجوز أبدا.

و إذا كانت الولاية لله، و لمن أنزل الله فيه سلطانا يجب ان تكون الثقافه السائده على هذا المجتمع ثقافه حقّه، لان الثقافه هى الخلفيه الرصينه لهذه الولاية، و ذلك لا يكون إلا بعد سكوت الجاهل، و عدم إشاعه الأفكار الباطله، فاذا سكت من لا يعلم بحث الناس عن العلم الصحيح، و وصلوا اليه عبر قنواته السليمه.

وَ أَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ أما إذا شاع الافتراء على الله، فقال كل واحد كلاما و نسبه الى الله، فان طريق

الحق يضيع بين طرق الضلال، و كلمه علم واحده تختلط بألف كلمه جهل، و لا سبيل آئذ للإنسان للوصول الى الحقيقه.

هذه هي المحرمات التي لو واجهت الفرد المسلم أو المجتمع المسلم في تنفيذها لبقى جزء منها غير مطبق، إلا من عصمه الله لأنها صعبه للغاية، أما إذا تجنب الفرد جانباً من الطيبات، و تصور أنه زاهد، أو اعتبر الدين كله مجرد الابتعاد عن بعض اللذائذ، فإن ذلك خداع ذاتي لا أكثر.

ص: ٣٠٥

وَ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ (٣٤) يَا بَنِي آدَمَ إِنَّمَا نَبَأْتِنَاكُمْ رَسُولٌ مِنْكُمْ يَقْضُونَ عَلَيْكُمْ
 آيَاتِنَا فَمَنْ اتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٣٥) وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ
 فِيهَا خَالِدُونَ (٣٦) فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُولَٰئِكَ يَتَالَهَمُ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمْ رَسُولُنَا
 يُتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَيْنَا أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ (٣٧) قَالَ أَدْخُلُوا فِي أُمَّمِ
 قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِي الدَّارِ كُلِّمَّا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّىٰ إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأَوْلَاهُمْ
 رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٍ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ (٣٨) وَقَالَتْ أُولَاهُمْ لِأَخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا
 مِنْ فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ (٣٩)

على الله الكذب

هدى من الآيات:

بيانا و توضيحا للدروس السابقة، جاء هذا الدرس ليذكرنا بأن حياه البشر محدوده بأجله، و أن اجله لا يتأخر و لا يتقدم، فليس بإمكانه أن يطلب المهله و لو لوقت قصير، و أن الفرصه الوحيده هى الحاضر، حيث جاءت الرسل تقص آيات الله، فعلينا أن نتقى الله، و نصلح العمل حتى لا- تضرنا العاقبه، بينما التكذيب بآيات الله، و الاستكبار عنها ينتهى بالنار الخالده، و لكن لماذا التكذيب؟ أو ليس ذلك ظلما يظلم به البشر نفسه و بلا سبب، حيث يكتب عليه القانون ما ينبغى له، و آتئذ لا يجد له ملجأ يلجأ إليه، أما أولئك الشركاء الذين كان يتوعدهم الله، فإنهم يغيبون عنه و لا يجد لهم أثرا، و هناك يقول الله لهم: ألحقوا بأسلافكم من الكفار، أولئك الذين يستقبلونكم باللعنه، و يقول المتأخرون: يا رب؟ عذّب هؤلاء الذين أضلونا عذابا مضاعفا، لأنهم كانوا السبب فى وقوعنا فى العذاب، بيد أن الله يقول:

و أنتم بدوركم سينالكم العذاب المضاعف لأنكم فعلتم الذنب، و لأنكم اتبعتم السابقين من دون سلطان، بيد أن للسابقين كلمه أيضا، حيث يقولون للآخرين:

ماذا انتفعنا باتباعكم لنا؟!

بينات من الآيات:

بين الأجل والعمل:

[٣٤] ان يعرف البشر أن عقاب أعماله ليست عاجله و لكنها مؤجله لوقت محدد، إن ذاك يعطيه مزيدا من الكبح الذاتى، و ينمى وجدانه الرادع و يربيه، و لكن قد يزعم البشر أنه ما دام العقاب مؤجل فمن الممكن ان نستفيد من تأخير العقاب مره بعد اخرى، حتى نتوب أو نعمل صالحا فيرتفع العقاب رأسا، و لكن القرآن يسفه هذا الزعم: بأن لكل أمه أجلا حدده الله، و بالرغم من ان هذا الأجل مجهول إلا أنه معلوم عند الله، و إذا بلغ أجله فلن يتبدل، فعلينا إذا انتظار ذلك الأجل فى كل لحظه، و لا مفر منه و لا تأخير فيه، و ليس لدينا قدره على مقاومته إلا بالعمل الصالح الذى يجعل الأجل فى صالحنا.

وَ لِكُلِّ أُمَّهٍ أَجْلٌ أَى وقت تستنفذ الأمه خلاله كل إمكانات التذكر و الايمان.

فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَ لَا يَسْتَقْدِمُونَ وَ كم يكون خطيرا هذا الأجل إذا جاء دون أن يعمل الإنسان صالحا.

[٣٥] و لذلك فعلينا أن نستعد للأجل المحدد الذى لا يتغير، و الاستعداد لا يتم الا بالاستجابه لرسالات الله.

يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَعَلَيْكُمْ الْاِسْتِجَابَه لِهذِهِ الرِّسَالَه، التى تفصل لكم كل شىء تفصيلا.

ص: ٣٠٩

فَمَنْ اتَّقَىٰ وَ أَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ بِسَبَبِ أَعْمَالِهِمُ الصَّالِحَةِ، فَمَنْ لَا يَخْشَى بُلُوغَ الْأَجْلِ وَ نَهَايَهُ الْفُرْصَةَ، كَمَا الطَّالِبُ الْمَجْدُ لَا يَخْشَى الْإِمْتِحَانَ، وَ كَمَا الْبَرِيءُ لَا يَخْشَى الْمَحَاكِمَةَ، وَ هُمْ لَا يَحْزَنُونَ عَلَى مَاضِيهِمْ الَّذِي اسْتَعْلَوْهُ بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ. اسْتِعْدَادًا لِهَذَا الْيَوْمِ، وَ رُبَّمَا تَكُونُ التَّقْوَى هِيَ الْجَانِبُ النَّفْسِيُّ وَ الْإِصْلَاحُ هُوَ الْجَانِبُ الْعَمَلِيُّ.

[٣٦] يَبْدُو أَنَّ الْخَوْفَ وَ الْحُزْنَ مِنْ نَصِيبِ الْكُفَّارِ الَّذِينَ يَكْذِبُونَ بِالْآيَاتِ بَعْدَ وَضُوحِهَا، فَهِيَ عَلَائِمٌ صَرِيحَةٌ عَلَى الْحَقِيقَةِ الَّتِي لَا يَصَدِّقُونَ بِهَا اسْتِكْبَارًا، وَ اسْتِجَابَهُ لِأَهْوَائِهِمْ، وَ عَقْدَهُمُ النَّفْسِيَّةَ.

وَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَ اسْتَكْبَرُوا عَنْهَا إِنْ جَزَاءُ هَؤُلَاءِ هُوَ الْإِقْتِرَانُ بِالنَّارِ، وَ التَّلَاحِمُ مَعَ عَذَابِهَا دُونَ أَنْ يَجِدُوا خَلَاصًا. أُولَئِكَ أَصْحَابُ الدَّارِ الَّتِي هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ وَ خُلُودُ هَؤُلَاءِ فِي النَّارِ يَعْتَبَرُ الْجَزَاءُ الْمُنَاسِبَ لِعِنَادِهِمُ الَّذِي لَا رَجَاءَ فِي إِصْلَاحِهِ، وَ لِاسْتِكْبَارِهِمُ الَّذِي جَعَلَ قُلُوبَهُمْ فِي صَنْدُوقِ حَدِيدٍ لَا يَنْفِذُ إِلَيْهِ النُّورَ وَ الْهَوَاءَ، بِالرَّغْمِ مِنْ قُوَّةِ ضِيَاءِ النُّورِ أَوْ زِيَادَةِ دَفْعِ الْهَوَاءِ.

[٣٧] إِذَا كَمَّ يَكُونُ ظَلَمَ الْبَشَرَ لِنَفْسِهِ كَبِيرًا حِينَ يَجْعَلُ نَفْسَهُ فِي هَذَا الْمَازِقِ الْخَطِيرِ، وَ يَسْتَكْبِرُ عَنِ الْحَقِيقَةِ.

فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنْ الْبَشَرُ حِينَ يَسْتَكْبِرُ وَ يَتَطَاوَلُ عَلَى الْحَقِيقَةِ يَخْدَعُ نَفْسَهُ وَ الْآخِرِينَ بِصَنْعِ بَدِيلٍ لِلْحَقِيقَةِ، فَهُوَ مِنْ جِهَةِ يَكْفُرُ بِالْحَقِيقَةِ وَ الْآيَاتِ وَ الْعَلَائِمِ الْوَاضِحَةِ الَّتِي تَدُلُّ عَلَيْهَا،

و من جهه ثانيه يخلق لنفسه أفكارا و ينسبها الى الله كبديله عن الحقائق، و جزاء هؤلاء هو: أن تلك الحقائق التي كفروا بها ستحيط بهم و تنتقم منهم.

أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ إِنْ نَصِيبَ الْمُؤْمِنِينَ الْعَامِلِينَ بِالْكِتَابِ هُوَ تَحْقِيقَ الْمَكْتَسَبَاتِ الرَّسَالِيَةِ الْحَسَنَةِ لَهُمْ، أَمَا نَصِيبَ الْكُفَرَاءِ الرَّافِضِينَ لِلْكِتَابِ فَهُوَ تَحْقِيقَ الْعُقُوبَاتِ الَّتِي يَنْذَرُ بِهَا الْكِتَابُ..

حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَى تِلْكَ الْأَفْكَارِ، وَ أُولَئِكَ الشَّرَكَاءُ الَّذِينَ كَانُوا يَجْسُدُونَ تِلْكَ الْأَفْكَارَ فِي الْوَاقِعِ الْعَمَلِيِّ، أَيْنَ هُمْ الْآنَ؟ وَ قَدْ كُنْتُمْ تَعْتَمِدُونَ عَلَيْهِمْ، وَ تَزْعُمُونَ بِأَنَّهُمْ يَشْكُلُونَ الْبَدِيلَ الْمُنَاسِبَ عَنِ الْحَقِيقَةِ، وَ عَنِ آيَاتِ اللَّهِ! قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَ شَهِدُوا عَلَيْنَا أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ بِالْحَقِيقَةِ، وَ بِالتَّالِيِ شَهِدُوا عَلَيْنَا أَنفُسَهُمْ بِأَنَّهُمْ يَسْتَحِقُّونَ الْعَذَابَ.

حوار التابع و المتبوع:

[٣٨] لأن هؤلاء كانوا مستكبرين، لذلك كانوا يفتخرون بأنسابهم و بعشيرتهم، و بالسابقين من آباءهم و كبرائهم، و حين اجتمعوا في النار ببعضهم، كان بين التابعين و المتبوعين منهم حوار نافع لنا.

قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَّمٍ قَدْ خَلَّتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنَّ وَ الْبَائِسِ فِي الدَّارِ كُلِّهَا دَخَلَتْ أُمَّهُ لَعَنَتْ أُخْتَهَا بِالرَّغْمِ مِنْ أَنَّ الْأُمَّمَ الْآخِرَةَ تَعْتَمِدُ عَلَى الْأُمَّمِ السَّابِقَةِ فِي الدُّنْيَا، لَكِنَّا فِي

الآخره و لوضوح الحقائق عندهم جميعا يلعن بعضهم بعضا..

حَتَّىٰ إِذَا آذَرْتُمُوهَا فِيهَا جَمِيعًا أَي اجتمعوا إلى بعضهم، و أدرك بعضهم بعض.

قَالَتْ أَخْرَاهُمُ أَي تلك الأمم المتأخر.

لِأَوْلَاهُمْ، رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ لِأَنَّهُمْ أَضَلُّوا و سنوا سنه سيئه، فسرنا عليها فهم يستحقون ضعفا من العذاب.

قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٍ لِّأَوْلِيَّتِكَ بِسَبَبِ أَسْبَقِيَّتِهِمْ بِالْكَفْرِ، لِأَنَّهُمْ سَنُوا تِلْكَ الْعَادَاتِ السَّيِّئَةَ، و روجوا لتلك الأفكار الباطله، و كل من يدعو إلى فكره باطله فله عذاب من يعمل بها.

أما أنتم فعليكم ضعف من العذاب، لأنكم اتبعتم أولئك من دون سلطان من الله أنزل عليكم، فالذى يعمل السيئه بسبب شهواته عليه من العذاب بقدرها، أما من يعملها تقليدا لغيره فعليه بالاضافه الى عذابها عذاب التقليد الباطل، لأنه يحرم شرعا أن تتبع أحدا من دون الله، فان اتباعتك له شرك و ضلاله بذاته، إنه كفران بنعمه الحريه، و تحطيم لكرامه الله عليك.

وَ لَكِنَّ لَا تَعْلَمُونَ [٣٩] و السابقون أجابوا أتباعهم بأنهم لم يزيدوهم باتباعهم شيئا، فما الذى انتفع به فرعون من اتباع ملوك مصر له، و ما الذى انتفع به هتلر من اتباع حكام

لبلاذ الإسلاميه له ولأساليبيه؟ لا شىء.

وَ قَالَتْ أُولَاهُمْ لِأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ إِنَّ الْعَذَابَ الَّذِي يَذُوقُهُ الْكُفَّارُ إِنَّمَا هُوَ بِسَبَبِ مَا كَتَبُوهُ مِنْ أَعْمَالٍ، لَا بِسَبَبِ هَذَا الشَّخْصِ أَوْ ذَاكَ.

ص: ٣١٣

إشاره

إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ (٤٠) لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ (٤١) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٤٢) وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جِئْنَاَتْ رُسُلًا رَبَّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَنْ تُلَكُمُ الْجَنَّةَ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٤٣)

اللغه

٤٠[سم]:الثقب.

[الخياط]:الإبره.

٤١[مهاده]:الوطاء الذى يفترش.

[غواش]:الغواش جمع غاشيه و هو كل ما يغشاك أى يستره.

٤٢[غل]:الفعل الحقد الذى ينفذ بلطفه الى صميم القلب،و منه الغلول و هو الوصول بالحيله الى دقيق الخيانه.

هدى من الآيات:

فى الدرر السابق. ذكرنا القرآن بسفاهه الاستكبار، و فى هذا الدرر يبين لنا جزاء الاستكبار، الذى هو فى الواقع متصل بطبيعه الاستكبار.

التكذيب بالآيات، و الاستكبار عنها معناه الخلود الى الأرض، و الاعتقال فى السجون الماديه، و لذلك لا يعرج المستكبر فى سماء التقرب الى الله، و لا- يخلق فى أجواء المعرفه و الكمال، و كأن أبواب السماء مغلقه فى وجهه، أما الجنه فى الآخره فإنها مغلقه دونهم و يستحيل عليهم دخولها، كما يستحيل ولوج الجمل بضخامته فى ثقب المخيط.

إن ذلك جزاء المجرمين بسبب جريمتهم التى ارتكبوها، أما منزل هؤلاء فى جهنم فأرضها من نار، و سقفها من لهيب و دخان، و هذا جزاء من يظلم نفسه.

و فى الطرف الثانى: المؤمنون الذين يعملون الصالحات حسب طاقتهم و وسعهم

يدخلون الجنة و يدخلون فيها. و أبرز نعمه يسبغها الله عليهم هي نعمه الراحة النفسيه، و الصفاء بين بعضهم، حيث ينزع الله ما في صدورهم من غلّ و حسد و نفاق، أما النعمه الثانيه فهي: الأنهار التي تجرى من تحتهم، و النعمه الثالثه هي: رضاهم و تحقيق طموحاتهم، و شكرهم لربهم و شكر الله لهم، حيث يناديهم بأن الجنة إنما هي ميراث اكتسبوه بأعمالهم.

بينات من الآيات:

كيف يخسر المستكبرون

[٤٠] إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَ اسْتَكْبَرُوا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ زَاعِمِينَ ان التكذيب. يخدم ذواتهم، و يشجع إحساسهم بالعلوّ و العظمه خسروا مرتين: مره حين سدّوا على أنفسهم بسبب التكذيب أبواب الرحمه، و آفاق العلم، و رحاب الحياه، إذ أن التكذيب كان معتقلا حصينا سجنوا أنفسهم بين جدران الضخمه المرتفعه، و الشرط الأول للاتصال بالحياه هو معرفتها، و بعد المعرفه يسهل تسخير الحياه لأهداف البشر، و الذى لا يعترف بالمعرفه، و يكذب بآيات الحقيقه، بل لا يعترف بأن هناك واقعا عليه أن يوفق نفسه و اعماله حسبه، كيف يتسنى له تسخير الحياه؟! من منا يكفر بالحياه، و يهدم على نفسه السلالم التي لا بد أن يتسلقها، و الخساره الثانيه انهم يخسرون مكانهم فى الجنة، و يدخلون النار.

ان التعبير القرآنى يسمو الى منتهى اللطف و الدقه حيث يقول:

لَا تُفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ ثُمَّ ان البشر يسمو بمعنوياته و بدعائه و بإيمانه و بإرادته و برؤيته البعيده، و كل

ذلك مسلوب ممن يكذب بآيات الله، لأنه لا يعترف بالله ولا يريد الايمان به.

إن أبواب السماء مفتوحه أمام أعمال المؤمنين و دعواتهم، بعكس الكفار.

و يأتي القرآن ليبيّن الخساره الثانيه فيقول:

وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلَيَّحَ الْجَبَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَ لَآنَهٗ مَسْتَحِيلٌ أَنْ يَدْخُلَ الْجَمَلُ بَضَخَامَتِهِ فِي ثَقْبِ الْمَخِيطِ لَصِغَرِهِ، فَإِنْ دَخَلَ الْجَنَّةَ هُوَ الْآخِرُ غَيْرُ وَاقِعٍ.

وَ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ فَلَيْسَ ذَلِكَ فَقَطْ بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ وَ اسْتِكْبَارِهِمْ، بَلْ وَ أَيْضًا بِسَبَبِ إِجْرَامِهِمُ الْعَمَلِيَّ، وَ بِقَدْرِهِ اللَّهُ أَيْضًا وَ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ.

[٤١] محل هؤلاء النار، حيث يستقرون في جهنم و فوقهم ظلل من اللهب و الدخان، تغشاهم و تسترهم.

لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَ مِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ بِظُلْمِهِمْ وَ بِقَدْرِ ذَلِكَ الظلم.

و حسبما يبدو لى: إن الجمل الاعتراضيه فى القرآن كالتى سوف تأتى فى الآيه التاليه و هى (لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْرَئِهَا) إنها و الجمل النهائيه مثل آخر الآيتين الأخيرتين و ما أشبهه هى إشارات الى الفطره البشريه التى يهدى إليها العقل، و يذكر بها الوحي، و تبنى عليها شرائع السماء جميعا، فالجريمه و الظلم قبيحان و جزاؤهما يجب أن يكون شديدا، و المستكبر المكذب بآيات الله. مجرم ظالم، و هذه

عاقبه المؤمنين

[٤٢] تلك كانت عاقبه المكذبين الظالمين، فما هي عاقبه المؤمنين الصالحين؟ أولا: هؤلاء لا يكلفون فوق طاقتهم، فليس الايمان أو الواجبات شيئا شاقا حسبما يوهم الشيطان للبشر، بل هو عمل ميسور.

ثانيا: ان مصير الايمان و الصلاح الجنه و الرضوان، و صاحب الايمان و الصلاح هو صاحب الجنه و الرضوان، ذلك حق لا ريب فيه.

وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ [٤٣] ثالثا: أن الايمان بالله هو مثل للخروج من معتقل الذات الى رحاب الحقيقه، و من نتائج الاوليه الواقعيه في الرؤيه، و أن يرى الشخص نفسه، و يرى الآخريين معه، فلا تضيق نفسه بما أنعم الله عليهم، و لا ينافق معهم، و لا يسلب منهم نعم الله أو يحب ذلك و يعلم أن فضل الله على أي أحد يتناسب و طبيه نفسه، و مقدار عمله، و حكم الله في الحياه، فاذا لماذا الحقد و الحسد؟ و لماذا الفسق و التزوير و النفاق؟ هذه الصفه تنعكس في الآخره على شكل مؤانسه و صفاء بين قلوب المؤمنين.

وَ نَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ الرضا من نعم الله على المؤمنين في الجنه، فهم كما رضوا في الدنيا بما قسم الله عليهم و أسلموا لربهم، راضون في الآخره لأنهم رأوا عاقبه عملهم الصالح.

وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ إِذَا فَهِيَ نِعْمَةٌ كَبِيرَى لَا يَبْلُغُهَا الْفَرْدُ بِنَاتِهِ، بِلِ بِاللَّهِ سُبْحَانَهُ، وَ
مِنْ هُنَا يَسْتَوْجِبُ الْمَزِيدَ مِنَ الشُّكْرِ، وَالْمَزِيدَ مِنَ الْحَمْدِ وَالرِّضَا.

لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلٌ رَبَّنَا بِالْحَقِّ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِهَذَا الْحَقِّ فِي الدُّنْيَا إِيمَانًا غَيْبِيًّا، وَهَاهُمْ يَرُونَهُ عَيْنَ الْيَقِينِ أَمَامَهُمْ، وَكَمَا أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ
يَشْكُرُونَ رَبَّهُمْ، فَإِنَّ اللَّهَ يَشْكُرُهُمْ وَيَشْعُرُهُمْ بِأَنَّ أَعْمَالَهُمُ الصَّالِحَةَ هِيَ الَّتِي أُوجِبَتْ لَهُمْ هَذَا الْفَضْلَ الْعَظِيمَ، وَبِهَذَا يَزْدَادُونَ
إِحْسَاسًا بِالرِّضَا وَالْإِعْتِرَازِ، إِذْ فَرَقَ بَيْنَ أَنْ تَحْصَلَ عَلَى نِعْمَةٍ صَدْفَةً أَوْ تَخْطُطَ لَهَا وَتَتَعَبَ نَفْسُكَ، فَتَصِلَ إِلَيْهَا بِجَهْدِكَ.

وَنُودُوا أَنْ تِلْكَ الْجَنَّةُ الْعَظِيمَةُ الْوَاسِعَةُ النِّعَمِ.

أَوْرِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ فَأَعْمَالِكُمُ الصَّالِحَةُ هِيَ الَّتِي جَعَلْتَكُمْ تَمْلِكُونَ هَذِهِ الْجَنَانَ إِرْثًا حَلَالًا.

ص: ٣٢٠

إشاره

وَنَادَى أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ (٤٤) الَّذِينَ يَصِيدُونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ (٤٥) وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سِئَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ (٤٦) وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٤٧)

اللغه

٤٦[الأعراف]:الأمكنه المرتفعه،و العرفاء من الناس أعلاهم منزله،و العريف الشرطى.

الذين يصدّون عن سبيل الله

هدى من الآيات:

فى صورته حوار يجرى مستقبلا بين أصحاب الجنة و أصحاب النار، يجسد القرآن الحكيم حقائق الحاضر، و أبرزها أن ما يقوله الله حق، و أن لعنه الله على أولئك الذين يظلمون أنفسهم فلا- يستجيبون للحق، بل يصدّون الناس عن سبيل الحق، و يحرفون السبيل ليضلوا الناس و هم يكفرون بالآخره.

بين الجنة و النار مرتفع من الأرض أشبه ما يكون بسور يقف عليه أئمه الصلاح، الذين يعرفون المؤمنين و الكافرين بسيماهم، و ينادون أصحاب الجنة و يسلمون عليهم. و يأذنون لهم بدخول الجنة، و قد استجيبت كل طلباتهم، فلا يطمعون فى شىء آخر.

بينما لا ينظرون إلى أهل النار، إذا صرفت أبصارهم تلقاء جهنم فزعوا من هول جهنم، و خافوا ان يصبحوا من أهل النار من شدة فزعهم، و قالوا: رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ .

إن هذا الدرس يتابع فكره الدروس السابقة التي هي تصوير للحقائق، لعل البشر يخرج من وقوعه ذاته إلى رحاب الحقيقة.

بينات من الآيات:

كيف تذكر الحقيقة

[٤٤] لكي يتغلب البشر على مشكله النسيان في ذاته، و يتمكن من تذكر الحقائق التي يهتدى إليها بعقله، و يحيط بها علمه، و بالتالى لكي يشاهد بأحاسيسه و ببصيرته الحقائق القادمة، فعليه أن يتسلح بالتصور، و تجسّد الحقائق امامه يقرب بالخيال واقعيات المستقبل التي لا يعلم بها إلا رمزا.

مثلا: الجندي الذي يتدرب في المعسكر، و الذي يعلم انه سوف يخوض في المستقبل معركة المصير، و أنه لو تدرب جيدا فسوف يتغلب فيها و إلا فلا. على هذا الجندي أن يتصور أبدا ساحة المعركة، و مدى المكسب فيها عند الانتصار، و مدى الضرر عند خسارتها، و كذلك الباحث في مكتبه، و العامل في مصنعه، و المدير في دائرته، كل أولئك لو فكروا في مستقبل أعمالهم، و تذكروا ذلك المستقبل إذا عملوا أفضل و أفضل.

و القرآن الحكيم يصوّر لنا المستقبل في صورته حوار بين المؤمنين و الكافرين، و هذا الحوار يتم بشكل مناداه فاذا بالقشور السميكة التي تحيط بقلوبنا تنفتت بفعل هذا الصوت المخترق.

وَ نَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ فما دام كلام الله حقا، و وعده صدقا، فلما ذا التكذيب به؟! و لماذا الامتناع عن

الاستجابة له وفيه منفعه؟! إن ذلك ظلم عظيم، ورحمه الله تتمثل في جنته، و توفيقه بعيد عن الظالم..

و سوف نتحدث إنشاء الله عن المؤذن الذى نتصور أنه هو صاحب الأعراف الآتى ذكره.

ظلم النفس و المجتمع:

[٤٥]الظالم لا يبقى فى حدود ظلمه لنفسه.بل أنه سوف يظلم الناس أيضا، و سوف يدعو الناس الى منهجه الباطل، و يقف عقبه امام توجه الناس الى الله، بل و لا يدع الناس يعملون الخير.

الَّذِينَ يَصُودُونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ [٤٦] وَ بَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَ بَيْنَ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَ النَّارِ حِجَابٌ، وَ الْحِجَابُ فِي الْآخِرَةِ تَعْبِيرٌ عَنِ الْحِجَابِ فِي الدُّنْيَا بَيْنَ الْمُؤْمِنِ وَ الْكَافِرِ، ذَلِكَ هُوَ الْفَرْقُ بَيْنَ فَرِيقَى الْمُؤْمِنِينَ وَ الْكَافِرِينَ، وَ اخْتِلَافُ جِهَتَيْهِمَا، حَيْثُ إِنَّ الْمُؤْمِنَ الَّذِى لَا يُؤْمِنُ بِهَذَا الْحِجَابِ يَشْكُ فِي إِيمَانِهِ.

و بالرغم من اختلاط الناس ببعضهم فى الدنيا فهم فى الآخرة مختلفون جدا، و بين الجنة و النار أعراف، و هو مرتفع من الأرض يفصل بين الموقعين؛ و يجلس عليه رجال معينون أهم ميزه فيهم هى: معرفتهم التامه بالناس.

وَ عَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ وَ يَبْدُو أَنَّ هَذِهِ الْفِئَةُ هُمُ الْقَدَوَاتُ وَ الْأَيْمَةُ الَّذِينَ يَمَيِّزُونَ بَيْنَ الْحَقِّ وَ الْبَاطِلِ، وَ صِفَاتُ أَهْلِهِمَا، وَ بِالتَّالِيِ يَعْرِفُونَ كُلًّا مِنْهُمَا، هَذِهِ الْفِئَةُ هُمُ الْقَادَةُ الْمُؤْمِنِينَ فِي

الدنيا، و في الآخرة قاده الناس جميعاً، فهم يميّزون هناك كما في الدنيا بين الطائفتين، وهؤلاء يعطون للمؤمنين الإشارة الخضراء لدخول الجنة.

و نَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ و حين يدخل المؤمنون الجنة، تملأ الجنة كل طموحهم و تطلعهم.

لَمْ يَدْخُلُوهَا وَ هُمْ يَطْمَعُونَ [٤٧] و يبقى هؤلاء الائمة متوجهين في الأكثر إلى أهل الجنة، و إذا توجهت نظراتهم إلى أهل النار مره واحده أفرعتهم النار بما فيها من أنواع العذاب، و طلبوا من ربهم نجاتهم منها.

وَ إِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ

ص: ٣٢٥

وَ نَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ (٤٨) أَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَدْرَأُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمِهِ أَدْخَلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ (٤٩) وَ نَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهَا عَلَيَّ الْكَافِرِينَ (٥٠) الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَ لَعِبًا وَ غَرَّتُهُمُ الْغِيَاةُ الدُّنْيَا فَاَلْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَ مَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ (٥١) وَ لَقَدْ جِئْتَهُم بِكِتَابٍ فَصَّلْنَا عَلَيْهِ عِلْمَ هُدًى وَ رَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٥٢) هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شَفْعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلْ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَ ضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (٥٣)

الذين اتخذوا دينهم لعبا

هدى من الآيات:

فى جو النداء الصارخ و مع الحوار الساخن يذكرنا السياق القرآنى بذات الحقائق التى يذهل عنها الناس و هم يصارعون المشاكل اليوميه، أولئك الناس الذين يعتمدون على العشيره و الحزب و الزملاء.

و لذلك فهم يستكبرون عن الحقائق و لكن عند الله لا يغنى كل ذلك عنهم شيئاً، و قد يستصغر البشر المؤمنون لقله عددهم و ضعف عدتهم، و يحلفون بالله أنهم منبوذون عنده، و لكن الله يدخل هؤلاء الجنة، و هناك يطفق أولئك المستكبرون المعتمدون على كثره العدد و العده بالسؤال من المؤمنين أن يعطوهم الفائض من مائهم، و الفتات من نعم الله عليهم و لكن هيهات.

إن الكفار الذين حرّموا على أنفسهم نعمه الدّين، و اتخذوه أداه للتسليه، و استهانوا به، و انبهروا بعاجل الدنيا. إنهم حرّموا على أنفسهم بذلك نعم الآخره

أيضاً، إن الله ينسأهم هناك كما نسوا الآخرة، و كما أنكروا آيات الله الدآله على الحقائق.

و الله لم يقصير فى هدايه الناس حتى يحتجوا عليه يوم القيامة، بل جاءهم بكتاب مفصل و مبين فى كافه حقوق الحياه، خلفيته العلم و معرفه، و هدفه التوجيه و الهدايه، و نهايته السعاده و الرحمه، بينما الكفار ينتظرون تطبيق آيات الكتاب عمليا حتى يؤمنوا به، و آئذ لا ينفع الايمان.

بينات من الآيات:

التصور أجنحه الحقيقه:

[٤٨] فى يوم القيامة حين ينشغل الجميع بأنفسهم، يتفرغ أصحاب الأعراف و هم أئمه المتقين لمحاسبه الناس و استرجاع ذكريات الماضى.

وَ نَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ أَي ملامحهم التى تتأثر بالعذاب، و تمسخ عن الانسانيه الى صور مفزعه.

قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ أَي ما الذى أفادتكم الجماعه التى اعتمدتم عليها، و زعمتم انها ستنفعكم فى أوقات العسر و الشده فأين هم الآن! وَ مَا كُنْتُمْ تَشِيْتَكِبُرُونَ أَي أين ذلك الغرور الذى جعلكم تستكبرون به، أين القوه و أين الشباب و أين المال و أين الصحه؟ و بالتالى أين تلك الماديات الزائفه التى غرتكم، و جعلتكم تتناولون على الحقيقه، و تحسبون أنفسكم فوق الحق، و أعلى من القيم!؟

ص: ٣٢٩

إننا إذ نتصور ذلك اليوم، و تلك الساعه التي يخاطب أصحاب الأعراف واحدا منا إذا كان مستكبرا- لا سمح الله-لنعود و نرتب أوراقنا من جديد، و نساءل عما إذا كنا في ذلك اليوم غير قادرين على التوبه، أو على العوده إلى الحياه للتوبه، فما دنا نملك فرصه الحياه إذا دعنا نتوب الى ربنا، و نصلح أنفسنا و نتقرب الى أصحاب الأعراف الذين مثلهم بيننا مثل الأنبياء بين أقوامهم، يعرفون ملامح المؤمنين و ملامح الكفار، و يتضرعون الى الله لإصلاح الناس بعد صلاح أنفسهم، نتقرب إليهم و نستمع الى نصائحهم التي تشبه نصائح الطبيب الذي يكشف المرض، و يعرف ملامح المريض لعل ذلك يؤثر في مصيرنا، و مره أخرى، أقول: دعنا نتصور ذلك الموقف الرهيب، فان التصور أجنحه الحقيقه التي تجعلك تلامس الواقع المستقبلي، و ترى الغيب البعيد.

[٤٩] و ينظر أصحاب الأعراف الى أهل الجنة، و يسألون أهل النار.

أَهُؤْلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ و حلفتُم زورا و كذبا، و تماديا في غروركم و استكباركم.

لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ هذِهِ رَحْمَةُ اللَّهِ تَغْمِرُهُمْ، ثم يخاطبون المؤمنين:

أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَ لَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ فعلى الإنسان ألا يزعم أن تأكيده و حلفه يغير الحقيقه، بل يفضحه أكثر فأكثر، فهناك يستبد به الخوف على مستقبله و الحزن على ماضيه.

[٥٠] و يكون مصير الكافر بالحقيقه الاستجداء من المؤمنين، الذين كان إيمانهم

بها سببا لحصولهم على الجنة، و تسخيرهم إياه لنعمه.

وَنَادَى أَصْحَابُ الدَّارِ الْأَرْضِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ [٥١] الكافرون لم يتحركوا عبر المنهج المرسوم بل و استهزءوا به أيضا، فبدل أن يزرعوا أحرقوا و بدل أن يبنوا هدموا و بدل أن يسيروا على الطريق أحرقوا معالمة كل ذلك جعلهم يعضون أناملهم حين الحصاد، و يفترشون الأرض و يلتحفون السماء و يضلون الطريق.

الدين منهج حياة:

[٥٢] الدين منهج حياة يهديك الى العمل الصالح فى الدنيا الذى يتجسد فى الآخرة نعيما مقيما، إنه أرض خصبة تزرعها و تأخذ نتاجها حين حصادها، و معالم على الدرب تعمل على هداها حتى تبلغ غايتك.

و من الناس من يتخذ الدين لهوا يعمل به دون هدف، أو حتى لعبا يضعه حسب مشتهياته، فانه آئذ لا ينتفع بالدين، و هو بالتالى لا يحصل نتائج.

الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَ لَعِبًا أَمَا قِيَادَهُ هَؤُلَاءِ فِيهِ بِيَدِ أَهْلِ الدُّنْيَا، لَأَنَّ الدُّنْيَا قَدْ اسْتَعْبَدَتْهُمْ.

وَ عَرَّتْهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِنْ هَؤُلَاءِ يَنْسَوْنَ مُسْتَقْبَلَهُمْ وَ يَخْتَصِرُونَ حَيَاتِهِمْ فِي حُدُودِ الْحَاضِرِ.

فَالْيَوْمَ نَنْسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا

من ينسى يوم الحصاد ينساه الناس فى ذلك اليوم، لأنه قبلئذ كلما قالوا له: ازرع لم يسمع، و جحد بآيات الله.

وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ

قيمه العقل:

[٥٣]قيمه العقل الاساسيه انه يرشدك الى الحقائق المستقبلية،و يجعلك تتجنب المشكلات و الصعوبات قبل وقوعها،و الرشيد حقا هو:الذى يتنبأ بالمستقبل،بينما الغبى حقا هو:الذى لا يعترف إلا بالواقع الحاضر،فاذا قيل:إن هذا الجدار يريد أن ينقض،اتكأ عليه و قال:اننى لم أهدم الجدار،و حين ينهدم الجدار سأقوم عنه، و لكن إذا أنهدم الجدار هل يبقى له اختيار؟كلا..

كذلك المؤمنون و الكفار،أولئك يعقلون المستقبل و يتنبئون به،و يعملون وفق الرشاد الذى يهديهم اليه العقل،بينما هؤلاء ينتظرون وقوع الحقائق و حضورها عندهم،و هذا ما يسميه القرآن بالتأويل،أى عاقبه الأمر و ما يؤول اليه،و بعد التأويل و حضور المستقبل لا- ينفع العلم به شيئا،إذ آتئذ حتى الحمار يراه!! هَيْلٌ يَنْظُرُونَ إِلَّا- تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلْ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ إن انتظار الشفيع،أو العوده الى الماضى هو نوع من الغباء أيضا،إذ كيف بينى الله الحكيم الجزاء على أساس عمل الآخرين،و ليس على أساس عمل الشخص ذاته مباشرة أو غير مباشرة؟!و كيف يعود الماضى؟! إن للإنسان فرصه واحده فقط هى مده عمره،فاذا انقضى أجله،و لم يستفد من الفرصه ضاعت عليه نفسه و الى الأبد.

ص:٣٣٢

قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ إِنْ نَفْسُكَ مَقْسَمُهُ عَلَى سَاعَاتِ عَمْرِكَ، فِكَلِمَا ضَيَعْتَ سَاعَهُ أَكَلِ النَّدَمِ جِزءً مِنْ نَفْسِكَ.

أما الباطل الذي لا يستمد وجوده و شرعيته من الحق و الواقع، فانه يضل كما السراب في الصحراء، إن تصوراتك تعتمد على وجودك فاذا خسرت نفسك فهل تنفع تصوراتك و خيالاتك؟ فالسعى مردود، و الجهد خائب، و هذا و ذاك في ضلال مبين.

وَ ضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ

ص: ٣٣٣

إشاره

إِنَّ رَبُّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٥٤) اُدْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (٥٥) وَلَا تَفْسُدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (٥٦)

اللغه

٥٤[حثيثا]:الحثيث السريع.

٥٥[تضرعا و خفيه]:التضرع التذلل و هو إظهار الذل،و الخفيه الإخفاء.

يستنزّل المحسنون بركات الله

هدى من الآيات:

فى الدروس السابقه تذكره بمصير المؤمنين و الكافرين، و حان الآن وقت توجيه القلوب الى الله الذى لو عرفه البشر لصلحت سريره و علانيته، و معرفه الله تتم بآياته المنتشره فى السماء و الأرض، فهو الذى أبدع السماوات و الأرض، و كلما توسع العلم فى السماء أو تعمق فى الأرض، كلما ازداد معرفه بالله و بعظمته، لقد خلق الله الخلق فى ستة أيام علامه لقدرته و سيطرته التامه و المستمره على الخلق، و الدليل على ذلك: ان الله يدبر أمور الكون، و هو الذى يجعل الليل يغشى النهار و يلاحقه باستمرار، و هو الذى يسخر الشمس و القمر و النجوم فى أمرها و يجبرها على الطاعه، ذلك لأنه خلق الخلق فى البدء و أجرى أمور بصفه مستمره، لذلك فهو واسع المقدره، مبارك تنمو خلائقه و هو رب العالمين.

و على العباد ان يتوجهوا إلى ربهم بالدعاء و التذلل بروح متواضعه، ذلك لأن الله يحب المتذللين له، و لا يحب المعتدين الذين بسبب تكبرهم على ربهم، و عدم تربيه

أنفسهم بالدعاء يعتدون على الناس.

و بسبب معرفه الله، والتذلل له تنمو عند البشر روح الإصلاح، و من دونهما تفسد سريرته و تجنح نحو الإفساد، و الله أصلح الكون بخلقه الصالح و بهداه، و إذا التزم الإنسان الدعاء، و خشى غضب الله، و طمع في رحمته كان صالحا و محسنا.

بينات من الآيات:

من هو الرب و ما هو دور الزمن؟

[٥٤] من هو رب البشر الذى يتوكل عليه و يستلهم منه هدايه و منهجه؟ أنه ليست هذه الأصنام الحجرية، و لا- تلك الأصنام البشرية، الذى خلق السماوات و الأرض، و كانت خلقته متدرجه للخلائق، لذلك فهو ربّ يربّي الأشياء كما يربّي الأشخاص.

إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ رَبِّمَا تَكُونُ الْأَيَّامُ السِّتَّةُ رَمَزًا لِسِتَّةِ مَرَاكِلٍ مَرَاتٍ بِهَا الْخَلِيقَةُ، أَوْ إِشَارَةً إِلَى فِئْرِهِ مِنَ الزَّمَنِ مَمْتَدِهِ وَ مَتَدْرَجِهِ، وَ بِالتَّالِي إِشَارَةً إِلَى دُخُولِ عِنَصْرِ الزَّمَنِ فِي ذَاتِ الْأَشْيَاءِ، أَوْ تَكُونُ تَوْجِيحًا إِلَى نَقْصِ الْأَشْيَاءِ أَوْ تَطَوُّرِهَا نَحْوَ الْكَمَالِ وَفِي سَنَةِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَ بِأَمْرِهِ، إِلَّا أَنَّ الْفِكْرَةَ الَّتِي نَسْتَوْجِيحُهَا مِنَ الْأَيَّامِ السِّتَّةِ فِي الْخَلِيقَةِ هِيَ: أَنَّهَا بِحَاجَةِ إِلَى تَرْبِيَةِ اللَّهِ وَ حَسَنِ تَوْجِيحِهِ، وَ الَّذِي رَبِّي الْخَلَائِقِ أُحْرَى بِهِ بِأَنْ يَتَّخِذَ رَبًّا لِلْبَشَرِ.

ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ فَبَعْدَ أَنْ خَلَقَ الْخَلْقَ لَمْ يَنْتَهَ إِشْرَافُهُ عَلَى الْكُونِ، كَمَا يَصْنَعُ أَحَدُنَا السَّاعَةَ وَ يَكُونُهَا فَتَتَحَرَّكُ مِنْ دُونَ إِشْرَافٍ لَهَا عَلَيْهَا، كَلَّا.. إِنْ رَبَّنَا اسْتَوَى عَلَى عَرْشِ السُّلْطَانِ وَ التَّدْبِيرِ، وَ أَخَذَ يَجْرِي تِلْكَ السَّنَنِ الَّتِي وَضَعَهَا فِي الْخَلَائِقِ بِعِلْمِهِ وَ قُدْرَتِهِ.

يُغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَيْثُ فَالليل لا يغشى النهار بصوره طبيعیه، بل الله هو الذى يجعله يغشى النهار و يلاحقه بإصرار.

وَ الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ وَ النُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِ ذَلِكَ الأمر المتجسد كل يوم و كل ساعه و لحظه.

أَلَا لَهُ الخَلْقُ وَ الأَمْرُ الخلق الأول و الأمر المتجسد.

بِمَبارَكِ اللهُ رَبُّ العالمينَ اللهُ مبارك لأن رحمة مستمره و متناميه، و مبارك لأن خلقه فى تكامل، و مبارك لأنه رب العالمين، فهو الذى يعطيه القدره و التطور و الرحمه.

الدعاء مصنع الإنسان:

[٥٥] و لكن أى رب ندعو؟ الله أم الأصنام؟ اذُعُوا رَبَّكُمْ انه ربكم غير تلك الآيات المخلوقه، و ليكن دعاؤكم من أجل خروجكم من غلظه الأنانيه الى رقه الضراعه، و من فقر الاستكبار و ذل المعصيه الى غنى العباده و عز الطاعه.

إن الإنسان يولد- كما زبر الحديد- فيحتاج الى صقل، و الدعاء هو: ذلك

ص: ٣٣٧

المبرد الذى يصقل النفس الانسانيه، لأن الدعاء يولد فى القلب إحساسا بالنقص، و ثقته بإمكان التغلب عليه، و الدعاء يعرّف الفرد بمواطن ضعفه و ضروره جبرانها، و الدعاء يجعلك واقعا تعترف بجدواك، لذلك فهو أفضل وسيله لكبح شهوه الاعتداء على الآخرين و البطش بهم.

تَضَرُّعًا وَ خُفْيَةً التضرع لكى يكون الدعاء واقعا، و لاصلاح الذات، و لعلاج داء الاستكبار و مرض الفخر و العزه بالإثم، اما الخفيه فلأجل ألا يصبح الدعاء رياء، و بالتالى تكريسا لمرض التكبر و الفخر.

إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ الَّذِينَ بسبب عدم تضرعهم لله و خضوعهم لعظمته يجنحون نحو الاعتداء على الآخرين، و بدل إصلاح أنفسهم بالطريقه السليمه فهم يحاولن تعويض نواقصهم عن طريق الظلم و اغتصاب حقوق الآخرين، أو يحاولون تعويض شعورهم بالنقص بالاستكبار على هذا أو ذاك.

إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ :

[٥٦] الاحساس بالمحبه للحياه، و بضروره إصلاحها هو الشعور المنبعث من الخضوع لله، و الدعاء اليه تضرعا و خفيه، و بالتالى فانه انعكاس ايجابى للايمان بربوبيه الله سبحانه، و محاوله تقليد هذه العلاقه (علاقه الربوبيه) فيما يتصل بتعامل البشر مع الحياه، فكما ان الله يرحم العباد، و يخلق الأشياء و يسخرها، و يتسلط عليها من أجل اجراء السنن الاخيريه عليها، و من أجل تكميلها و إنزال بركته عليها، كذلك عليه ان يتقمص صفه الخلق و البناء و الإصلاح لا صفه

الاستهلاك و الهدم و الإفساد.

وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَالسُّؤَالُ هُوَ: كَيْفَ نَنمَى فِي أَنْفُسِنَا صِفَةَ الْإِصْلَاحِ؟ الْجَوَابُ: عَنْ طَرِيقِ دَعَاءِ اللَّهِ، وَالْمَزِيدُ مِنَ التَّقَرُّبِ إِلَى اللَّهِ.

وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا خَوْفًا مِنْ عَذَابِهِ وَ سَلْبِ نَعْمِهِ، وَ طَمَعًا فِي الْمَزِيدِ.

إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ الَّذِينَ دَابَّهَمَ لَيْسَ فَقَطْ إِصْلَاحُ الْحَيَاةِ، بَلْ إِصْلَاحُ النَّاسِ أَيْضًا، وَالْعَطَاءُ مِنْ أَنْفُسِهِمْ لَهُمْ، إِنْ الْخَوْفُ وَالطَّمَعُ مِنَ اللَّهِ يَخْلُقُ فِي الْبَشَرِ صِفَةَ الْإِحْسَانِ إِلَى بَعْضِهِمْ أَكْثَرَ مِنْ أَكْثَرِ.

ص: ٣٣٩

اشاره

وَ هُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقِّتَاهُ لِيَلْبُدَ مِنِّي فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٥٧) وَ الْبَلَدَ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ بِأُذُنِ رَبِّهِ وَ الَّذِي حَبِثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا كَذَلِكَ نُصَيِّرُهُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ (٥٨) لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (٥٩) قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٦٠) قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَالَةٌ وَ لَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٦١) أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَ أَنْصِيحُ لَكُمْ وَ أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٦٢) أَوْ عَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَ لتُنقُوا وَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (٦٣) فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَاهُ وَ الَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَ أَعْرَفْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ (٦٤)

اللغه

٥٧[أقلت]:الإقلال حمل الشيء بأسره حتى يقل في طاقه الحامل له بقوه جسمه.

٥٨[نكدا]:النكد العسير الممتنع من إعطاء الخير على وجه البخل.

إشاره

و بصائر التاريخ

هدى من الآيات:

لكى نفهم علاقه الربوبيه التى تسود بيننا و بين خالقنا، تلك العلاقه التى تعنى ان الله يتابع نعمه علينا، و يبارك لنا، و يكمل حياتنا، لكى نفهم تلك العلاقه و نستفيد منها علميا و عمليا لا بد أن نلقى نظره على الطبيعه، و نظره الى التاريخ، فمن الطبيعه نستوحى التطور المادى الذى يباركه الله، و فى التاريخ نتبصر آثار التكامل الاجتماعى و المعنوى.

للنظر الى المطر، كيف يرسل الله الرياح مبشرات بالربيع و الرخاء، و لتحمل السحاب المليه بالماء و تساق من قبل الله الى بلد ميت، فاذا بالماء يحيى الأرض و يخرج نبات كل شىء، و هكذا كما فى الربيع عند ما يحيى الله الأرض و يبعث فيها الحياه، كذلك فى يوم القيامه يخرج الله الموتى، و القضييه بحاجه الى تذكر و تفهم.

بيد أن إنزال المطر لا يعنى الحياه، بل يجب أن تكون الأرض مستعده لتقبل

النعمة و الاستجابة لها، فالأرض الطيبة تخرج نباتها بإذن الله، أما الأرض الخبيثة فان نباتها يخرج نكدا، كذلك آيات الله التي أنزلت على الرسل بحاجه الى أرضيه مناسبه لدى الإنسان حتى يستفيد منها، تلك الارضيه هي أرضيه الشكر و الاستجابه، و إلا فلا تنفع و هذا أعظم درس نستفيده، من النظر الى التاريخ، فلقد أرسل الله نوحا الى قومه، حيث دعاهم الى عباده الله، و حذرهم من عذابه العظيم، بيد أن قومه اتهموه بالضلاله، فنفى عن نفسه الضلاله و بين لهم أنه رسول من رب السماوات و الأرض، و أنه جاء لينصحهم لأنه يعرف من دونهم تعاليم السماء، و كيفيه الاستفادة منها، ثم بين لهم أنه لا عجب في أن يرحم الله عباده، لأنه ربهم الذى ينزل عليهم بركاته دائما، و يزيد لهم التكامل و التطور، و أن رساله الله تهدف الاستفادة من الإنذار لكل البشر معنويا بالتقوى، و ماديا بالرحمه.

بيد أن تكذيب الناس لنوح و رسالته سبب غضب الله لهم، لأنهم كانوا قوما عمين عموا عن الحق و ضلوا فأضلوا.

بينات من الآيات:

الاداره الحكيمه و القدره المهيمنه:

[٥٧] القرآن الحكيم يلفت نظر البشر الى الطبيعه الزاخره بالحيويّه و الجيشان، و انطلاقا من الحقائق الظاهره المشهوره يبلغوا الحقائق الغيبية المعقوله.

الحقيقه المشهوره هي أن الرياح التى تبشر بالمواسم الخيره و تحمل السحاب الثقال، فيسوقها الله الى البلد الميت لينزل منها الماء و يخرج به الثمرات، هذه الحقيقه المشهوره تكشف لنا أمرين:

الأول: أن وراء الطبيعه إراده حكيمه تسيروها.

الثانى: أن تلك القدره المهيمنه على الكون هى التى تخرج الموتى من الأرض و تبعثهم للحساب.

وَ هُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ فَالرياح لا تأتي عفويا، بل يرسلها الله إرسالا، والدليل هو هدفه الظاهر، فالرياح تهدف البشاره برحمه قادمه، و البشاره هدف لا يمكن تحقيقه عبثا، و من دون خطه حكيمه و فعل منظم.

حَتَّىٰ إِذَا أَقْلَتْ سَحَابًا نَقَالًا - سَفْنَاهُ لِبَعْدِ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَاهُ إِلَيْهَا فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنَ تَحْتِ السَّحَابِ الْمَاءَ الْغَدِيقَ يُحْيِي بِهِ الْبَلَدِ الْمَيِّتَ وَ هُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ فَالرياح لا تأتي عفويا، بل يرسلها الله إرسالا، والدليل هو هدفه الظاهر، فالرياح تهدف البشاره برحمه قادمه، و البشاره هدف لا يمكن تحقيقه عبثا، و من دون خطه حكيمه و فعل منظم.

و إذا تبصرنا قدره الله فى الطبيعه آمنا بأن هذه القدره المطلقه الحكيمه هى التى تخرج الموتى للحساب، فلا تبقى عقبه فى طريق إيماننا بالبعث و النشور.

كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ وَ لَكِن لَّا يَمْكِنُنَا أَن نَفْهَمَ حَقَائِقَ الْكُونِ مِنْ دُونِ تَذَكُّرٍ وَ تَبَصُّرٍ وَ رِبْطٍ لِلْحَقَائِقِ بِبَعْضِهَا.

لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ فالتذكر يربط الحقائق، و يستنتج من خلاله المعلومات، و يلقي بالمسؤوليات و الواجبات.

بين البصيره و الاستنباط:

[٥٨] حين يزود الإنسان بسلاح البصيره النافذه و يتذكر يستنبط الحقائق المختلفه، أو بالأحرى الأبعاد المختلفه من الظاهره الواحده، فمن ظاهره السحاب و المطر و إحياء الأرض يتوصل إلى أن نبات الأرض مختلف بالرغم من أن الماء الذى ينزله الله على الأرض واحد، مما يدل على أن استجابته الأرض للماء شرط أساسى لحياء الأرض، كذلك استجابته البشر لرساله الله شرط لانتفاعه بها.

وَ الْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَ الَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا أَي عسيرا و بخيلا.

كَذَلِكَ نُصَيِّرُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ فالذين لا يشكرون النعمه و لا يقدرونها حق قدرها لا ينتفعون بالآيات، كما أن الأرض الخبيثه لا تنتفع بالمواسم الخيره، و فى القصص التاليه عبر كافيه لهذه الحقيقه.

لماذا نوح بالذات؟

[٥٩] لأن الله رب العالمين و رب الإنسان الذى يحب للبشريه التكامل و الرقى، فقد أرسل نوحا الى قومه و لم يرسل غيره، لأنه منهم و أثره فى تطورهم أبلغ، و لم يدع نوح قومه الى نفسه بل الى ربهم الله الذى لا إله غيره.

ص: ٣٤٥

لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ [٦٠] أما الملائة الذين كانوا يستثمرون الجماهير و يتسلطون قهرا عليهم فقد قاوموا رساله الله.

قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ إِنَّهُمْ وَقَفُوا عَقْبَهُ إِمَامَ اتِّشَارِ نُورِ الْهُدَايَةِ بَيْنَ النَّاسِ، فَاتَّهَمُوا نُوحًا بِالضَّلَالَةِ، وَ زَعَمُوا أَنَّهُمْ يَرُونَ ذَلِكَ رُؤْيَاهُ ظَاهِرًا.

[٦١] و نفى نوح وجود أى نوع من الضلاله عنده، و بين لهم انه رسول أرسل إليهم من قبل الرب الذى ينزل بركاته على العالمين.

قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَ لَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ [٦٢] و ينبغى أن يستجيب الجميع لنوح لعهه أسباب:

أولاً: لأنه مبلغ لرسالات الرب، و من الطبيعى أن تكون تلك الرسالات ذات محتوى تكاملى للبشر، لأنها صادرة من ربهم الذى يطورهم الى الأفضل.

ثانياً: لأنه ناصح يعمل فى سبيل رشدهم.

ثالثاً و أخيراً: لأنه أعلم منهم، و علمه مستلهم من الله، و يرتبط بتعاليم الله و شرائعه.

أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَ أَنْصَحُ لَكُمْ وَ أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ [٦٣] و ليس بعيدا أن يبعث الله رسولا لعهه أسباب هى:

أولاً: لأن الله رب الناس الذى ينزل بركاته الماديه المشهوده عليهم فى كل لحظه.

ثانياً: لأن البشر بحاجة الى تذكره حتى يهتدوا و يكتملوا، و الرب يوفر كلما يحتاج البشر إليه.

ثالثاً: لأن الله لا يعذب الناس حتى يبعث سلفاً رسولاً إليهم، فينذرهم، و يوفر لهم فرصه التقوى و الحذر من العذاب، و لكى يوفر لهم بالتالى فرصه الرحمه و الرخاء و الحياه السعيده.

أَوْ عَجِبْتُمْ وَلَا عَجَبَ مِمَّا تَقْتَضِيهِ سُنَنُ الْحَيَاةِ وَ فِطْرَةُ الْبَشَرِ، وَ مِنْ ذَلِكَ..

أَنْ جَاءَكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ عَلِيٌّ رَجُلٌ مِنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَ لِيَتَّقُوا وَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ [٦٤] و لكن مع كل ذلك البيان كذب قوم نوح برسالة الله، و جاءت العاقبه المناسبه للمؤمنين حيث أنجاهم الله، و الكافرين أغرقهم الله لأنهم لم يستفيدوا من نعمه البصيره.

فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَ الَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَ أَعْرَفْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ هَكَذَا تَتَجَلَّى صِفَةُ الرَّبِّيَّةِ فِي قِصَّةِ نُوْحٍ وَ قَوْمِهِ، إِنْ اللَّهُ يَبْعَثُ رِسَالَتَهُ رَحِمَهُ بِالنَّاسِ وَ تَكْمِيلًا لِنَوَاقِصِهِمْ، بِيَدِ انْهَم يَرْفُضُونَ الْإِنْتِفَاعَ بِهَا، كَمَا الْأَرْضُ الْخَبِيثَةُ لَا تَسْتَجِيبُ لِلسَّمَاءِ حِينَ تَبْعَثُ إِلَيْهَا السَّحَابَ الثَّقَالَ.

اشاره

وَإِلَىٰ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ (٦٥) قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنُظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٦٦) قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٦٧) أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ (٦٨) أَوْ عَجِبْتُمْ أَنْ لَجَأَكُمْ بِرَبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَأُذَكِّرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَصِيطَةً فَأذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٦٩) قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٧٠) قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءِ سِمَئِئِمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مِمَّنْ نَزَّلَ اللَّهُ بِهِ مِنَ السَّلْطَانِ فَانْتَضِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنتَضِرِينَ (٧١) فَانجِنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمِهِ مِمَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ (٧٢)

اللغه

٦٦[سفاهه]:السفاهه خفه الحلم،و ثوب سفيه إذا كان خفيفا.

٦٩[آلاء]:الآلاء النعم.

ص:٣٤٨

٧١]رجس[:الرجس العذاب.

ص: ٣٤٩

إشاره

و الأسماء التافهه

هدى من الآيات:

تتكرر قصه نوح بين هود رسول الله و قومه عاد، حيث أمرهم بتقوى الله، و لكنهم اتهموه بالسفاهه، و كادوا يكذبونه، فنفى هود عن نفسه السفاهه، و قال: إنه رسول من الله الذى ينزل بركاته على العالمين، و بين أن ذلك لم يكن بعيدا عن سنن الله، و عن حكمه العقول، إذ ان الله أنزل بركاته الماديه على عاد، و جعلهم الوارثين للأرض بعد قوم نوح و زادهم من نعمه، فكان عليهم أن يعترفوا بنعم الله و يتذكروا أن الرب الرحيم الذى أنعم بها عليها هو الذى أرسل رسالته المباركه بواسطته.

لكن عادا كذبوا هودا و تحدّوه و نازلوه و استعجلوا العذاب، بيد أن هودا كان يرى فى تكذيبهم رجسا و غضبا، لأنهم خضعوا لمجموعه أصنام لا رصيد لها من الواقع، بل هى حروف بلا معانى و بلا سلطان من الله عليها، ثم استجاب هود لتحدّيتهم و طلب منهم الانتظار.

و قد أنجاه الله و الذين معه برحمه منه و أنهى مدينه عاد و من بها ممن يكذب بآيات

اللّٰه لآنهم كفروا باللّٰه.

و هذا مثل آخر لنعم اللّٰه التّٰى تتجلى بها صفه الربوبيه، فلو استجاب لها البشر لانتفع بها، و إلا فانها سوف تتبدل الى نقمه عليهم.

بينات من الآيات:

افتراءات الملائه:

[٦٥] أرسل اللّٰه الى عاد واحدا منهم و هو أخوهم هود الذى دعاهم الى اللّٰه الذى لا ملجأ لهم إلا اليه، و أمرهم أن يحذروا منه و يتقوه.

وَ إِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ [٦٦] و هنا وقف جماعه من قومه يعارضوه، و هؤلاء هم الملائه الذين اختاروا الكفر بوعى و إصرار، و اتهموا هودا بالسفاهه لأنه تحدى حضارتهم، و واجه قوتهم التّٰى كانوا مغرورين بها، زاعمين أن منهجهم فى الحياه منهج سليم، بدليل أنهم قد بلغوا عن طريقه الى هذه الحضاره، و هذه القوه الكبيره، بل إنهم كادوا يتهمونه بالكذب، و الفرق بين السفاهه و الكذب إنما هو فى النيه، فالسفاهه هى الإصرار على الخطأ بنيه صالحه و ذلك لقله العقل، بينما الكذب هو تعمد الخطأ مع العلم به و ذلك للوصول الى هدف باطل، و قوم عاد كانوا يرون فى هود الصّٰلح و الزهد، لذلك لم يكونوا يجرءون على اتهامه بالكذب لذلك قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهِهِ وَ إِنَّا لَنُنْزِكُكَ مِنَ الْكَافِرِينَ [٦٧] و حين يصر صاحب الفكره على فكرته برغم تحذير الآخرين له، فانه يدل

ص: ٣٥١

على انه عارف بفكرته واع لأبعادها، و لذلك فهو ليس سفيها غير عارف بطبيعته فكرته.

و هود نفى عن نفسه السفاهه، و أصرّ مره اخرى على أنه رسول.

قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَ لَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ اللَّهُ الَّذِي اسْتَوَى عَلَى عَرْشِ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ يَدْبِرُ أُمُورَهُمَا، وَ يَكْمَلُ خَلْقَهُمَا، إِنَّهُ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ هُودًا إِلَىٰ عَادٍ لِيَكْمَلَ عَلَيْهِمْ نِعْمَهُ، وَ يَكْمَلُ حَيَاتَهُمْ.

نزاهه الرسول دليل صدقه:

[٦٨]لم يكن هودا داعيا الى نفسه بل الى ربه، فلم تكن لديه مصلحه ذاتيه في دعوته، و كانت دعوته الى كل خير و حق، فلذلك فهي في مصلحه الناس و عليهم أن يهرعوا إليها.

أَبْلَغُكُمْ رَسُولَاتِ رَبِّي وَ أَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ وَ أَمَانَةُ الْإِنْسَانِ حَقِيقَةٌ ظَاهِرَةٌ، لَا يُمْكِنُ أَنْ يَفْرُضَهَا وَ يَتَكَلَّفَ فِي التَّظَاهِرِ بِهَا، بَلْ هِيَ كَمَا سَاطَرَتِ الصِّفَاتُ النَّفْسِيَّةُ الْحَسَنَةُ وَ السَّيِّئَةُ، تَظْهَرُ عَلَى أَفْعَالِ الْفَرْدِ وَ أَقْوَالِهِ، شَاءَ أَمْ أَبِي، لِذَلِكَ كَانَ الْأَنْبِيَاءُ (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) يَسْتَدْلُونَ بِهَذِهِ الصِّفَةِ الْمَوْجُودَةِ فِي أَنْفُسِهِمْ عَلَى صِدْقِ رَسُولَاتِهِمْ دُونَ أَنْ يَكْذِبَهُمْ أَحَدٌ، لِأَنَّهَا كَانَتْ صِفَةً ظَاهِرَةً.

[٦٩] و يصدق البشر بالحقائق المألوفه بسهوله، بينما الحقائق التي لا تقع إلا عبر فترات متباعده لا يسهل التصديق بها، مثلا: التصديق بالثورات و التحولات الاجتماعيه الكبيره ليس بسهوله و كذلك التصديق بموت أحد عزيز، بالرغم من أن هذه و تلك حقائق واقعه و سنن فطريه، و من هنا كان أحد العقبات الرئيسييه في

طريق إيمان الناس برسالات الله هي انها لم تكن وقائع مألوفه، فكان الأنبياء يذكرون الناس بأنها حقائق فطريه يصدق بها وجدان البشر، و هي من السنن التي تقع بين فتره و فتره.

أَوْ عَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلَا عَجَبٌ فِي ذَلِكَ لِأَنَّ الرَّبَّ الَّذِي يَدَبِّرُ أُمُورَ عِبَادِهِ، وَيُنزِلُ عَلَيْهِمْ بَرَكَاتِهِ جَدِيرٌ بِأَنْ يَهْدِيَ الْإِنْسَانَ، وَيَذَكِّرَهُ بِالْحَقَائِقِ، ثُمَّ إِنَّ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ أَنَّهُ أَنْزَلَ ذِكْرَهُ عَلَى وَاحِدٍ مِنْهُمْ لِأَنَّ هَدْفَهُ هُوَ إِنذَارُهُمْ، وَالْإِنذَارُ سَيَكُونُ أُبْلَغَ لَوْ كَانَ عَنْ طَرِيقٍ وَاحِدٍ مِنْهُمْ.

و لا ين قوم عاد كانوا مغرورين بقوتهم و بطشهم، لذلك ذكّرهم أخوهم هود بان هذه القوه نعمه من الله و ليست من أنفسهم، بدليل أنها كانت قبلئذ عند قوم نوح فأخذها الله منهم و أعطاهم إياها، فالقوه هذه يجب أن تكون مدعاه لقبول الرساله شكرا لنعمه الله.

وَ اذْكُرُوا إِذْ جَعَلْنَا خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَ زَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَضِيعَةً فَادْكُرُوا آيَةَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ الْفَلَاحُ وَ السَّعَادَةُ يَأْتِيَانِ نَتِيجَةً مَعْرِفَةِ سَبَابِ النِّعْمَةِ، وَ عَوَامِلِ الْحَضَارَةِ، وَ الْيَقِظَةُ فِي الْمَحَافِظَةِ عَلَيْهَا، لِتَسْتَمِرَّ وَ تَزْدَادَ، لِذَلِكَ حِينَ يَتَذَكَّرُ الْبَشَرُ أَنَّ النِّعْمَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ سَيَكُونُ وَاعِيًا لِاسْتِمْرَارِهَا.

مواقف المجتمع المتخلف:

[٧٠] وحين أفحم هود قومه، و أشار فيهم دفائن عقولهم، و استوضح لهم فطرتهم و وجدانهم، لم يبق لهم سوى الاتكاء على ماضيهم فقالوا: إننا لا نغير واقعنا و لا نريد لأنفسنا التطور الى الأفضل لأن آباءنا كانوا هكذا، فسوف نبقي نحن الأبناء

على سنه آباءنا، وقال لهم هود: إذا لا رجاء فى إصلاحكم.

قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ لَقَدْ بَلَغَ فِيهِمُ الْجُمُودَ حَدًّا يَسْتَعْجِلُونَ
معه العذاب ولا يرضون بالتغيير، وحالهم حال كل الأمم المتخلفه والمغروره، أنهم يقبلون بالأمر الواقع حتى مع علمهم بفساده و
خطورته عليهم، وكلما يدعوهم المصلحون بضروره تغيير الواقع لا يسمعون لقولهم، لتشبثهم بالواقع القائم و خوفهم من أى تغيير.

[٧١] وقال هود وهو الذى يسعى لهدايتهم بكل وسيله: أن الواقع الذى تعتزون به واقع فاسد، وهو رجس و غضب، رجس فيه كل
ضلاله و انحراف، و غضب فيه كل سوء و دمار.

قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَ غَضَبٌ وَ ربما تقدم الرجس لفظيا على الغضب لأنه سابق له واقعا، حين يبدأ الانحراف، ثم
يظهر فى صوره عذاب.

أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءِ سَمِيئَتُوهَا أَنْتُمْ وَ آبَاؤُكُمْ تِلْكَ الْقِيمُ الزَّائِفَةُ الَّتِي تَحْجِبُكُمْ عَنْ رُؤْيِهِ الْحَقَائِقُ لَيْسَتْ سِوَى الْفَاطِزِ مَنْمَقِهِ وَ
أسماء بلا معانى.

مَنْ نَزَلَ اللَّهُ بِهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ [٧٢] و انتهت قصه قوم عاد بنجاه هود و المؤمنين من قومه، و دمار
الكفار لأنهم كذبوا بآيات الله و معالم الحقيقه، و لأنهم كفروا بالله و برسالته.

فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا أَيُّ بِرَحْمَةٍ مَشْهُودَةٍ وَوَاضِحَةٍ.

وَ قَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَ مَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ

ص: ٣٥٥

إشارة

وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيْنَهُ مِنْ رَبِّكُمْ هَادِيَةٌ نَاقَةٌ اللَّهُ لَكُمْ آيَةٌ فَادْرُوهَا
تَأْكُلُ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٣) وَادْكُرُوا إِذْ جَعَلْنَاكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأْنَاكُمْ فِي الْأَرْضِ
تَتَّخِذُونَ مِنْ سِهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آلاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (٧٤) قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا
مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتَضَعُوا غُفُورًا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسِلٌ مِنْ رَبِّي قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ (٧٥) قَالَ الَّذِينَ
اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ (٧٦) فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ
(٧٧) فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ (٧٨) فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولًا مِنْ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ
لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ (٧٩)

اللغة

٧٤ [بواكم]: التبوئه التمكين.

[اعتوا]: العتى الفساد.

ص: ٣٥٤

٧٧]عتوا[:العتو تجاوز الحد في الفساد.

٧٨]الرجفه[:الرجف الاضطراب يقال رجاف بهم السقف يرجف رجوفا ٢ اذا اضطرب من تحتهم.

[جاثمين[:الجثوم البروك على الركبه.

ص:٣٥٧

تبير سلطه المستكبرين

هدى من الآيات:

و باختلاف بسيط فى التفاصيل و لكن ضمن خط رسالى واحد يأتى (صالح) رسول الله الى قومه ثمود ليقول لهم: **أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ** .

ثم أوضح لهم أن هذه آيه بينه واصله، قد جاءتهم من الله ربهم الذى لا زالت نعمه تترى عليهم، فهذه ناقه الله اتركوها فى أرض الله و لا تمسوها بسوء، فان ذلك سوف يسبب لكم العذاب.

ثم بين لهم ان العلاقة التى تربطهم بالله هى علاقه الربوبيه و العطاء، حيث أورثهم الأرض من بعد قوم عاد حتى تمكنوا فى الأرض و بنوا القصور و البيوت، و أمرهم بأن تكون علاقتهم بالأشياء و الأشخاص علاقه إيجابيه، فلا يسعوا فى سبيل الفساد بل فى طريق الإصلاح و التريه، بيد أن صالحا كما اخوته فى الرساله لم يجد الاستجابه المطلوبه، حيث وقف المستكبرون عقبه فى طريق انتشار الرساله، و حاولوا تضليل المستضعفين المؤمنين عن الرساله، و عقروا الناقه التى كانت آيه إلهيه، تحديا

للرسالة و إفسادا فى الأرض.

و جاءت العاقبه حيث زلزلت الأرض من تحتهم فأصبحوا جاثمين فى دورهم، و أنقذ الله صالحا الذى لم يذرف الدمع عليهم، لأنه نصحهم نصيحة بليغه فلم يسمعوا له، و هذه قصه جديده لكنها تتكرر كل يوم لتعطينا عبره جديده، لعلنا نهتدى بها الى الحقيقه.

بينات من الآيات:

رسالات الله منطلق التحضر:

[٧٣] يبدو أن ثمودا كما قوم عاد و قوم نوح، بدأت حياتهم الاجتماعيه بفهم سنن الله فى الحياه و منها ضروره الإصلاح، و تسخير امكانيات الطبيعه من أجل الأهداف النبيله، إلا انهم بعد نموّ مدنيّتهم، و تواتر نعم الله عليهم فسدوا و أفسدوا، فجاءت رساله الله تحذرهم من عاقبه الإفساد، و تذكرهم بأن هذه النعم التى يرونها ليست ذاتيه لهم و لا هى أبديه، و إنما هى آلاء الله، كانت عند قوم فأهلكوا بسبب فسادهم و افسادهم و أورثها الله لهم، فاذا فسدوا و أفسدوا يهلكم الله أيضا، و ربما تكون الناقه التى أخرجها الله لثمود من بطن الجبل آيه كبيره، ربما تكون رمزا لتلك النعم، فلو اهتموا بها و لم يمسوها بسوء، و لم يتعرضوا لها بقتل لانتفعوا بها، و لكن عذبهم الله.

وَ إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءتُكُمْ بَيْنَهُ مِنْ رَبِّكُمْ هَادِيَةٌ نَاقَةٌ لِلَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَ لَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ [٧٤] وَ اذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَ بَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ

ص: ٣٥٩

مِنْ سِيْهُوْلِهَا قُصُوْرًا وَ تَنْحِتُوْنَ الْجِبَالَ بُيُوْتًا فَاذْكُرُوْا اٰلَاءَ اللّٰهِ لَقَدْ كَانَتْ تَلْكُ حَضَارَتِهِمْ، حَيْثُ اسْتَقْرَوْا فِى الْاَرْضِ مِنْ دُوْنِ خَوْفٍ مِنَ الطَّبِيعَةِ اَنْ تَقْسُوْا عَلَيْهِمْ، وَ ذَلِكُمْ بِسَبَبِ تَوْفُرِ وَسَائِلِ الْحَيَاةِ فِى تَلْكِ الْاَرْضِ، حَتَّى كَانَتْ لَدِيْهِمْ الْقُدْرَةُ عَلٰى نَحْتِ الْجِبَالِ لِيتَّخِذُوْا مِنْهَا بِيُوْتًا، اَوْ حَتَّى رَفَعَ الْاَبْنِيَةَ فَوْقَ السَّهْلِ قُصُوْرًا، وَ لَكِنْ كَانَتْ ثَمُوْدٌ تَتَّجِهُ نَحْوَ الْفَسَادِ شَأْنَهَا شَأْنَ الْحَضَارَاتِ الَّتِي تَغْتَرُّ بِمَدَى قُدْرَتِهَا فَتَتَّكِلُ وَ تَتَدَاعَى وَ تَنْهَارُ، لِذَلِكُمْ وَقَفَ رَسُوْلُ اللّٰهِ عَلَيْهِمْ صَالِحٌ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) مُحَذِّرًا وَ قَالَ:

وَ لَا تَعْنُوْا فِى الْمَأْرُضِ مُفْسِدِيْنَ وَ الْفَسَادَ ضِدَّ الْاِصْلَاحِ، وَ لَيْسَ بَيْنَ الْفَسَادِ وَ الْاِصْلَاحِ عَمَلٌ آخَرَ وَ صَبِغُهُ آخَرٌ، ذَلِكُمْ لِاَنَّ عِلَاقَتَكَ بِالْاَشْيَاءِ قَدْ تَكُوْنُ عِلَاقَةً التَّرْبِيَةِ وَ السَّعْيِ لِلتَّغْيِيْرِ نَحْوَ الْاَفْضَلِ، وَ اَنْ تَضِيْفَ اِلَيْهَا مِنْ نَفْسِكَ شَيْئًا جَدِيْدًا كَاَنْ تَبْنِيَّ الْاَرْضِ، وَ تَنْشَأَ الْحَقْلَ، وَ تَرْبِيَّ الْوَلَدَ، وَ تَصْنَعُ مِنَ الْحَدِيْدِ اَلَّهُ مَفِيْدَهُ، وَ هَذَا كُلُّهُ اِصْلَاحٌ، اَوْ تَكُوْنُ عِلَاقَتَكَ هِيَ الْاِنْتِفَاعُ بِالْاَشْيَاءِ فَقَطْ، فَتَمْلِكُ الْبَيْتَ دُوْنَ اَنْ تَبْنِيَهُ اَوْ تَرْمِيَهُ، وَ تَأْكُلُ مِنَ الْحَقْلِ دُوْنَ اَنْ تَنْشَأَ بِدِيْلِهِ اَوْ تَسْقِيَهُ، وَ تَتْرِكُ ابْنَكَ لِتَرْبِيَةِ الشُّوَارِعِ وَ الْاَزْقَةِ، وَ تَسْتَهْلِكُ الْاَلَاتَ وَ الْمَكَائِنَ دُوْنَ اَنْ تَصْنَعُ بِدِيْلِهَا اَوْ تَقُوْمَ بِصِيَانَتِهَا، وَ تَلْكُ كُلُّهَا عِلَاقَةُ الْفَسَادِ، وَ الْمَجْتَمَعَاتُ قَدْ تَكُوْنُ مَتَّجِهَةً بِصِفَةِ عَامِهِ نَحْوَ الْاِصْلَاحِ وَ الْبِنَاءِ وَ التَّصْنِيْعِ وَ تَغْيِيْرِ الْاَشْيَاءِ اِلَى الْاَفْضَلِ، فَتَكُوْنُ اَنْتَظْمٌ مَتَّجِهَةٌ نَحْوَ الْحَضَارَةِ وَ الْمَدِيْنَةِ، اَوْ مَتَّجِهَةٌ نَحْوَ الْاِسْتِهْلَاكِ وَ الْاِنْتِفَاعِ وَ التَّغْيِيْرِ نَحْوَ الْاَسْوَأِ، فَتَهْدُمُ حَضَارَتَهَا وَ تَهْوِي نَحْوَ التَّخْلِفِ، وَ رَسَالَاتُ اللّٰهِ تَأْمُرُنَا بِالْاِصْلَاحِ الَّذِي يَبْنِي الْحَضَارَةَ وَ تَسُوْقُ الْاُمَّةَ نَحْوَ التَّقَدُّمِ.

صفات المستكبرين (الملا):

[٧٥] إن حاله الإسراف و التبذير، و صبغه الفساد و الاستهلاك من دون

الإصلاح و الانتاج لا- تنتشر مره واحده فى المجتمع، بل تتجلى أولا- فى الملائم منهم الذين يشكلون طبقه المستكبرين، و ابرز صفاتهم هى:

استهلاك المزيد من النعم، و خلق تيار معارض للإصلاح، و لأنهم يريدون أن يأكلوا أكثر مما ينتجون، فإنهم يسرقون انتاج الآ-خرين بشتى الوسائل و الحيل و يستضعفونهم، و يتسارع المستضعفون نحو الرساله الجديده التى تبشر المجتمع بالإصلاح و العداله، فيبدأ الصراع المرير بينهم و بين أولئك المستكبرين، و ينتهى الصراع بهلاك المستكبرين و نجاه المستضعفين بإذن الله.

قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضِعُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُّرْسِلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ إِنْ الْمُسْتَكْبِرِينَ يَحاولون إفساد الطبعه و الإنسان معا، فلذلك تراهم يفسدون آراء المستضعفين و يجرونهم نحو التيه و الضلاله لكى يستمروا فى استغلالهم، و استهلاك المزيد من انتاجهم، بيد ان طائفه من المستضعفين يسارعون الى الايمان، و يقوم الصراع بينهم و بين المستكبرين.

[٧٦] و لذلك تجد المستكبرين يكفرون بالرساله ليس بمجرد أنها رساله، و انما لأنها مبدأ يؤمن به المستضعفون و يتخذون منه أداه لصراعهم ضدهم، و هذا يبدو جليا من أقوالهم حيث قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ المستكبرون يريدون دينا يؤيدهم فى استغلالهم للناس و تسلطهم عليهم، و لا يؤمنون بدين يؤمن به المستضعفون، و يتخذون منه وسيله لنجاتهم، و خشبه خلاص لهم من ظلمهم.

[٧٧] ولكي يتحدى المستكبرون دين المستضعفين، ويجردوهم من تلك الوسيله التي تنقذهم من أيديهم، عمدوا الى الناقه-رمز الرساله الالهيه عند ثمود- فقتلوهما ظنا منهم ان إعدام الناقه يضع حدًا لتحرك المؤمنين، لأنها رمز وحدتهم، و عنوان نشاطهم الاجتماعى، ولكنهم أخطئوا حيث ان عقر الناقه و ما تبعه من أعمال تخريب و إفساد عرضهم لغضب الله سبحانه و عجل فى نهايتهم.

فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَ مِنَ الْمَعْرُوفِ اِنْ اِحَدًا مِنْهُمْ فَقَطْ هُوَ الَّذِى عَقَرَ النَّاقَةَ، وَ لَكِنِ الْبَقِيَّةُ رَضُوا بِعَمَلِهِ فَكَانُوا كَمَا لَوْ اَنَّ الْجَمِيعَ اشْتَرَكُوا فِي عَقْرِهَا.

وَ عَتَوْا عَنْ اَمْرِ رَبِّهِمْ حَيْثُ تَجَاوَزُوا الْحَدَّ فِي الْفَسَادِ بِرِغْمِ اَمْرِ اللّٰهِ لَهُمْ بِالْاِصْلَاحِ.

وَ قَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا اِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ

النهايه الحتم:

[٧٨] و كما نهايه ثمود كذلك نهايه كل الطغاه المستكبرين كلما بالغوا فى الفساد، و انما يفعلون ذلك بعد تنامى حدّه الصراع بينهم و بين أصحاب الرساله إذ أنهم يضطّرون آئذ الى مقاومه الرساله بالمزيد من عمليات التخريب و الفساد، و هكذا أنزل الله على ثمود العذاب حيث ارتجت بهم الأرض و تزلزلت من تحتهم، و تهدمت مدنيّتهم، و ماتوا و هم جالسون دون ان يمهلوا حتى يمدوا أرجلهم استعدادا للموت.

فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جِثْمِينَ [٧٩] اِنَّ الْبَشَرَ يَهِرَعُ لِمَسَاعِدِهِ نَظْرَانَهُ وَ اخُوْتَهُ، وَ لَكِنِ الْمَسْتَكْبِرِينَ لَمْ يَحْزَن

لهلاكهم أحد، وهذا منتهى الخزي و العار الذي قد يلحق بأحد.

فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولَهُ مِنْ رَبِّي وَ نَصِيحَتُ لَكُمْ وَ لَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ إِنَّ قِصَّةَ ثَمُودَ عِبْرَةٌ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنَّا
كى يبادر لقبول النصيح، و يتتجه نحو الترييه و الإصلاح، و يكون همنا الانتاج و الإنشاء لا الاستهلاك و الإفساد.

ص: ٣٦٣

إشاره

و لوطاً إذ قال لقومه أتأتون الفاحشه ما سبقكم بها من أحد من العالمين (٨٠) إنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم مسرفون (٨١) و ما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوهم من قريبتكم إنهم أناس يتطهرون (٨٢) فأنجيناه و أهله إلا امرأته كانت من الغابرين (٨٣) و أمطرنا عليهم مطراً فانظرو كيف كان عاقبه المجرمين (٨٤)

اللغه

٨٣[الغابرين]:الباقيين فى قومه المتخلفين حتى هلكت.

هدى من الآيات:

و تكررت ذات الحقائق التي شهدناها عند عاد و ثمود في قصه لوط، حيث بارك الله لهم في نعمه فطغوا بها، و شدوا عن الصراط القويم في الانتفاع بها، فاذا بهم يتخذون الفاحشه سبيلا لارضاء شهواتهم الجنسيه، انهم يأتون الرجال بدلا من النساء، و يسرفون في الشهوات.

إنها مرحله الغرور في قوم أنعم الله عليهم بالاستقرار و الأمن و النعم، و تأتي صرخه السماء الهادره تنذرهم عاقبه الفجور، و لكن قوم لوط يحاولون إخراج لوط من قريتهم بتهمه التطهر، و المجتمع الذي يصبح التقوى و التطهر جريمه فيه لا يرجي له الخير أبدا.

و تحين ساعه العقاب حيث ينجي الله لوطا و أهله المؤمنين بالرساله، و يهلك الآخرين و فيما بينهم امرأته التي أصبحت من الهالكين بسبب اتباعها لهم، و طريقه العقاب هي أن الله أنزل عليهم من السماء مطر السوء كما أنزل عليهم بركاته من

قبل.

و هكذا ترى رسالات الله تحذّر البشر من عاقبه أفعالهم السيئه و سلوكهم الشاذ، و لكن أكثر الناس لا يشكرون نعمه الرساله فيهلكون.

بينات من الآيات:

قوم لوط من الألف الى الياء:

[٨٠] أرسل الله لوطا الى قومه، و يبدو لى -مره اخرى- أن قوم لوط كانوا فى البدايه مستقيمين يسعون من أجل بناء حضارتهم، لأن الخط العام لحركتهم كان سليما، و كان مجمل سلوكهم سليما، بيد أنهم حين بلغوا مرحله من التحضر أصيبوا بالإسراف، و جاء فى بعض الأحاديث أنهم أصيبوا كذلك ببخل و إسراف و هاتان صفتان نابتان من جذر واحد هو: عباده الماده، و الابتعاد عن القيم المعنويه.

و إذا كان قوم عاد قد أصيبوا بصفه الغرور و البطش و الظلم، و أصيبت ثمود بالفساد و الاستكبار و الطبقية، فان ترف قوم لوط دفعهم الى الشذوذ الجنسى، فكانوا يأتون الرجال شهوه من دون النساء، و قد يكون سبب هذا الشذوذ هو البخل، حيث ان الشاب الذى تلتهب شهوته و لا يجد امرأه يتزوجها إلا بمهر عظيم و بشروط قاسيه، شأنها فى ذلك شأن المرأه فى المجتمعات المرفهه التى تبحث عن الكماليات قبل ضرورات العيش، إن هذا الشاب الذى لا يملك ذلك النشاط الذى يدفعه الى العمل و الانتاج و الحصول على المال، يفضل الجنوح نحو الجريمه و اختيار الشذوذ الجنسى الرخيص على العلاقه الشريفه.

بيد ان السبب الخطر للشذوذ هو الإسراف، ذلك لانه المجتمع الذى لا يتطلع نحو بناء المستقبل الأفضل، و لا يبحث عن قيم التضحيه و الفداء، و يملك قدرا كبيرا

ص: ٣٦٦

من فائض النعم و الوقت و المال، يبالغ فى الشهوات و يسرف فيها و يشذ عن سبلها السليمه، فيشتري عذاب الله. لذلك أرسل الله لوطا الى قومه فى تلك المرحله من حضارتهم، حيث قعدوا عن الطموحات الكبيره و تركوا قيمهم الفاضله، أرسله ليحذرهم عاقبه الشذوذ.

و لوطاً إذ قال لقومه أ تأتُونَ الفاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ [٨١] إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ [٨٢] أعوذ بالله من حاله الانزلاق فى وادى الشهوات، خصوصا لو شاع ذلك فى المجتمع، حيث يتواصى أبناء هذا المجتمع الفاسد بالجريمه و الشذوذ كما يتواصى المتقون بالصلاح، و لقد أصبحت الجريمه و الشذوذ قيمه اجتماعيه عند قوم لوط و لذلك لم يستمعوا الى نصيحته، بل اتهموه بالطهر و التقوى، و أمروا بإخراجه.

وَمَا كَانُوا جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنْفُسٌ يَنْطَهُرُونَ [٨٣] و الله سبحانه أنجى لوطا من تلك القرية فهاجر منها بأمره سبحانه، و كذلك يهاجر المؤمنون من كل مجتمع يشيع فيه الفساد و لا يقدرّون على إصلاحه.

فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ و لم تكن امرأه لوط من أهله، كما لم يكن ابن نوح من أهله، لأنهما كانا على غير ملتتهما.

[٨٤] و جاءت أخيرا العاقبه السوء حيث دمر الله قرى لوط بعذاب بئيس يفصله القرآن فى سور أخرى.

وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَأَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ لِلْعَاقِبَةِ الْمُجْرِمِينَ للنظر الى عاقبتهم، و نعتبر من قصصهم لكي لا نصبح مثلهم-لا سمح الله-.

ص: ٣٤٨

اشاره

وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيْنَهُ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا
النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٨٥) وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَ
تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَ أذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَرْتُمْ وَ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ (٨٦) وَ إِنْ
كَانَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَ طَائِفَةٌ لَمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَ هُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ (٨٧)

اللغه

٨٥[مدین]:قبيله سميت باسم جدھم«مدین»حفید ابراهیم علیہ السلام .

[أخاهم شعيب]:و هو من أحفاد ابراهيم عليه السلام ،فهو أخ القبيله.

[و لا تبخسوا]:البخس النقص عن الحد الذى يوجب الحق.

وسيله الإصلاح الاقتصادى

هدى من الآيات:

و أهل مدين كما ثمود و قوم لوط، انهارت مدينتهم على رؤوسهم بسبب فسادهم، و أبرز مظاهر الفساد عندهم كان البخس فى الميزان، و إفساد الأرض زرعاً و ضرعاً، و قطع طرق الخير على عابريها، و الصدّ عن سبيل الله، و تحريف الدين.

لقد جاءت رساله الله على لسان شعيب لتنهاهم عن الفساد بعد الإصلاح، و التخلف بعد التقدم، و التدهور بعد النشاط، فانقسموا على أنفسهم فريقين، فمنهم من آمن و منهم من كفر، و الله سوف يحكم بين الفريقين، و الزمن شاهد على صدق النبوءه.

و احتدم الصراع و بدأ الكفار بمنع الناس عن الايمان بالرساله و اعتبار ذلك خساره، و انتهت قصتهم بعذاب أنزله الله عليهم فى صوره رجفه قضت عليهم، و شهد التاريخ ان الخاسرين إنما كانوا هم الذين كذبوا بشعيب لا المؤمنين به، و تلك النعم التى اغتروا بها لم تنفعهم فى ساعه العذاب.

أما شعيب فلم يحفل بمصيرهم لأنه نصحهم و أبلغهم رسالات ربهم، فكفروا بها، فلم يأسف لمصيرهم، و يبدو لى: أن أهل مدين كما أصحاب الحضارات السابقه كانت علاقتهم بالأشياء و الأشخاص علاقه العطاء و التريه و الإصلاح فبنوا تلك المدينه، و لكنهم بدّلوا تلك العلاقه و أصبحت علاقتهم علاقه الإسراف و الاستهلاك و الإفساد فدمرت حضارتهم.

بينات من الآيات:

التمثليه التاريخيه:

[٨٥] و تتكرر مشاهد فى التاريخ حتى ليكاد المرء يتصور أنها جميعا مشهد واحد لا يتغير سوى الممثلين فيه، و ان كانت هناك اختلافات فانما هى فى المظاهر الخارجيه للأحداث، فكل الجرائم و الانحرافات التى يبتلى بها المجتمع تنشأ من عدم التسليم لله و عدم اتباع مناهجه كاملا، و الشرك به عن طريق طاعه غيره من الطواغيت و الأصنام الحجرية أو البشريه، أو التشبث بالقشور و الأسماء التى لا يوجد وراءها شىء، لذلك تجد رسالات السماء تؤكد أولا و قبل كل شىء على الوصيه بعباده الله، ففى القصص السابقه بدأ كل نبي حديثه مع قومه بهذه الكلمه: اعبدوا الله.

وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ

ماذا تعنى عباده الله؟

عباده الله لا تعنى مجرد التسليم النفسى له، بل و يجب التعبير عن صدق هذا التسليم عمليا فى صوره الكفر بالطاغوت و التمرد ضد النظام السلطوى الذى يتخذ من القوه أداه للسيطره و القهر، و بالتالى الثوره ضد كل حكم لا شرعى.

إن أنبياء الله (عليهم السلام) كانوا يهدفون تغيير النظام السياسى فى المجتمع،

من نظام شركى قائم على أساس الحاكم و المحكوم، إلى نظام توحيدى يقوم على أساس رفض الحاكميات جميعا سوى حاكميه الله الحى القيوم، و لذلك تجد الآيات السابقه التى تحدثت عن رسالات الله أكدت قبل كل شىء ضروره رفض الآلهه التى تعبد من دون الله، و الذى يعنى: رفض الحاكميات البشريه و التسليم لحاكميه الله و عبادته سبحانه.

و رفض أى نظام سياسى باطل لا يعنى الفوضويه بل إقامه كيان سياسى صحيح مكانه، ذلك هو كيان التوحيد القائم على رساله بينه ينتفع بها المجتمع، يؤمنون بها و يخضعون لها.

قَدْ جَاءَ تَكْمٌ بَيْنَهُ مِنْ رَبِّكُمْ فَعَلَيْكُمْ بِاتِّبَاعِهَا، تَلْكَ الْبَيْنَةُ هِيَ رِسَالَةُ اللَّهِ وَ رَسُولُهُ الْمَطَاعُ بِأَذْنِهِ.

و بعد تثبيت دعائم السلطه السياسيه السليمه، أمر شعيب قومه بتصحيح مسيره الاقتصاد، و إصلاحه من اقتصاد قائم على أساس الاستغلال و الاستثمار الى اقتصاد قائم على أساس الوفاء بالحقوق، و إعطاء كل ذى حق حقه بالكامل.

فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَ الْمِيزَانَ وَ لَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ حِينَ يَكُونُ الْمَجْتَمَعُ رَشِيدًا مِنَ النَّاحِيَةِ الْاِقْتِصَادِيَةِ فَانْه لَا يَنْهَبُ وَ لَا يَغْشَى، بَلْ وَ لَا يَفْحَشُ فِي الرِّبْحِ أَيْضًا أَوْ يَسْعَى كُلَّ طَرَفٍ لِلْحَصُولِ عَلَى الْمَنْفَعَةِ الْأَكْبَرِ، وَ هَذَا هُوَ التَّلَطُّعُ الْأَرْفَعُ الَّذِي يَجِبُ أَنْ يَهْدَفَهُ الْمَصْلُحُونَ فِي حَقْلِ الْاِقْتِصَادِ. أَنْ يَرَى كُلَّ طَرَفٍ مَنفَعَةَ الْآخَرِينَ بِمِثْلِ مَا يَرَى مَنفَعَتَهُ فَلَا يَبْخَسُ أَحَدًا شَيْئًا.

و بعد النظام الاقتصادى، يأتى دور الإصلاح فى مجمل سلوك البشرىه تجاه الأشياء و الأشخاص، ذلك الذى أكدت عليه رسالات السماء، حيث أمرت

بضروره إيجاد علاقه الإصلاح بين الناس و الطبيعه، و بين الناس بعضهم مع بعض، فلا يكون هدف المجتمع الانتفاع بالحياه فقط بل يكون هدفه:

أولاً: تفجير طاقات الطبيعه لمصلحه الانسانيه، و تنميه هذه الطاقات، و تطويرها الى الأفضل، مثلاً: زراعه الأرض، و صناعه المعادن، و تعبيد الطرق، و بناء الجسور، و عماره المدن، و المحافظه على البيئه بكل أبعادها، كالمحافظه على نقاء الهواء و الطيور و أنواع الوحوش و الدواب، و أنواع الأسماء، و بالتالى كل ما يصلح الأرض لا ما يفسدها.

ثانياً: تنميه طاقات البشر و مواهبه، و المجتمع الراشد يسعى من أجل دفع المستوى الخلقى لأبنائه و المستوى التعليمى، و يربى المزيد من الكوادر المتقدمه فى كافه الحقول، إنه مجتمع يربى القاده و المفكرين و المخترعين و الأبطال، و لا يكتفى بذلك بل و يسعى من أجل تعميم الحضاره على كل المجتمعات القريبه فيما يخص أبنائه، و مساعدتهم على التقدم و النمو، لذلك قال ربنا على لسان شعيب:

وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ۗ وَ قَدْ تَكَرَّرَتْ هَذِهِ الْكَلِمَةُ فِي الْآيَاتِ السَّابِقَةِ أَيْضًا، وَ يَتَسَاءَلُ الْمَرْءُ لِمَاذَا جَاءَتْ هَذِهِ الْكَلِمَةُ فِي صُورِهِ النَّهْيِ، أَوْ لِمَ يَكُنُّ الْأَفْضَلُ أَنْ يَقُولَ رَبُّنَا سُبْحَانَهُ: وَ أَصْلِحُوا فِي الْأَرْضِ؟ أَمْ تَصُورُ أَنَّ هَذِهِ الْقِصَصَ بِالذَّاتِ تَعَكُّسُ وَضْعِ الْحَضَارَاتِ فِي ظُرُوفِ شَيْخُوخْتِهَا، وَ تَنَامِي نِقَاطِ الضَّعْفِ فِيهَا، وَ أَقُولُ نَجْمَهَا حَيْثُ إِنَّ الْحَضَارَةَ تَنْشَأُ وَ تَتَنَامِي فِيهَا نِقَاطِ الْقُوَّةِ، وَ لَكِنِ الْغُرُورُ وَ الْإِرْهَابُ وَ الْاِسْتِكْبَارُ كُلُّ ذَلِكَ يَبْدُلُ نِقَاطِ الْقُوَّةِ فِيهَا إِلَى نِقَاطِ الضَّعْفِ حَتَّى تَقْضَى عَلَيْهَا، وَ رِسَالَاتِ السَّمَاءِ تَسْعَى مِنْ أَجْلِ إِيقَافِ تَدَهُّورِ الْحَضَارَاتِ وَ دِمَارِ الْعِمْرَانِ بِتَوْعِيهِ النَّاسِ بِأَسْبَابِ قُوَّتِهِمُ السَّابِقَةَ،

و عوامل الانقراض و منها بل و من أبرزها هي: الفساد بعد الإصلاح. أي تحول تلك العلاقة الانتاجيه و العمرانيه و الإبداعيه التي كانت حاكمه سابقا بين أبناء المجتمع بعضهم مع بعض أو مع الطبيعه الى علاقة استهلاك و استغلال و ترف.

إن حاله الاستهلاك القائم اليوم في بلادنا الاسلاميه، و صفه الترف و التوسع في الحاجيات الكماليه، و الرغبه عن الأعمال الانشائيه مثل العمران و التصنيع إنها جميعا تشكل أخطر عوامل التخلف عندنا، و يا ليتنا نتدبر في هذه القصص لنكشف فيها سر تخلفنا، و أسباب النهوض ببلادنا بعد الركود و التخلف.

ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ

الهدم أصعب:

يزعم البعض ان الإسراف خير من الاقتصاد في المعيشه لأنه يمتعك باللذائذ أكثر و بجهد أقل، أو يزعم ان استغلال جهود الآخرين و استهلاك ما ينتجونه خير من الاجتهاد و الانتاج لأنه تجاوز للتعب و الارهاق، و إشباع للغرائز بأقل قدر من العمل، و بالتالي يزعم أكثر الناس أن الهدم خير و سيله للدفاع، و أفضل و سيله لاداره الصراع بنجاح، و لكن ما أبعد الحقيقه عن هذه المزاعم.

إنك حين تسرف في النعم فانك تهلك انسجه بدنك بقدر ما تستهلك من المواد، و تفسد عاداتك و نفسيتك بقدر ما تفسد الطبيعه.

إنك حين تنتج فانك ترتفع الى مستوى الانتاج و تتكامل قدراتك و تنصقل مواهبك بذات النسبه و البلد الذي ينتج الفانتوم يختلف عن الذي يشتريها اختلاف الأم التي تنجب طفلا عن تلك التي تتبنى طفلا.

إن هذا البلد تتكامل قدراته و ترتفع الى مستوى انتاج الفانتوم، إنه يصنع بدائل

لها و هكذا، كذلك المزارع الذى يحرق الأرض و يسقى الحقل حتى يجنى الثمرات، ليس أبدا مثل ذلك الذى يلتهم الفاكهه دون أن يعرف قيمتها الحقيقيه، إن المزارع يتفاعل مع الثمار و يتكامل بها لأنه ينتجها، بينما الذى يأكل الفاكهه يستهلك بقدر ما يستهلك.

و من قال ان الهدم أفضل و سيله للدفاع، و خير أداه فى الصراع؟ إنك حين تقبل جنديا عدوا تزداد قوتكم بقدر جندي واحد، أما حين تضيف جنديا الى جنودك من أعدائك فان باستطاعه هذا الجندي أن يستقطب إليك جنودا كثيرين.

و حين تهدم مصنعا للعدو تزعم بأن قدرتك الاقتصاديه ازدادت بقدر مصنع واحد، و لكن هل هو واقع أم خيال؟ بينما لو أضفت مصنعا الى مصانعك فان هذا المصنع يكمل حلقات مصانعك و يرفع النقص الموجود فيها، و بالتالى يعطيك قدره على تنامى مصانعك.

و فرق بين أن تحرق مزرعه للعدو أو تنشئ مزرعه، إن المزرعه التى تنشأها لا تضيف قوه اقتصاديه الى اقتصاد بلدك فحسب، بل و تزيد قوه إنتاجيه، بمعنى ان الحبوب المنتجه من المزرعه تصلح ان تزرع فى أرض اخرى، و ان اليد العامله فى المزرعه تقدر على أن تزرع اخرى، و النظام المشجع على إنشاء مزرعه ينشئ مزارع عديده و هكذا..

و هكذا يصبح البناء أفضل و سيله لهدم كيان العدو، و الإصلاح أفضل و سيله لتصفيه دعاه الفساد و دعائمه، و صدق الله العلى العظيم حين يقول:

ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ

يتدرج المجتمع فى الانحطاط عبر عدة مراحل، ففى البدايه تفسد السلطه السياسيه، ثم تفسد طريقه التعامل، ثم أساليب الانتاج، ثم فساد القيم و هو أخطر مراحل الفساد، لذلك نجد شعيبا(عليه السّلام) بدأ حديثه الناصح بالتحذير من الفساد السياسى و الاقتصادى، و من ثم الفساد الثقافى و القيمى.

فحذّر من النهى عن المعروف و الصّد عن سبيله، و محاوله تضليل الناس عن سبيله الأقوم فى الحياه، و محاوله توجيههم الى السبل المنحرفه، و أمرهم بتذكر الماضى حيث إنهم كانوا أقلّاء فكثّروهم الله بالسبل القويمه، كما نصّحهم بالاعتبار بما أصاب المفسدين السابقين، و أمر شعيب المؤمنين من قومه بالصبر حتى يحكم الله، و تبين العاقبه.

[٨٦] قد يفسد البشر عمليا، بينما يبقى من الناحيه النظرية مؤمنا بالقيم و معترفا بخطئه حين لا يعمل بها، و يرجى لمثل هذا الشخص الفلاح بالتوبه، و لكن إذا بقى على ضلّاته العمليه قد ينحدر شيئا فشيئا الى الكفر بتلك القيم رأسا، أو لا أقل من تفسيرها تفسيراً خاطئاً يتوافق مع سلوكه الباطل، و هذا الشخص يصعب إصلاحه.

لأنه ليس فقط يعمل الأخطاء بعمد و إصرار، بل و يدعو الناس إليها، و قد يجزّ الآخريين الى اتباع منهجه، و قوم شعيب بلغوا هذا الدرّك الأسفل فنهاهم رسولهم (عليه السّلام) عن ذلك و قال:

وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ أَيْ تَهْدِدُونَ السَّالِكِينَ فِيهِ مِنَ الَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْوَصُولَ إِلَى اللَّهِ وَالْحَقِّ وَالْعَمَلِ

وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ أَى لَا تَسْمَحُونَ لِلْمُؤْمِنِينَ بِاللَّهِ أَنْ يَسْلُكُوا السَّبِيلَ الْمَوْصِلَ إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ.

وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا أَى تَحَرِّفُونَ نصوص الدين، و تزعمون أن السبل الملتويه هي الطرق البالغه.

الثقافه التبريره نسيج التخلف:

إن الأمم المتخلفه تصنع لنفسها نسيجا من الأفكار الباطله، و الثقافات التبريره التي تكرس واقعها الفاسد، و لكي تتجاوز الأمم هذه الثقافه التبريره الكسوله عليها أن تصلح نظرتها الى الحياه، و لا تزعم أن النعم الموجوده فيها مستمره و ذاتيه، بل تتذكر ماضيها الحافل بالمشاكل و العقبات، و كيف تحدثها، و بفضل أَى نوع من القيم و الأفكار، ثم تدرس حياه المجتمعات الأخرى التي فسدت خزائنها، كيف و بسبب أَى نوع من السلوك زالت تلك المجتمعات؟ لذلك ذكر شعيب قومه بماضيهم و بماضى المجتمعات الزائله و قال:

وَ اذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَرْتُمْ وَ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ [٨٧] و كانت نصيحه شعيب للكفار المناهضين لرسالته هي الكف عن مقاومتهم لنور الرساله، أما وصيته لأنصاره المؤمنين فهي الصبر و الاستقامه حتى يحكم الله بينهم و بين الكفار فقال:

وَ إِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَ طَائِفَةٌ لَمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَ هُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ

اشاره

قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ
 (٨٨) قَدْ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا
 كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبُّنَا افْتِيحَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ (٨٩) وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَئِنِ
 اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَخَاسِرُونَ (٩٠) فَأَخَذْتَهُمُ الرِّجْفُ فَاصْبِرُوا بِحُوا فِي دَارِهِمْ جَائِمِينَ (٩١) الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَنْ لَمْ يَغْنُوا فِيهَا
 الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ (٩٢) فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَّيْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَى
 عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ (٩٣)

اللغة

٩٢[يغنوا]:غنى بالمكان،يعنى غناء و غنيانا أقام به كأنه استغنى بذلك المكان عن غيره و المعانى المنازل و أصل الباب الغنى.

[آسى]: الأسى شده الحزن.

ص: ٣٧٩

إشارة

هم الخاسرون

هدى من الآيات:

كانت رساله شعيب التى نصح بها القوم ذات قيم فطريه، يهتدى إليها العقل و تعارضها الشهوات العاجله، و قد تحدى الملائع شعيبا، و الملائع هم كبار القوم الذين استكبروا فى الأرض و جعلوا فيها الناس ضعفاء، لقد تحدوا هذه الرساله ليس بالحجه و إنما بالقوه، حيث هددوه (عليه السلام) بالإخراج من قريتهم أو العوده الى دينهم الفاسد، و تساءل شعيب: كيف تسمحون لأنفسكم إجبارنا على العوده الى ملتكم الفاسده كرها، أ و ليس فى ذلك شهاده على أن ملتكم فاسده، و أن منطق القوه و ليس القناعه هو السائد عليها؟ و إذا كانت القوه حاكمه فقوه الله أعظم من قوتكم، فلا نرضى بالتسليم لكم، و الافتراء على الله كذبا، و الكفر بنعمه الهدايه التى أسبغها الله علينا فأنجانا بها من المله الفاسده.

و هل يستطيع البشر أن يتجاوز إرادته الله؟ كلا.. لذلك لا يستطيع أحد أن

يكره أحدا على فكره الباطل، لأن الله ربهما و المطلع على شؤونهما. لا يسمح بذبح حريه أحد إلا بمشيئته، أو تقصير الإنسان نفسه، فإذا توكل البشر على ربه، واعتمد على قوته، فإنه خير من يفتح بينه و بين عدوه بالحق، إذا فحرى بالبشر الاعتماد على الله فى مقاومه تهديد أهل الباطل، و عدم الخشيه من تمكنهم منه.

بينات من الآيات:

المستكبرون العائق الأكبر:

[٨٨] الناس العاديون يستقبلون رسالات الله بفطرتهم النقيه، لولا أن المستكبرين الذين يستغلون جهود الضعفاء يفرضون عليهم نهجا فكريا معينا بالقهر، و هؤلاء هم الذين يشكلون حيننا السلطه السياسيه، و حيننا السلطه الاقتصاديه، و حيننا السلطه المسماه بالدينيه، بيد أنها جميعا سلطه قهريه تسرق إرادته الإنسان، و هذا نموذج من قهرهم، أنهم هددوا شعبيا (عليه السلام) بالإخراج من القرية لو عارض نهجهم السياسى.

قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ
و الكلمه الأخيره تدل على صفه الجبر و القهر فى السلطه القائمه فى مجتمع مدين، و بالتالى على نظام الطاغوت الذى يعتمد على الملاء من الناحيه الطبقيه، و على الاستكبار من الناحيه الاجتماعيه و الثقافيه، و على الإرهاب من الناحيه السياسيه.

الصمود شاهد صدق:

[٨٩] الذى يحمل رساله الله الى الناس حقا لا يتنازل عنها تحت ضغط الظروف، و تلك شهاده بينه على صدقه، أما الذين يفترون على الله الكذب و يدعون

أنهم رسل الله باطلا، فإنهم يتركون الرساله حين يتعرضون للضغط، من هنا قال المؤمنون من قوم شعيب:

قَدْ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا وَحَيْثُ إِنَّ اللَّهَ أَنْجَاهُمْ مِنَ ضَلَالِهِ الطاغوت بالرساله، فالعوده الى ملتهم السابقه إنما تكون بعد وعى كاف ببطلانها، فيكون ذلك تكذيبا متعمدا للحق، و جحودا سافرا بآيات الله، و العذاب سوف يكون عليهم مضاعفا.

و من جهه أخرى العوده الى المله الباطله التي أنقذهم الله منها لا تكون ممكنه بالقهر و الإكراه، لان الله قد ضمن للبشر حريته و كرامته، و لن تكون القوى الشيطانيه قادره على إلحاق أى نوع من الأذى، أو إيجاد أى قدر من التأثير على أحد من دون مشيئه الله و اذنه سبحانه ذلك لان قوى الطاغوت لا تعصى الله عن غلبه - سبحانه - أو بتجاوز ملكوته.. كلا، و إنما لأن الله أمهلهم و أعطاهم فرصه الاختيار الحر لفتنه محدوده لهذا فان الطاغوت لا يقدر على جبر المؤمنين على الكفر لأن الله لا يسمح له بذلك.

وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا و كما ان قدره الله مهيمنه على الكون فلا يقدر الكفار على تجاوزها، كذلك علمه النافذ فى كل شىء، و لكى يقاوم المؤمنون قوى الطاغوت الماديه يلتجئون أكثر فأكثر الى قوه الله المعنويه و يقولون:

عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَ بَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ الْمُؤْمِنُونَ لا يسعون نحو تحقيق الانتصار على عدوهم بالباطل؛ أى دون أن يكون لديهم مؤهلات النصر، أو دون أن يكونوا أفضل من عدوهم، بل إنما يريدون الفتح

بالحق.

وَ أَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ

الخساره العظمى:

و اقتربت النهايه لقوم شعيب، حيث انهم اعتمدوا على القوه الماديه زاعمين أنها كل شىء، و إن من يخسرها فانه يخسر كل شىء، لذلك قالوا للمؤمنين: انكم لخاسرون، يزعمون أن الثروه و السلطه و الجاه التى يملكونها و التى يحرمون المؤمنين منها تعتبر خساره، بينما المؤمنون يعرفون ان القيم الباطله التى يقوم عليها بناء مجتمع الطغيان و الفساد تنسف كل تلك الماديات الظاهره.

و من هنا أخذت قوم شعيب الرجفه فاذا بهم جاثمون، و إذا بالخساره الحقيقه هى من نصيبهم هم، أما شعيب فلم يأسف لهم لأنه قد أبلغ رسالات ربه، و قدم النصيحه لقومه، و لكنهم كفروا بها فكيف ييأس عليهم.

[٩٠] ان النظره الماديه الضيقه التى يرى بها الكفار الأمور تجعلهم محدودين جدا، لا يفهمون حقائق الحياه، و هؤلاء يرمون الناس بالسفه و بالجنون، و يزعمون أن الذى لا يعمل للربح المادى العاجل خاسر لحياته، لذلك تجد الملام من أهل مدين يعتبرون أتباع شعيب خساره كبيره لهم.

و قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَخَاسِرُونَ و منتهى ما يستطيع الملام المستكبرون ان يلحقوه من الأذى بالمؤمنين هو: منع بعض النعم الماديه عنهم، و هذا ما كان و لا يزال الطغاه يهددون الثوريين به، و لكن من الذين تكون له عاقبه الدار؟! [٩١] إن الله سبحانه يعطى فرصه محدوده للبشر ليمتحن إرادتهم فيها، و مدى

ص: ٣٨٣

قدرتهم على مقاومه إغراء الشهوات، وقد منح هذه الفرصه لقوم شعيب، وها هم الآن استنفذوا فرصتهم و اقتربت ساعه المصير.
فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جِاثِمِينَ وَ كَانَتْ الرَّجْفَةُ قَوِيَةً إِلَىٰ دَرَجَةِ أَنْ اللَّهَ لَمْ يَمَهِّلْهُمْ حَتَّىٰ يَتَّخِذُوا حَالَهُ الْاِسْتِلْقَاءِ
استعدادا للموت، بل وقعوا على وجوههم ذله و هوانا.

معيار الخساره:

[٩٢] و هنالك تبين ذلك الواقع الذى حذر منه شعيب، و آمن به القوم المؤمنون و هو: أن الخساره و الربح إنما هما بالقيم لا بالمصالح العاجله.

الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَنْ لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا انتهت فرصتهم، و تداعى كيانهم، و زالت مكاسبهم، حتى يخيل للإنسان انه لم يكن شيئاً موجوداً.

الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ [٩٣] أما شعيب فقد ترك قومه الهالكين و هم صرعى دون أن يذرف عليهم قطره دم.

فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَ نَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَافِرِينَ

اشاره

وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ (٩٤) ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّى عَفَوْا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (٩٥) وَلَوْ أَنْ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٩٦) أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ (٩٧) أَوْ آمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يُلْعَبُونَ (٩٨) أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ (٩٩) أَوْ لَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ (١٠٠) تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِهَا وَ لَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ (١٠١) وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ (١٠٢)

اللغة

٩٥[عفوا]:أصل العفو الترك،و عفوا تركوا.

[بغته]:البغته الفجأه،و هى الأخذ على غرّه من غير تقدمه تؤذن بالنازله.

٩٧[بأسنا]:البأس العذاب،و البؤس الفقر.

و مراحل حياه الأمم

هدى من الآيات:

بعد أن ذكرنا القرآن الحكيم بقصص الأولين من الرسل و قومهم، عاد ليبين لنا عبرا من التاريخ و أبرزها:

١/ أن الأمم تسير عبر مراحل ثلاث:مرحلة الشده و الضنك،ثم مرحلة الرفاه و الرخاء،ثم مرحلة الفساد و الهلاك،و رسالات السماء حاضره فى هذه المراحل، و إرادته الله مهيمنه عليها.

٢/هلا-ك الأمم ليس قدرا محتوما عليها،إنما هو بسبب كفرهم و عدم التزامهم بالأوامر و التوجيهات،فاذا آمنوا و اتقوا الله فتح الله عليهم بركات السماء.

وراء الرخاء الظاهر قد يكمن مكر الله الخفى الذى ينبغى ألا- يؤمن و الذى يأتى ليلا فى حاله النوم،أو نهارا فى حاله اللعب و الغفله،و إنما يخسر البشر حين يأمن مكر الله و ما تخبؤه الأيام من شده و مكروه.

٤/توارث الأمم هذه الأرض،و لا بد من ان يتعص اللاحقون بمصير السابقين، و ليعرفوا هذه الحقيقه:أن الذنوب تحيط بالإنسان،و تأخذه فى حين غفله،ذلك لأن الذنب يسبب عمى القلب أيضا.

٥/بالرغم من أن الله يبعث رسله الى الأمم حين تندهور،لكن كفرهم السابق و ذنوبهم التى أعمت قلوبهم لا- تدعهم يؤمنون برسالات الله،كما لا تدعهم يفون بعهد الله عليهم،لذلك كانت الأمم هذه لا عهد لها و لا دين و بذلك هلكت.

بينات من الآيات:

المصاعب امتحان و تربيته:

[٩٤]فى هذه الآيه نجد حكمه الصعوبات التى تعصر البشر و الهدف التربوى منها،الذى لو عرفه الإنسان و سعى اليه فليس فقط لا يتضرر منه،و إنما يستفيد منها كثيرا يقول الله:

وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَ الضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ فالضراعه هى هدف البأساء و الضراء فى الحياه،و البأساء حسبما يبدو لى:كل سوء يصيب البشر بأيديهم كالحروب،و الفقر الناشئ من وضع اجتماعى سىء، و الظلم و الإرهاب،بينما الضراء هى:الخسارات التى تصيب البشر بالطبيعه كالامراض و الضغط و ما أشبه.

و الضراعه هى:العوده الى واقع الذات و ما فيه من نقص و عجز و انحراف،بعيدا عن أى غرور أو استكبار،أو عزه بالإثم،و الضراعه الى الله تعطينا الثقه بقدرتنا على تجاوز كل ذلك بعون الله.

و ربما تكون هذه الآيه توضيحا لبدايه انطلاقه المجتمعات و شروطها الواقعيه، و هى ظروف قاسيه يمر بها المجتمع فيتحداهما بالضراعه، و هى وعى الذات و ما فيه من نواقص يجب تكميلها، و امكانيات يجب تفجيرها.

[٩٥] و بعد الضراعه و تكميل النواقص بالتوكل على الله، و بالاعتماد على قيمه الساميه، تأتي مرحله الرفاه حيث تتبدل الصعوبات الى يسر و سلامه، و من بعدها تأتي مرحله الرخاء حيث تفيض النعم عن الحاجه، و هناك يفسد المجتمع بسبب الطغيان و الترف و البطش فيصيبه الدمار، بيد أن الدمار لا يصيب المجتمعات شيئا فشيئا بل يصيبهم فجأه و من دون شعورهم به.

ثُمَّ بَدَلْنَا مَكَانَ السَّيِّئِ الْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوْا أَي حَتَّى كَثُرَتِ النِّعَمُ وَ أَصْبَحَتْ عَفْوًا وَ زِيَادَةً تَتْرَكَ.

وَ قَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَ السَّرَّاءُ فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً وَ هُمْ لَا يَشْعُرُونَ

لا حتميات بل حقائق:

[٩٦] إن هذه المسيره الدوريه فى المجتمعات ليست ضروره حتميه، أو سنه إلهيه، بل حقائق تاريخيه باستطاعه البشر تغييرها عن طريق الايمان و التقوى، فان الايمان ضمانه ايديولوجيه و ثقافيه و اجتماعيه لبقاء عوامل الحضاره، و التقوى ضمانه تشريعيه سياسيه و اقتصاديه و سلوكيه لبقاء إطارات الحضاره.

وَ لَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَ اتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَ الْأَرْضِ رَبَّمَا تَكُونُ الْبَرَكَاتُ هِيَ كُلُّ مَا يَكْمُلُ حَيَاةَ الْبَشَرِ وَ يَطُورُهَا لِلْأَفْضَلِ.

وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ إِذْ أَنْظَرْنَاهُمْ إِلَىٰ ظُهُورِهِمْ فَذَبُقُوا الْحَصَىٰ أَنفَرًا فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَٰئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذْبًا وَكَانُوا صَادِقِينَ

وَالفكره الأولى:التى تقول ان للحضارات دوره حياتيه حتميه مثل مراحل الحياه للشخص،من الطفوله الى الشباب الى الشيخوخه فالموت.

و الفكره الثانيه:التى تقول أن الحضارات انما هى نتيجه فكره حضاريه تنمو حولها و بها امكانيات المجتمع حتى تصبح حضاره.

و الفكره الثالثه:التى يمكن استنباطها من هذه الآيات-لو صح التفسير الذى فسرناه بها-هى:

أن هناك سببين للحضاره،سبب طبيعى هو تحدى الصعوبات الفاسده من ظروف قاسيه أو من صراعات اجتماعيه،إذ ينشأ من هذا التحدى الصراع فإصلاح النواقص فالرخاء و الرفاه،و هذا السبب الطبيعى يتحرك وفق سنن طبيعيه تقريبا كسائر القوانين الاجتماعيه.

و السبب الثانى هو:الايمان بفكره رساليه و الالتزام بمنهجها(الايمان و التقوى) و لهذا السبب سنّته الذاتيه،بمعنى أن الحضاره تبقى مع الايمان و التقوى.

[٩٧]و لان هلاك المجتمعات الفاسده يكون فجائيا بعد تراكم السيئات، و إحاطتها بالذين يكتسبونها،فان علينا أن نترقب بأس ربنا فى كل لحظه،ليلا و نهارا،فى حاله النوم أو فى حاله الغفله!!

أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ [٩٨] أَوْ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يُلْعَبُونَ [٩٩] أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يُأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ من هم الخاسرون؟ الخاسرون هم الذين يحسبون ان تراكم المكاسب الظاهريه، و بناء العمارات الشامخه، و الشوارع المعبده و المضاهه، و المصانع الكبيره، و الملاعب الواسعه، و الجيوش المسلحه بأحدث الأسلحه، إن كل ذلك يكفي في بناء الحضاره و تحقيق طموحات البشر.. كلا، ان ذلك ما كان ليتم لولا القيم السليمه، و التطلعات المشروعه، و المناهج الصائبه، و لولا- ذلك لحملت الحضاره نقيضها في ذاتها، حيث يلتف عليهم العذاب من حيث لا يشعرون فيقضى عليهم، ذلك هو مكر الله، إن المدنيه القائمه على الظلم أو الطغيان، و المجتمع القائم على الاستغلال و الطبقيه، و الثقافه القائمه على المصالح الذاتيه كل ذلك مهدد بالزوال في كل لحظه و بصوره مفاجئه.

إذ أن المظلومين المستغلين، و المستضعفين المقهورين سوف ينتفضون بعد أن يطفح بهم كيل الغضب، فلا- يهابون الموت فيدمرون كل شيء في لحظه، و الله سبحانه ينزل عليهم صاعقه من عذابه بعد أن تنتهي الفرصه الممنوحه لهم، و الأجل المحدود لاختبارهم، فيقضى عليهم، انه مكر الله و لا يأمن مكره أحد.

ان المكر هو: الالتفاف حول شيء و أن يأتيه الأمر من حيث لا يحتسب الفرد، و الذي لا يحسب لمكر الله حسابا يخسر، لأنه يبنى دون أن يملك ضمانه لاستمرار بنائه، و هو أشبه بجيش لا يسد على نفسه الثغرات الخلفيه، و ينظر فقط من جهه واحده، حيث أن العدو يأتيه من الخلف فيقضى عليه، إن على البشر أن يلاحظ

خلفيات الأمور، وعوامل الهدم و الدمار، و قيم التقدم و الاستمرار.

[١٠٠] لكى تكون لديك بصيره نافذه، تعرف بها عوامل الدمار التى لا ترى ظاهرا، عليك أن تعتبر من التاريخ، و تدرس حال الأمم التى بادت و أورثك الله الأرض من بعدهم، أولئك الذين أحاطت بهم ذنوبهم، و أغلقت قلوبهم فلم تسمع الحقيقه، و أنت أيضا مع مجتمعك يمكن أن يصيبكما الله بذنوبكما، فتغلق قلوبكما و تندحر حضارتكما.

أَوْ لَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَوْ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ الْاِسْتِخْلَافَ وَ التَّوَارِثَ هِدَايَه كَافِيَه لَهُم لِيَعْرِفُوا.

أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ كَمَا أَصَابَ اللَّهُ أَوْلِيَّكَ بِهَا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ لِيَكُونُوا هُم الْوَارِثِينَ.

وَ نَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ

آثار الذنوب:

إن الذنوب تعكس خطين من الآثار السلبيه فى حياه البشر الخط الأول: فى الواقع الخارجى، فالظلم و الإرهاب و الجريمه كل ذلك يخلف الخراب و الغضب و التحدى فى واقع الطبقيه و المجتمع.

الخط الثانى: فى الإنسان العامل بالذنب، فالظلم يغشى القلب، و يضعف الاراده، و يقتل الوجدان، و يحجب العقل، و كذلك الإرهاب و الجريمه، و القرآن يشير الى أن هلاك الأمم كان يتم بسبب تراكم آثار الذنوب على كلا الخطين، فمن

جهه كان الله يصيبهم بذنوبهم و تراكمات آثار الخطين فى الواقع الخارجى، و من جهه ثانيه كان الله يطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون بسبب تراكمات الآثار النفسيه، و لا يقدرّون على الاستجابه لمغيرات الحياه أو الانتباه الى أجراس الخطر التى كانت تدق على مسامعهم، بل حتى أنهم كانوا يكذبون بآيات العذاب و هى قادمه إليهم، فمثلا كان بعض الهالكين من الأمم السابقيه يرون سحابه العذاب فيزعمون أنها سحابه رحمه ممطره، فتمطر عليهم العذاب بدل الرحمه، كذلك بعض الأنظمه اليوم تزعم أن الانتفاضات الجماهيريه انما هى من خارج أراضيها، بينما هى من الفساد فى ذات النظام.

[١٠١] و من علائم طبع القلب و انغلاقه عن الاستجابه للمتغيرات، أو فهم إشارات الخطر: أن الرسل كانوا يأتون إليهم بالبينات و الآيات الواضحه و لكنهم يكذبون بها، حتى يدمر الله عليهم قريتهم.

تِلْكَ الْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَجْلِهَا ۖ لَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ ۖ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ ۚ إِنَّهُمْ كَذَّبُوا بِالْقِيمِ أُولَٰئِكَ أَنْحَرَفُوا، فجاءت الرسل تنذرهم بالخطر من بعد أن تراكمت ذنوبهم و أحاطت بهم فلم يعبأوا بذلك.

كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْكَافِرِينَ ۚ حِينَ يَكْفُرُ الْمَرْءُ يُوَثِّرُ الْكُفْرَ فِي قَلْبِهِ فَيَنْغَلِقُ دُونَ التَّوْحِيدِ السَّلِيمِ، ذلك لأن الكفر يأتى نتيجة الاستكبار عن الحق، و الغرور بالذات، و حين يستجيب المرء للكفر يزداد تكبرا و غرورا، و هكذا حتى تنسد منافذ قلبه جميعا، حيث إن الاستكبار عدو الفهم السليم.

[١٠٢] و اللّٰه سبّحانه حين اهلك الأمم السابقيه لم يهلكهم إلاّ- بعد أن توافرت فيهم أسباب الهلاك- و منها: نقض العهد، و الفسق، أما نقض العهد فهو حاله نفسيه تنعكس في تعامل الإنسان مع القيم و التزامات البشر، فالكذب و الغيبه، و التهمه و إخلاف المواعيد، و الغش و التدليس، و النفاق كل ذلك من مظاهر نقض العهد، حيث يتظاهر الفرد بشيء، و يتعهد به ظاهرا و لكنه ينقضه، و كذلك عدم الدفاع عن الوطن، و عدم التعاون في مقاومه الظلم أو مواجهه مشكلات طبيعيه.

أما الفسق فهو تجاوز الحد في السلوك الشخصى مثل: أكل الحرام، و التهاون في الحقوق.

وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِن وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ

اشاره

ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَ مَلَائِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ (١٠٣) وَقَالَ مُوسَىٰ يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٠٤) حَقِيقٌ عَلَيَّ أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ (١٠٥) قَالَ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (١٠٦) فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ (١٠٧) وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ (١٠٨)

اللغة

١٠٥ [حقيق]: جدير و خليق.

١٠٨ [مزع]: النزاع ازاله الشيء عن مكانه الملابس له المتمكن فيه كنزع الرداء عن الإنسان، و النزاع و القلع و الجذب نظائر، و فلان ينازع إذا أرادت روحه أن تفارق جسده.

ص: ٣٩٥

إشاره

و عاقبه المفسدين

هدى من الآيات:

بعد الحديث عن تلك المجتمعات التي بادت و هلكت بسبب فسادها، جاء الحديث يبين لنا عاقبه مجتمع آخر أعرق حضاره و أشد جاهليه و أطول صراعا، ذلك هو مجتمع فرعون و ملائه، و يطول الحديث القرآنى حول هذا المجتمع هنا و فى سور أخرى، ربما لأنه أقرب صورته للمجتمع الذى سوف يتكون بالإسلام.

موسى (عليه السلام) يبعثه الله بالآيات البينات الى فرعون و ملائه من المستكبرين حوله، و لكنهم يظلمون الآيات، فاعتبر بعاقبه هؤلاء المفسدين، تلك العاقبه المشتركه فى الجذور و السنن بالرغم من الاختلاف فى التفاصيل المشتركه بين قوم موسى و قوم نوح و هود و صالح و لوط و شعيب، تلك العاقبه التى لو استخلص المرء عبرها لاستطاع أن يتجنبها.

و جاء موسى (عليه السلام) الى فرعون ليعرّف نفسه بأنه رسول رب العالمين،

و أنه يجب ألا يقول على الله إلا الحق، و انه جاء بينه من الله و برسالة هي إنقاذ بني إسرائيل المستضعفين.

و تحدى فرعون موسى (عليه السلام) و طالب بالآيات إن كان صادقا، و استجاب موسى (عليه السلام) لتحديه فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ
تُجِبَانُ مُبِينٌ، وَ نَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ .

و هكذا بدأ الصراع بين فرعون و رسول الله الذي يحدثنا السياق عنه عبر دروس عديدة.

بينات من الآيات:

ظلم الحقائق:

[١٠٣] الظلم قد يقع على البشر و قد يقع على فكره أو حقيقه، و البشر المظلوم لا بد أن يأخذ حقه عاجلا أم آجلا، كذلك الحقيقه المظلومه التي ترك الظالم العمل بها أو حتى الاعتراف بها، و حين تظلم الحقيقه يعم الفساد، و عاقبه الفساد هي الهلاك، و هكذا كانت قصه موسى مع قومه.

ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ أُمَّمًا مِنْ بَعْدِكَ الرِّسَالَاتِ وَ أَوْلَتْكَ الرِّسَالَاتِ .

مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَ مَلَائِكِهِ كَمَا فِي الْمَجْتَمَعَاتِ السَّابِقَةِ كَذَلِكَ فِي مَجْتَمَعِ فِرْعَوْنَ، كَانَ النَّاسُ مَنقَسِمِينَ إِلَى الْمَلَأِ وَ هُم
كِبَارُ الْقَوْمِ وَ الْعَامَةِ .

فَظَلَمُوا بِهِ^{١٠٣} أَيَّ بَتَلَكِ الْآيَاتِ، وَ الْآيَاتِ هِيَ الْعَلَامَاتِ الَّتِي تَدُلُّ عَلَى الْحَقِيقَةِ، وَ الظلم بها يعنى ظلم الحقيقه أو بالأحرى ظلم الإنسان لنفسه عن طريق ظلم الحقيقه و كفره بآياتها.

فَمَا نَظَرُ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ أَوْ لَمْ يَهْلِكُوا بِخِزْيٍ وَ عَارٍ، إِنْ الْفَسَادُ هُوَ كُلُّ حَرَكَةٍ مُخَالَفَةٍ لِسُنَنِ اللَّهِ فِي الْحَيَاةِ، وَ مُخَالَفَةُ الْآيَاتِ الْحَقِيقَةِ، وَ إِذَا تَدَبَّرْنَا فِي هَذِهِ الْمَجْمُوعَةِ مِنْ الْآيَاتِ ابْتِدَاءً مِنَ الْآيَةِ (٥٦) مِنْ هَذِهِ السُّورَةِ حَيْثُ تَقُولُ: (وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْرِ آلِ إِبْرَاهِيمَ) وَ حَتَّى آخِرِ الْقِصَصِ الَّتِي تَحْكِي عَنْ صِرَاعِ الْأَنْبِيَاءِ مَعَ مَجْتَمَعَاتِهِمُ الْجَاهِلِيَّةِ يَتَبَيَّنُ لَنَا هَذَا الْمَعْنَى الْعَامَّ لِلْفَسَادِ وَ هُوَ مُخَالَفَةُ سُنَنِ اللَّهِ وَ آيَاتِ الْحَقِيقَةِ.

[١٠٤] وَ اللَّهُ سَبْحَانَهُ يَصْلِحُ الْعَالَمَ، وَ يَنْزِلُ عَلَيْهِ بَرَكَاتُهُ، وَ يَكْمَلُ وَجُودَهُ وَ يَطْوِرُهُ نَحْوَ الْأَفْضَلِ، فَهُوَ رَبُّ الْعَالَمِينَ، وَ لِذَلِكَ فَهُوَ يَبْعَثُ رُسُلًا مِنْ لَدُنْهِ إِلَى الْبَشَرِ لِذَاتِ الْغَايَةِ الَّتِي مِنْ أَجْلِهَا سَخَّرَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ وَ النُّجُومَ، وَ لِذَاتِ الْهَدَفِ الَّتِي يَرْسِلُ الرِّيَّاحَ بِشَرَا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ.

وَ قَالَ مُوسَى يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ

بين التكذيب و التصديق:

[١٠٥] كَانَ الرِّسَالُ (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) يُؤَكِّدُونَ فِي دَعْوَتِهِمْ عَلَى هَذِهِ الْحَقِيقَةِ وَ هِيَ: أَنَّ الْكُذْبَ عَلَى اللَّهِ جَرِيمَةٌ كَبِيرَةٌ وَ ذَنْبٌ عَظِيمٌ، وَ هَذَا التَّأَكِيدُ يَكْشِفُ لِلنَّاسِ أَنَّهُمْ (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) لَا يَدَّ أَنْ يَكُونُوا وَاحِدًا مِنْ نَوْعِينَ مِنَ الرِّجَالِ: فَامَّا أَنْ يَكُونُوا مُجْرِمِينَ مِنَ الدَّرَجَةِ الْأُولَى - حَاشَاهُمْ - وَ سِيرَتِهِمْ حَافِلَةٌ بِالْأَمَانَةِ

و الصدق و الفداء و هذه الصفات تكشف للناس غير ذلك، و إما أن يكونوا صادقين، و لولا هذا التأكيد المكرر على أن الافتراء على الله ضلاله كبرى و جريمه نكراء، لكننا نحتمل أن يكون النبي كاذبا لمصلحه الناس مثلا دون أن يعرف أهميه الكذب أو مدى قبحه، و موسى (عليه السلام) بدأ حديثه مع فرعون بهذه الكلمه.

حَقِيقٌ عَلَيَّ أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ أَيَّ يَجِبُ إِلَّا - أقول على الله إلا الحقيقه، و هذا الوجوب أعرفه جيدا و اعترف به، فانى بعيد عن الكذب على الله بسبب اعتبار ذلك جريمه، و أكثر من هذا انى أملك بينه واصله على ذلك.

فَدَّ جِثَّتْكُمْ بَيْنَهُ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَقَدْ كَانَتْ رَسُولَهُ اللَّهُ عَلَى مُوسَى ذَاتَ صِفَةٍ اجْتِمَاعِيَةٍ وَاضِحَةٍ، حَيْثُ طَالِبُ مُوسَى فِرْعَوْنَ بِكَفِّ الظُّلْمِ عَنِ بَنِي إِسْرَائِيلَ الَّذِينَ اسْتَضَعَفَهُمْ فِرْعَوْنُ، وَ مِنْ الْمَعْلُومِ أَنَّ مُوسَى (عَلَيْهِ السَّلَامُ) كَانَ يَهْدَفُ أَيْضًا نَجَاهُ فِرْعَوْنَ وَ قَوْمِهِ مِنْ ضَلَالَتِهِمْ، لَكِنْ بَدَأَ رِسَالَتَهُ مِنْ حَيْثُ كَانَ الْإِنْحِرَافُ الْكَبِيرُ أَوْ الْفَسَادُ الْعَظِيمُ، وَ هَكَذَا يَنْبَغِي أَلَّا تَكُونَ دَعْوَةُ الْمَصْلُوحِينَ فِي الْفِرَاقِ، بَلْ مَتَّجِهَةً إِلَى أَكْبَرِ انْحِرَافَاتِ الْمَجْتَمَعِ لِكَشْفِهَا وَ إِصْلَاحِهَا.

[١٠٦] أما فرعون رأس هرم المجتمع الفاسد، و قائد الملاء الكاذب فانه تحدى موسى (عليه السلام)، و طالبه بالآيه التي جاء بها.

قَالَ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ [١٠٧] و استجاب موسى (عليه السلام) للتحدي فورا.

فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُجْبَانٌ مُّبِينٌ [١٠٨] وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاطِرِينَ كانت يده (عليه السلام) التي تشع بالبياض. آيه واضحه
على صدق رسالته.

ص: ٤٠٠

إشاره

قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ (١٠٩) يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَا ذَا تَأْمُرُونَ (١١٠) قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ (١١١) يَا تَوْكَّ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ (١١٢) وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ (١١٣) قَالِ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ (١١٤) قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ (١١٥) قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ (١١٦)

اللغه

١١١ [أرجه]: أخر أمر عقوبتهما.

[حاشرين]: جامعين للسحره.

١١٦ [واسترهبوهم]: خوفوهم تخويفا شديدا.

هدى من الآيات:

كانت تلك الرساله رساله الله بيناتها و دلائلها، فلننظر الى ذلك الطرف لنرى ما هو جواب المستكبرين من قوم فرعون؟ انهم اعتمدوا على عده وسائل لمقاومه رساله الله، و لم يكن بينها بالطبع الاهتداء بها أو مواجهتها الحجّه بالحجه.

فأولاً: قالوا لموسى انه ساحر عليم ليضللوا الناس عن رسالته.

ثانياً: استثاروا حب الأمن لدى الناس، و اتهموا موسى بتعكير الأمن عليهم.

ثالثاً: توسلوا الى القوه و اعتقلوا موسى و أخاه.

رابعاً: جمعوا المشعوذين من سحره البلاط، و هكذا جاء السحره لفرعون و لكن لم يكن لهم رساله اجتماعيه أو اصلاحيه بل جاؤوا اليه طلباً للمال و الجاه، فوعدهم

فرعون أن يجعلهم من المقربين إليه، فسألوا موسى (عليه السلام) أن يلقى ما لديه أولاً، فتحداهم موسى و طالبهم بالمبادره، فلما ألقوا سحرهم سحروا أعين الناس و استرهبهم سحرهم و قد كان سحرا عظيما.

و هكذا جمع الطاغوت كل قواه الماديه لمقاومه الرساله، و لكن ترى هل يقدر على ذلك؟ هذا ما يتحدث عنه القرآن الحكيم فى الدروس القادمه إنشاء الله.

بينات من الآيات:

التهمة الرخيصة:

[١٠٩] فى الاجابه على تلك الأدله الفطريه الواضحه قال الاشراف و المستكبرون من قوم فرعون: إن موسى ساحر عليم، فى محاوله لتضليل الجماهير المستضعفه.

قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ و الناس كانوا يعرفون السحره آئنذ، و يعرفون انهم يستخدمون ما عندهم من علم و فن ليس فى خدمه الناس و انما فى خدمه السلاطين أو خدمه أغراضهم الدينئه، و دائما يحاول أعوان الطاغوت ألقاء شبهه معينه بين الناس من النوع الذى يعرف الناس أمثاله، فمثلا: لو قام مفكر أصيل بنشر ثقافه ثوريه عاليه بين الناس اتهمه أولياء الطاغوت بأنه صحفى عميل، أو كاتب مأجور، لان الناس يعرفون كثيرا من الصحفيين العملاء و الكتاب المأجورين، حتى أنهم يشتبهون فعلا فى المفكر الأصيل، أو إذا قام عالم دين تقدّمى صالح لقياده ثوره الجماهير قالوا: انه رجل دين رجعى، لأنه كثيرا ما رأى الناس مثل ذلك.

[١١٠] ثم توسل أشراف قوم فرعون بما يتوسل إليه عادة كل الطغاه من اتهام الثوار بمحاوله تعكير صفو الأمن على الجماهير فقالوا:

يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ و ثالث أسلوب استخدمه الملام من قوم فرعون لمقاومه رساله الله كان الاعتقال، باعتباره حاجزا بين صاحب الرساله و بين الجماهير، و أما الأسلوب الرابع فكان حشد كل الذين يرضون ببيع علمهم و فنهم لقاء أجر محدود لمصلحه السلطات الطاغوتيه لذلك.

[١١١] قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ يَا تُوَكَّ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ أى اسجنه هو و أخاه، و أرسل الشرطه ليحشدوا السحره.

[١١٢] و يبقى السؤال: ما هو السحر؟ إن أساس السحر هو: التأثير في الخيال في الطرف الثانى لكى يزعم شيئا معيناً غير الحقيقه، و السحر قد يكون عن طريق غسيل الدماغ الذى يستخدمه العلم الحديث، أو عن طريق الدعايات الباطله، و قد يكون عن طريق بعض أنواع الشعوذ، مثل ما فعله سحره فرعون حيث وضعوا الزئبق في أجسام لينه تشبه العصى ثم ألقوها فتحركت بفعل تحرك الزئبق بحراره الشمس، و على العموم ليس السحر سوى استخدام الوسائل الطبيعیه الغير معروفه للناس في سبيل إقناع الآخرين بغير الحقيقه.

[١١٣] و السحره أولئك المأجورون الذين لم تكن لديهم رساله في الحياه إلا إشباع شهواتهم العاجله و قد سألوا فرعون قبل كل شىء عن الأجر.

وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ وَيبدو ان السحره كانوا يخشون الهزيمه بسبب معرفتهم ببطلان سحرهم، و أنهم لا يقولون الحق، كما يبدو أنهم قد اجهدوا أنفسهم فى الحصول على كل وسيله ممكنه من وسائل السحر، و لهذا سألوا فرعون الأجر.

[١١٤] أما فرعون الطاغوت الذى رأى أن كيانه يتداعى تحت ضربات عصى موسى المعجزه، فانه كان كريما فى إعطاء الوعود.

قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ حيث عرف فرعون أن طائفه السحره يجب أن تكون على مقربه منه لمواجهه الظروف الطارئه، كما أن الملوك و الرؤساء و طغاه اليوم يصطحبون معهم رتلا من الصحفيين المأجورين، و المستشارين العملاء الذين باعوا ما لديهم من فكر و علم و أدب من أجل تدعيم نظام الظلم و القهر.

التحدى الرسالى:

[١١٥] و حشدت الجماهير، و وقف موسى يتحدى كل ذلك الكيان الطاغوتى، فرعون و جنوده و سحرته، يتحداهم وحده بالتوكل على الله، و الثقة المطلقه بوعده الصادق بنصره، لذلك.

قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّمَا أَنْ تُلْقِيَ وَإِنَّمَا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ [١١٦] قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرَهُبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرِ عَظِيمٍ

ص: ٤٠٥

ان موسى (عليه السلام) واثق من النصر لأنه على حق، ولأنه يعتمد على ركن شديد هو الله سبحانه، لذلك أمرهم بأن يخرجوا ما لديهم من مكر و سحر، كما أمر نوح (عليه السلام) قومه بأن يجمعوا أمرهم و ان يأتوا اليه من دون نظره و مهل.

و هكذا كل الدعاه الى الله سبحانه يتحدون الأنظمة الطاغوتيه دون خوف، و ينازلونهم فى ميدان المواجهه الشامله، و هذا بذاته دليل صدقهم و اعتمادهم فقط على الله، و على الحق الذى يحملون رسالته.

ص: ٤٠٦

وَ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ (١١٧) فَوَقَعَ الْحَقُّ وَ بَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١١٨) فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَ انْقَلَبُوا صَاغِرِينَ (١١٩) وَ أَلْقَى السَّحْرَهُ سَاجِدِينَ (١٢٠) قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (١٢١) رَبِّ مُوسَىٰ وَ هَارُونَ (١٢٢) قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكْرُومٌ فِي الْمَدِينَةِ لِخُرُوجِهَا مِنْهَا أَهْلُهَا فَسَوْفَ نَعْلَمُونَ (١٢٣) لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَ أَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ (١٢٤) قَالُوا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ (١٢٥) وَ مَا نَنْقِمُ مِنْهَا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَ تَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ (١٢٦)

هدى من الآيات:

و جاءت مرحله الحسم، و أوحى الله سبحانه الى موسى بإلقاء عصاه، فاذا بها تتحول الى ثعبان عظيم يتلع سحر قوم فرعون، و إذا بالحق الذى كان يبشر به موسى أصبح واقعا، و الباطل الذى كان يحذر منه تبين بطلانه للجميع.

و انهزم فرعون و قومه و ذلوا، و كان أول من عرف عظمه المعجزه سحره فرعون أنفسهم حيث وقعوا ساجدين لله، و هتفوا بأنهم آمنوا برب العالمين رب موسى و هارون، و ارتاع فرعون، و عرف أنه لا يجديه السحر و المكر شيئا، و أن عليه أن يستخدم آخر الأسلحه و هو سلاح الإرهاب، فقهر سحرته و قال لهم: أ تؤمنون بموسى قبل أن يصدر الاذن منى و اقرر نهايه المعركه لصالح موسى باعتبارى ملكا، ثم اتهمهم بما يتهم كل طاغوت من يخرج عليه، اتهمهم بأنهم يهدفون إشاعه الفوضى و المؤامره على أمن البلد، و يريدون إخراج الناس، و هددهم بأنه سوف يصلبهم أجمعين.

أما المؤمنون فإنهم قبلوا التهديد بكل رحابه صدر وقالوا: إن الموت هو جسر العبور للعودة إلى الله تعالى، وقالوا له: إن تهمة باطله، وإنما تريد أن تعذبنا لأننا آمننا بآيات ربنا، وعلامات الحقيقة حيث جاءتنا، وطلبوا من الله سبحانه أن يمد لهم بالصبر، وأن يختم عاقبتهم بالخير.

و هكذا اسدل الستار على مشهد آخر من مشاهد صراع الحق و الباطل.

بينات من الآيات:

التوكل على الله سر العظمة:

[١١٧] موسى الذي تحدى كل ذلك الطغيان الجاهلي العظيم بسحره و جبروته و ارهابه لم يفعل ذلك بقدرته الذاتية، بل بالقدره المعنويه- بالتوكل على الله- و هذا هو سر العظمة، إذ لو كان موسى يملك سحرا أقوى ثم يتحدى سحر السحره، أو كان يملك جيشا أكبر ثم يتحدى الطاغوت فرعون، أو يملك جماهير أكثر إذن ما كان له هذا الفخر و هذه العظمة، إنما كان يتحدى الجاهليه بعصاته التي يخشى منها حين يلقبها، لأنه لا يعرف كيف تتحول إلى ثعبان، و حين وقف موسى أمام السحره و رأى سحرهم العظيم، و أنهم استرهبوا الجماهير، و كادوا يضللونهم أو جس في نفسه خيفه، لأنه يخاف من غلبه الجهال و دول الضلال كما جاء في الحديث، و لكن يشاء ربه امتحان الناس بهذا السحر، و امتحان استقامته، و حين ينتصر موسى بعصاه حينذاك تكون عظمه موسى، لأنه يعتمد على الايمان، و يضحى بنفسه في هذا المجال، لذلك يؤكد ربنا على الوحي في مواجهه الجاهليه و يقول:

وَ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ أَي تبتلع إفكهم و انحرافهم و كذبهم.

[١١٨] وحين يصبح الحق واقعا عينيا يؤمن به الجميع، ولكن قبل ذلك لا- يؤمن به سوى أصحاب البصائر النافذه و الرؤى الصادقه.

فَوَقَّعَ الْحَقُّ وَ بَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ إِنَّهُمْ عَمَلُوا الْبَاطِلَ وَ أَرَادُوا تَكْرِيسَهُ، و لكن الحق و هو سنه الله و فطرته و قانونه فى الحياه هو الذى انتصر أخيرا، فالظلام فى الليل يزيله بصيص نور شمعته، و كما ان هذه الشمعه قطعت الظلام كذلك النور فى النهار، و كذلك العدالة الاجتماعيه و كذلك فى المقابل سقوط الظلم و انهيار الفساد.

[١١٩] أما قوم فرعون فلحقهم الخزى و الهزيمة.

فَعَلَبُوا هُنَالِكَ وَ انْقَلَبُوا صَاغِرِينَ [١٢٠] و المفاجئه كانت حين ألقى السحره ساجدين، تلك كانت الاصابه فى مقتل النظام الماكر.
وَ أُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ [١٢١] قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ [١٢٢] رَبِّ مُوسَى وَ هَارُونَ

فلسفه الاستبداد:

[١٢٣] للاستبداد و الدكتاتوريه فلسفه يعتمد عليها و يشيعها الطاغوت بين الناس، هذه الفلسفه هى قاعده كل تشريعاتها، و منطلق كل تصرفاتها، و هى:

المحافظه على الأمن ضد العدو الخارجى أو الداخلى، حتى ان الطواغيت يصطنعون

عاده أعداء و همين، أو يستزيدون عداء الشعوب فيختلقون الحروب لكي يعتمدوا عليها في ترسيخ كياناتهم الباطل، و فرعون كذلك عاد الى تلك الفلسفه الباطله لكي يخرج من ورطته المخزيه، حيث أنهار عمود من أعمده حكمه و هو السحر، و وقع السحره ساجدين لله لذلك.

□ قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّ فِرْعَوْنَ انْطَلَقَ مِنْ فِكْرِهِ خَاطِئَةٌ هِيَ: أَنْ مَلَكَهُ وَ نِظَامُهُ هُوَ أَسَاسُ أَمْنِ الْبَلَدِ، لِذَلِكَ فَانْكُمْ حِينَ آمَنْتُمْ بِمُوسَى قَبْلَ أَنْ تَنْصَدِرُوا الْإِذْنَ مِنِّي فَانْكُمْ خَالَفْتُمْ هَذَا الْأَسَاسَ، لِذَلِكَ قَالَ فِرْعَوْنُ:

□ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكْرٌ تَمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ أَوْ بِالتَّعْبِيرِ الشَّائِعِ الْيَوْمَ أَنَّهَا مُؤَامِرَةٌ قَمْتُمْ بِهَا فِي الْبَلَدِ.

□ لِيُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا □ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ [١٢٤] و عاد الى السلاح الأخير و هو الإرهاب، ذلك السلاح الذي تعتمد عليه الديكتاتوريه قبل كل شىء، بالرغم من أنها لا تصرح به، و من أهم نتائج الصراعات الرساليه مع الديكتاتوريه هو: فضح اعتمادها على الإرهاب ليعرف الجميع أن الادعاءات الاخرى إن هي إلا غطاء لهذا السلاح.

□ لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَ أَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافِ أَيْ تَقْطِيعِ الرَّجْلِ مِنْ طَرَفٍ وَ الْيَدِ مِنْ طَرَفٍ آخَرَ.

□ ثُمَّ لَأَصْلَبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ وَ ذَلِكَ لِلْجَمْعِ بَيْنَ النَّوعَيْنِ مِنْ أَنْوَاعِ الْأَعْدَامِ، الْأَعْدَامِ بِتَنْزِفِ الدَّمِ مِنَ الْيَدِ

و الرجل المقطوعتين من اليمين و اليسار، و الاعدام بالصلب فى جذوع النخل، و ذلك بشد الفرد على الجذوع حتى يقضى عليه تنكيلا به، و ليشهد موته كل الناس فيكون رادعا لهم عن الايمان بالرساله.

[١٢٥] قَالُوا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ [١٢٦] وَمَا نَنْتَقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَ تَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ و هكذا استعد السحرة الثائبون لمواجهه مكر فرعون و كيده، تضليله و إرهابه، فمن جهه قالوا له: إِنَّ غَضَبَكَ عَلَيْنَا لَيْسَ إِلَّا لِأَنَّا عَدْنَا إِلَىٰ حَرِيتِنَا وَ اسْتَقْلَلْنَا وَ آمَنَّا بِالْحَقِّ مِنْ دُونِ إِذْنِكَ، و من جهه ثانيه تضرعوا الى الله ليرزقهم الصبر الشامل، و الاستقامه حتى الموت، و ذلك لمواجهه إرهاب فرعون و بذلك أتم الله حجته على سائر الملأ من قوم فرعون الذين ظلوا على جهالتهم خشيه فرعون و بطشه، حيث ان السحرة أيضا تعرضوا لمثل ذلك و لكنهم صبروا و استقاموا بالتوكل على ربهم، و أتم الله حجته على بطانه المستكبرين عبر التاريخ انهم قادرون على التوبه الى الله إن شاءوا، كما فعل سحرة فرعون الثائبون، و أتم حجته على الناس ليعلموا ان إيمان المؤمنين لم يكن بدافع مصلحي أبدا.

إشاره

وَ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَ تَدْرُ مُوسَىٰ وَ قَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَ يَذَرَكَ وَ آلِهَتَكَ قَالَ سَيُنْفِقُ أبنَاءَهُمْ وَ نَسِيَتِحِي نِسَاءَهُمْ وَ إِذَا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ (١٢٧) قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَ اصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَ الْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (١٢٨) قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِينَا وَ مِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عِدُوَّكُمْ وَ يَسِيَتَخْلِفُكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ (١٢٩)

هدى من الآيات:

و انتهت الجوله الاولى من المعركه بين موسى و فرعون و ملائئه بانتصار الرساله، و استعاده موسى حريته، و اتبعته الجماهير المستضعفه من قومه، و جاء المستكبرون يخبرون فرعون بأن موسى و قومه يفسدون عليه الأمر، و يهدمون نظامه الطاغوتي، و يتمردون عليه و على نظامه السياسى و الدينى، فخطط فرعون لمرحله جديده من الإرهاب و قال: سنقتل أبناء بنى إسرائيل و نبقى على نساءهم أحياء و نستخدم القوه القهرية عليهم، و قال موسى لقومه و هو يحثهم على مقاومه الضغوط استعينوا بالله -بالايمان به، و بالثقه بوعدده، و بالمناهج الثوريه التى وضعتها لكم القياده الحكيمه- و أمرهم بالصبر و بين لهم أن الأرض ليست ملكا لفرعون و قومه حتى يستحيل انتزاعها منهم، بل هى ملك لله يعطيها من يشاء من عباده، و العاقبه للمتقين.

أما قوم موسى فقد فرغ صبرهم و قالوا له: إننا تحملنا الأذى قبل و بعد مجيئك

إلينا، و لكن موسى طمأنهم و قال: عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عِيْدُكُمْ وَ يَسِيْرَتُكُمْ فِي الْأَرْضِ بِالْأَنْتِصَارِ عَلَيْهِمْ، و الهدف من استخلافكم هو: اختياركم، و امتحان عملكم بعد الانتصار.

بينات من الآيات:

بعد العسر يأذن الله بالنصر:

[١٢٧] و ينصر الله سبحانه الرسالين في أوقات الأزمات الشديده كما نصر موسى عند ما أراد فرعون سحق رسالته بالسحر، بيد أن من واجب الرسالين آئذ ألا يدعو لحظه واحده لا يستفيدوا منها في توعيه الجماهير و تنظيمهم، و ترسيخ دعائم الثوره، و هدم أسس النظام الفاسد، و ذلك استعدادا لجوله جديده من المعركه الساخنه مع النظام الطاغوتي، فهذا موسى (عليه السلام) بعد ان انتصر على فرعون، و استعاد منه حريره، جمع حوله الأنصار، و أخذ يفسد نظام فرعون الطاغوتي من كل جهه ممكنه، و يهدم أساس كيانه و هو الاعتماد على السلطه السياسيه الطاغوتيه التي يمثلها فرعون رأس النظام ذاته، و أيضا السلطه الدينيه و الثقافيه الفاسده التي كان يمثلها: الكهنه و الأحرار لذلك جاء كبار رجال فرعون و مستشاروه اليه يخبرونه بالأمر، و يحذرونه منه.

وَ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَ تَنْذِرُ مُوسَىٰ ۖ وَ قَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَ يَذَرَكَ وَ آلِهَتَكَ يَبْدُو لِي: أن مرادهم بالفساد في الأرض هو هدم الانظمه التفصيليه، و الكيانات و المؤسسات المختلفه للدوله، بينما المراد من ترك فرعون هو ترك سلطانه السياسى، و المراد من ترك الآلهه ترك خلفيه هذا النظام السياسى و الثقافى.

[١٢٨] وحين استخدم فرعون سلاحه الأخير، و أراد تصفيه المستضعفين جسديا، أمر موسى قومه بالاستعانه بالله، و يتساءل المرء: ما هى الاستعانه بالله؟ و نعرف الاجابه إذا تذكرنا بأن لله الأسماء الحسنى، و حين يؤمن العبد بربه يسعى لتجسيد ما استطاع من تلك الأسماء فى ذاته، فالعزه لله و لرسوله و للمؤمنين، و حين يتصل العبد بالله تتجلى فيه صفه العزه الالهيه، كما تتجلى فيه صفه القدره، و عدم الخضوع لضغوط الشهوات، أو الاستسلام للمتغيرات الآنيه العاجله، و بقدر ذلك تتجلى فيه صفه الرحمه و الشده و الحكمه و العلم و..و..

و كلما زادت الأسماء الالهيه الحسنى فى المؤمن تجليا و ظهورا كلما أصبح أقدر على مواجهه المصاعب و تسخير الحياه، و الله سبحانه خلق لعباده وسائل للتقرب اليه، و للاتصال بينايع قدرته و عظمته، و الأخذ بتلك الوسائل هو الاستعانه بالله، فكلما تمسك المؤمن بتلك الوسائل كلما أصبح أشد قدره و أكبر عظمه، و التقوى هى جماع تلك الوسائل، أما تفاصيلها فهى تلك المناهج التشريعيه المعروفه فى الإسلام و فى سائر الرسالات.

و من أبرز تلك الوسائل هى: الولايه الالهيه التى تتجلى فى قياده الرساليه النابعه من المبدأ، حيث ان الاستعانه بالله تعنى بالضروره المزيد من التمسك بهذه القياده، و توحيد الجهود تحت رايتها، لذلك فحين أمر موسى (عليه السلام) قومه بالاستعانه بالله كان يعنى كل ذلك، و لكن مع ذلك ركز موسى (عليه السلام) على صفتين أساسيتين هما: الصبر و التقوى، الصبر لرؤيه المستقبل و الاستقامه على مشاكل الحاضر، و التقوى للالتزام بكل المناهج المفصله التى تضمن تفجير الطاقات، و استغلال المواهب، و تربيته الشخصيه الرساليه العامله، و بالتالى توفير كافه عوامل النصر فى الفرد و المجتمع الرسالى من عوامل ماديه أو معنويه.. من هنا:

قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ و معرفة هذه الحقيقه و هى: أن السلطه الحاكمه ليست أبدية، و إنما هى نتيجة عوامل و معادلات سياسيه اجتماعيه، و انه لو غيرنا المعادله و العوامل سقطت السلطه، و جاء بديلها السلطه الأكثر قوه و كفاءه، و هى حكومه المتقين، معرفه هذه الحقيقه تفجر طاقات الجماهير المستضعفه و تعطيتها الأمل و الصمود.

[١٢٩] و أما قوم موسى فقد طفق كيلهم، و كاد اليأس يحيط بقلوبهم حيث:

قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَ مِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا وَلَكِنْ نَفَقَدَ الْأَمَةَ قَدْرَهُ الْإِحْتِمَالِ مِنْ شِدَّةِ الضَّرِّ الَّتِي يُصِيبُهَا، و حين تتضرع الى الله و ينقطع أملها من النجاه بالوسائل الاصلاحيه المتدرجه، و تعرف أن تغييرا جذريا فى شخصيتها و فى علاقاتها مع بعضها و مع الطبيعه أنه الكفيل بنجاتها، و هذا لا يمكن إلاّ- عن طريق الايمان بالله و برسالاته، حينذاك فقط تنزل عليها رحمه الله سبحانه لذلك ذكرهم موسى و..

قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوُّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ و الانتصار إنما هو بهدف الامتحان، و على الأمه ألا تفكر فى ذلك الانتصار الرخيص الذى هدفه استعلاء طائفه، و استكبار فريق مكان فريق آخر، بل تفكر سلفا أن الانتصار لا يحصل لفريق أو لحزب أو لطائفه بل للمبدأ، و تعمل الأمه فى هذا المجال حتى تنجح بإذن الله.

لذلك فان الحركات الحزبيه التى همها انتصارها هى لا انتصار الأمه، تفشل فى الأكثر، لأن الله لا ينصر أمه إلا بعد أن تتضرع إليه، و يكون هدفها رساليا خالصا.

اشاره

وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَ نَقْصِ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ (١٣٠) فَإِذَا جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِيبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ أَلَّا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (١٣١) وَقَالُوا مَهْلِكُمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ (١٣٢) فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفْصَلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ (١٣٣) وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَىٰ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ (١٣٤) فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الرِّجْزَ إِلَىٰ أَجْلِ هُمْ بِالْعُوقُوبَةِ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ (١٣٥) فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ (١٣٦) وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَعَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَ تَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَ دَمَرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَ قَوْمُهُ وَ مَا كَانُوا يَعْرِشُونَ (١٣٧)

اللغه

١٣٥[ينكثون]:انكث نقض العهد الذي يلزم الوفاء به.

۱۳۷ [يعرشون]: بينون، يقال عرش مكه أى بناؤها.

۱۳۹ [متبر]: مهلك مدمر.

ص: ۴۱۹

هدى من الآيات:

و هذا مشهد آخر من مشاهد الصراع بين الرساله و الرجعيه الجاهليه، حيث إن الله أراد أن يهدى آل فرعون عن طريق كسر غرورهم، و تذليل نفوسهم المستكبره بالمصائب و المشكلات، و لكنهم استكبروا و كانوا يزعمون أن الخير و الرفاه هو الأصل في حياتهم و هو منهم، و أما الشر و المصائب فهي من نحس موسى (حاشاه) و لم يكونوا يشعرون بأن كل خير أو شر انما هو من عند الله ينزله بسبب أعمال العباد.

و حين لم تنفع هذه الوسيله في هدايتهم، بل صرحوا بأن الآيات هذه (سواء العصى و اليد البيضاء أو المصائب و المشكلات كالجدب و نقص الثمرات) لا تجديهم نفعاً، و أنهم لن يؤمنوا بالرساله مهما كان، آتئذ أخذهم بالعذاب.

و لقد أرسل الله عليهم الطوفان، و انتشر فيهم الجراد و القمل و الضفادع و الدم بأمر منه سبحانه و كانت هذه الآيات مفصله و واضحه، لكنهم استكبروا عنها و كانوا قوما مجرمين، فاذا كانوا فاسدين فكريا و عمليا.

إنهم كانوا يتوسلون بموسى كلما يقع عليهم الرجز، و يصيبهم العذاب، و يتعهدون له بالايمن لو كشف الله عنهم الرجز، و لكنهم كانوا ينكثون كلما كشف الله عنهم العذاب لأجل محدد.

و كانت تلك المصاعب و المصائب تستهدف هدايتهم، و لكن حيث كفروا و استكبروا حان وقت الانتقام و العذاب، فأغرقهم الله فى البحر بسبب تكذيبهم و غفلتهم عن آيات الله، و عواقب التكذيب بها.

بينات من الآيات:

الغرور سبب الكفر:

[١٣٠] سبب كفر الإنسان و تكذبه بآيات الله هو استكباره و غروره، و كلما كانت حضاره الإنسان و مدنيته و غناه أكثر كلما كان غروره أكبر.

و لكى يكسر الله غرور البشر، فيرتفع عنهم هذا الحجاب الكثيف فيرون الحقيقه، فانه يبعث إليهم رسولا يندرهم و يحذرهم، و يعمل بكل طاقته فى سبيل إثارة فطرتهم، و تنوير قلوبهم، و إيقاظهم من السبات، و لكن إذا ظل أولئك كافرين و مستكبرين عن الحقيقه فهنا يتخذ ربنا سيلا آخر لهدايتهم هو: ابتلاؤهم فى أموالهم أو فى نفوسهم ببعض البلاء العام، فاذا لم ينتفعوا بها أيضا أخذهم الله بالعذاب الشديد، لذلك أخبر الله عن آل فرعون و قال:

وَ لَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ ائِىَّ بِالْقَحْطِ وَ الْجَدْبِ، وَ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مَغْرُورِينَ بِالْأَنْهَارِ الَّتِى تَجْرِى مِنْ تَحْتِهِمْ، وَ بِالنِّيلِ الِّذِى فَجَّرَ اللَّهُ بِهِ خَيْرَاتِ الْأَرْضِ لَهُمْ.

وَ نَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ كَانَ الْمَطَرُ يَمَلَأُ- مراعيهم خضره، و يملأ- نيلهم ماء فيسقى البساتين فتزداد الثمرات، و لكن حين قلّ المطر أصبحت الصحارى جفافاً و البساتين يابسه.

لَعَلَّهُمْ يَذَكَّرُونَ فيعرفون أن هذه المدنيه ليست من ذاتهم بل من الله سبحانه.

[١٣١]البشر قد يغفل و قد ينام و قد يغمى عليه، و لكنه بالمعالجه يتذكر و يستيقظ و يحس، أما الذى فسدت رؤيته و انحرفت ثقافته فانه لا تنفع معه المعالجه، فمثلاً: البشر العادى حين تراه قد استغنى و لا يحتاج الى أحد يستبد به الغرور و الاستكبار، و لكن إذا فقد سبب غروره و افتقر عادت نفسه الى حالته الأوليه و تقبل الهدايه.

أما البشر المعقد الذى تحضّر و استبدت به ثقافه خاطئه، و فقد فطرته الأوليه، فان تلك الثقافه تبقى معه حتى بعد رحيل النعم عنه، و عودته الى الحاله الطبيعيه، فلا يزال مغروراً بذاته و بمنجزات آبائه و بمكاسبهم، لذلك لا يصدق نفسه حتى أن نزل عليه البلاء، بل و يزعم ان هذا البلاء انما سببه بعض الطوائى الخارجه عن إرادته، و انه استثناء، إذ يزعم أن الحضاره جزء من ذاته، و معلوله عن عنصره، و عن بلده و عن أفكاره، لذلك ترى قوم فرعون ينسبون الحسنه الى أنفسهم و السيئه الى موسى (عليه السلام).

فَإِذَا جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ يَقُولُونَ ان السيئه انما هى بسبب موسى، كما تنسب الأنظمه الفاسده اليوم المشاكل كلها الى الحركات الثوريه، حيث تزعم انها-دون فساد أنظمتهم-

سبب التخلف الاقتصادى و التبعية و الإرهاب و ما أشبه.

أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ المشاكل ليست بسبب هذه الحركة أو تلك الفكرة، وإنما بسبب النظام ذاته و بسبب فساد الأعمال، و الله هو الذى يقدر الخير و الشر، و الحسنه و السيئه حسب قوانين دقيقه و ثابتة عند الله سبحانه، يجريها ربنا بحكمته البالغه و بعلمه النافذ، و معرفه هذه الحقيقه تعطى البشر قدره على التحكم فى الحياه.

التطرف فى الكفر:

[١٣٢] و بلغ الكفر و الجحود بآل فرعون حدًا بنوا بينهم و بين الحقيقه سدًا منيعا من الجحود، و تشبثوا بسلسله من الأفكار المخدره التى تفسر كل آيات الحقيقه و معالمها ببعض التفسيرات الباطله.

و قَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِنَشِخَرَنَّا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ فموسى (عليه السلام) لا يزال عندهم ذلك الساحر العليم الذى يعرف كل وسائل السحر، و هدفه ليس هدايه البشر بل تسخير الناس لأهدافه الخاصه، لذلك فهم مصرون على الكفر به، و بآياته أنى كانت واضحه.

و هذه المرحله السحيقه من الكفر هى أخطر دركات السقوط، حيث يصنع الفرد لنفسه تابوتا من المسلمات الفكرية و يصمم على الاحتفاظ بها أنى كان الثمن، إنه عين الضلاله و قمه التعصب الأحمق.

على الإنسان أن يبقى أبدا مفتوح العين، يقظ الضمير، نابه الروح، و لا يقتل وجدانه تحت مطرقه شهواته، و لا يعمى عينه بمسامير بغضه و حقد، و لا يميم ضميره

بحب أو بغض.

إن كثيرا منا يزعم انه إذا فتح عينه مره واحده، و اتخذ طريقا لنفسه يستطيع أن يبقى على ذات الطريق الى الأبد، و يستغنى عن عينه، و لكن كلا.. إن عقل الفرد يتكامل، و روحه تكبر حتى تتسع لمزيد من الحقائق، و فكره ينمو، و العالم يتغير، و آيات الحقيقه تترى.. و لذلك فعلى الإنسان أن يبقى أبدا على يقظه و انتباه، و يستغل كلما لديه من وسائل اكتشاف الحقيقه من عقل و ضمير.

[١٣٣] و لأن آل فرعون افقدوا أنفسهم نعمه البصيره، و اختاروا التفسير الخاطئ لكل الحوادث، فان الآيات المختلفه التى توات عليهم لم تردهم إلا- رسوخا فى الكفر، و توغلا- فى الجحود، لذلك أرسل الله عليهم الطوفان ففاضت أوديتهم حتى دخل الماء بيوتهم، فنصبوا الخيام فى الصحراء، ثم أرسل الله عليهم الجراد فأكلت محاصيلهم الزراعيه، و انتشر فيهم القمل، و الحشرات، و الضفادع التى توالدت بسرعه فى برك الماء المكونه من الفيضانات، و ابتلوا بالدم ربما بسبب الرعاف أو بعض الأمراض الآتية بسبب بعض الجراثيم (كما قال بعض المفسرين) و لكن كل ذلك لم ينفعهم علما و هدى.

فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجُرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَتَعَالَوْا عَنِ الْحَقِيقَةِ، و زعموا أن ذواتهم هى أعلى من الحقيقه، و أرادوا تغيير قوانين الكون حسب أهوائهم، لا تركيه ذواتهم حسب أنظمه الكون.

وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ حيث انهم ظلموا أنفسهم باستكبارهم عن الحقيقه، إن تقدم البشر فى أى حقل

ص: ٤٢٤

من حقول الحياه انما هو رهن بمعرفه أنظمه الكون، واستغلال هذه المعرفه من أجل تسخير الحياه، و تبدأ مسيره البشر القهقرى حين يستهين بهذه الأنظمه، و يتعالى عنها فيظلم نفسه بذلك.

كذب و استكبار:

[١٣٤] ولقد أتمَّ الله حَجَّتَه على آل فرعون بتلك المصائب التي توالى عليهم، إذ ان البلاء يكشف الحجب الكثيفه التي يجعلها الفرد على عينيه مثل: التعصب، و الحقد، و الحب المفرط، و لكن إذا انكشف البلاء عادت الحجب، و عادت مشكله الجحود.

و لَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرَّجْزُ وَهُوَ الْعَذَابُ الْآتِي بِسَبَبِ الْإِنْحِرَافِ، وَ الشَّدُوذُ فِي الطَّبِيعَةِ أَوْ فِي السَّلُوكِ.

قَالَ الْوَالِيَا مُوسَى اذْعُ لَنَا رَبِّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ إِنْ نَظَرْتَهُمُ الْمَادِيهَ الضَّيْقَهُ لَمْ تَزَلْ لِاصِقَهُ بِأَذْهَانِهِمْ، إِذْ أَنَّهُمْ لَا يَزَالُونَ يَزْعُمُونَ أَنَّ الْهَدَفَ مِنْ بَعَثَةِ مُوسَى هُوَ الْإِنْتِفَاعُ مِنْ وَجُودِهِ فِي كَشْفِ الضَّرِّ عَنْهُمْ، وَ لَمْ يَفْقَهُوا دَوْرَ الْمَعْنَوِيَّاتِ فِي حَيَاةِ الْبَشَرِ، وَ أَنَّ رِسَالَاتِ اللَّهِ تَنْفَعُ الْبَشَرَ فِي رَفْعِ مَعْنَوِيَّاتِهِمْ، وَ وَضْعِ بَرَامِجِ صَائِبِهِ لَهُمْ، وَ لَيْسَ فَقَطْ فِي دَفْعِ الْبَلَاءِ الَّذِي يَصِيبُهُمْ بِسُوءِ أَعْمَالِهِمْ، أَمَّا آلُ فِرْعَوْنَ فَقَدْ كَانَتْ نَظَرْتَهُمْ إِلَى الدِّينِ وَ إِلَى حَامِلِي رِسَالَتِهِ كَنَظَرِهِ كَثِيرٌ مِمَّا حَيْثُ نَزِيدُ الدِّينَ لِمَصَالِحِنَا الذَّاتِيهِ لِذَلِكَ قَالُوا:

لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرَّجْزَ وَ الرَّجْزَ يَكْشِفُهُ اللَّهُ بِالتَّوْبَةِ وَ الْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَ لَكِنَّمْ نَسَبُوا الْأَمْرَ إِلَى مُوسَى (عَلَيْهِ السَّلَامُ) لِقَصْرِ نَظَرِهِمْ.

لَتُؤْمِنَنَّ لَكَ وَ لَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ [١٣٥] أو لكن هل كانوا يصدقون؟ كلا..

فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الرِّجْزَ إِلَىٰ أَجَلٍ هُمْ بِالْغُوهِ إِذَا هُمْ يَنْكُتُونَ عهدهم و يعودون الى سابق كفرهم و جحودهم، و عند ذاك تكتمل حجة الله عليهم، إذ لا- يمكنهم في يوم الانتقام التعلل بأنهم إنما كفروا غفلة أو جهلا، فقد عرفوا الحقيقة و لجؤوا إليها، و تعهدوا بالوفاء لها عند ما أحاط بهم البلاء، و الآن ينقضون العهد، و هذه التجربة يمر بها كل فرد و كل مجتمع، حيث إن الله سبحانه يأخذ البشر بالبأساء و الضراء لكي يرفع عن أنفسهم حجب الغفلة و النسيان، و لكي يحتج عليهم لو عادوا الى الكفر بعد الايمان في أوقات العسرة.

سوء المصير:

[١٣٦] و حان ميعاد الانتقام، و أغرق الله آل فرعون في البحر بسبب تكذيبهم بآيات الله، و بالتالي بالحقائق التي وراءها، و بسبب غفلتهم عنها و عن دورها في سعادتهم و خلافتهم.

فَأَنْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَ كَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ [١٣٧] و كما انتقم الله من آل فرعون لتكذيبهم بآيات الله، أنعم الله على بنى إسرائيل لتصديقهم بها، و أورثهم الأرض المباركة ذات الخيرات الوفيرة.

وَ أَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ وَ يقهرون من قبل فرعون و قومه، و هم بنو إسرائيل، أورثهم الله.

مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَ مَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَ تَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ

بِنِي إِسْرَائِيلَ كُلِّ ذَلِكَ بِسَبَبِ تَصْدِيقِهِمُ بِالْحَقِيقَةِ تَصْدِيقًا نَظْرِيًّا وَعَمَلِيًّا، وَالشَّاهِدَ عَلَى تَصْدِيقِ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِالْحَقِيقَةِ هُوَ صَبْرُهُمْ
وَاسْتِقَامَتُهُمْ.

بِمَا صَبَرُوا وَدَمَرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ مِنْ خَزْفٍ، وَصُورٍ، وَأَسْلِحَةٍ، وَأَدْوَاتٍ، وَأَمْتَعَةٍ..و..و..

وَمَا كَانُوا يَغْرِشُونَ مِنْ بَنَائَاتِ فِخْمِهِ، وَحَدَائِقِ، وَحُقُولِ، وَتَمَاثِيلِ، وَبِالتَّالِي دَمَّرَ اللَّهُ أَمْوَالَهُمُ الْمَنْقُولَةَ وَغَيْرَ الْمَنْقُولَةَ بِسَبَبِ
كُفْرِهِمْ، وَهَكَذَا يَنْتَقِمُ اللَّهُ لِلْحَقِيقَةِ.

ص: ٤٢٧

إشاره

وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ (١٣٨) إِنَّ هَؤُلَاءِ مَثَبٌ مِمَّنْ هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مِمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٣٩) قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ (١٤٠) وَإِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُقْتُلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ (١٤١)

هدى من الآيات:

أفضل ساعات البشر و خير أيامه إيماننا و هدى هى ساعه عسرته، و يوم بؤسه، لأنه لا يستكبر هنالك على الحقيقه، و لا يغتر بما لديه من قوه و منعه، و كذلك أفضل مراحل الأمه هى مراحل الثوره حيث تتعرض للضغوط و تتحدى الصعاب.

و بنو إسرائيل حين تعرضهم للاستضعاف من قبل آل فرعون و قومه استقاموا على الطريقه و صبروا، و لكن بعد أن أنجاهم الله، و أورثهم الأرض دفعهم ضعفهم السابق و ذلتهم الى محاوله تقليد الآخرين فى عباده الأصنام و فى مظاهر الدنيا، فحين أتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم، طلبوا من موسى (عليه السلام) أن يجعل لهم صنما كما لأولئك القوم، فذكرهم موسى بأنه لا مستقبل لعبده الأصنام، و أن عملهم باطل، و انه كيف يبحث لهم عن إله غير الله و هو فضلهم على العالمين، بما أنعم عليهم من التوحيد و النصر، ثم ذكرهم أيامهم السابقه، حيث كانوا يتعرضون لأنواع العذاب على يد فرعون، و منها تقتيل أبنائهم، و استحياء نسائهم، و أن ذلك

كان بلاء عظيما، و تزكيه لنفوسهم، و حين أنجاهم الله يعودون للكفر.

و يمكننا أن نستلهم من هذه القصة كيف أن الأمم تفسد بعد الإصلاح، و كيف أن التوجيه ينفعها، و أنّ السقوط ليس سنه حتميه.

بينات من الآيات:

الكفر بعد الايمان:

[١٣٨] هيا الله أسباب النجاه لبنى إسرائيل، تلك الأمه الفتيه التي تستعد الآن لبناء حضارتها بعد تخلصها من سلطه الطاغوت، فتركوا أرض مصر باتجاه فلسطين بعد أن هيا الله لهم أسباب العبور على البحر، و قبل أن تجف أقدامهم من آثار العبور أصيبوا بنكسه إيمانيه، حيث مزوا على قوم يعبدون أصناما لهم فطالبوا موسى (عليه السلام) و هو رسولهم و قائد مسيرتهم باتخاذ إله لهم كما لأولئك القوم.

وَ جَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانُوا يَعِشُونَ تحت سيطره الطاغوت سياسيا و ثقافيا، و كانت علاقاتهم الاقتصاديه ببعضهم منسوجه حسب تلك السيطره، و قام موسى (عليه السلام) و المؤمنون من أصحابه بتفجير ثلاث ثورات متتاليه لانقاذ قومه من السيطره -السياسيه، فالثقافيه، فالاقتصاديه- (و قد سبق الحديث عن ذلك في تفسير سوره البقره) و يبدو أن هذه المرحله هي مرحله الثقافه التي تحمل أيضا في طياتها تصفيه آثار السيطره السياسيه أيضا.

إن قوم موسى عاشوا ردحا طويلا- من الزمن و هم يعانون الذل و الخضوع و الاستسلام للآخرين، و كانت السياسه الطاغوتيه لفرعون هي التي فرضت عليهم

هذه الحالة، و لكنهم على أى حال تأثروا بها نفسيا، فحين أنقذهم الله غيبا بقيت آثار تلك السيطرة عالقه بنفوسهم، و لم يقدرُوا على ممارسه حريتهم و الحضور فى ساحات الحياه، و اتخاذ القرارات المناسبه فيها اعتمادا على أنفسهم، لذلك حنوا الى حالتهم السابقه فطالبوا موسى باله- كما لهم آلهه- و الإله هو السلطان الاجتماعى و السياسى و الثقافى، و رمز هذا الإله هو الصنم، و بنو إسرائيل فى هذه الصفه كانوا تماما مثل الشعوب التى تتحرر من الاستعمار السياسى، و لكنها تقلد الغرب و الشرق فى أنظمتها و ثقافتها، و كأنها تخرج من الاستعمار القسرى و تعود الى الاستعمار اختياريا، و ذلك لاستمرار قابليه الاستعمار فى أنفسهم.

أما موسى (عليه السلام) فقد شرح لقومه أولا العامل الداخلى لهذا الطلب و هو الجهل و قله الوعى.

قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ [١٣٩] و بين لهم ثانيا: ان وضع هؤلاء هالك و لا- دوام له و لا- استمرار، إذ أن الوضع الفاسد لا يملك رصيда واقعا، كشجره مجتثه من فوق الأرض، ظاهرها شجره، و واقعها حطبه.

و بين ثالثا: أن العمل الذى يقوم به الإنسان فى اطار النظام الفاسد هو عمل باطل، و ينتهى الى الدمار حتى و لو كان ظاهر العمل حسنا، مثلا: ظاهر البناء أنه عمل جيد، و لكن إذا كان المهندسون و البنائون و مصانع الحديد و معامل الاسمنت كلها تعمل من أجل بناء معتقل أو قاعده صاروخيه تقذف المستضعفين فان هذا العمل تخريب و ليس بناء، كذلك كل عمل لا يكون ضمن اطار صالح أو هدف مقدس فانه باطل و ينتهى، لذلك قال موسى (عليه السلام) لقومه:

إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَّبِعُونَ مَا هُم فِيهِ وَ بَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ

[١٤٠] ثم بعد أن وضح فساد الوضع الذى يدعون اليه، شرح لهم موسى بأن الرب الذى أنقذهم من سلطان فرعون، وحررهم من الطاغوت خير لهم مما يدعون اليه.

قَالَ أَغَيَّرَ اللَّهُ أَبْنِيَكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ إِنَّ اللَّهَ فَضَّلَهُمْ بِالْحَرِيهِ وَالْعِلْمِ، وَأَنْ يَقُودُوا أَنْفُسَهُمْ بَعِيدٍ عَنْ ضَغُوطِ الطَّاغُوتِ، وَهُمْ يَرِيدُونَ الْعُودَةَ إِلَى الْعِبُودِيهِ.

إن البشر حين ينفى الوهيه أى شىء أو أى شخص من دون الله سبحانه فسوف يكون محررا، مسلطا على نفسه بقدر ما يأذن الله له.

[١٤١] والله سبحانه هو الذى أنجاهم من آل فرعون و بطشهم وقهرهم بالتوحيد، وإن فكره التوحيد التى أنقذتهم من تلك الورطه، أولى بالاتباع من تلك الثقافات الجاهليه التى سهلت استعبادهم واستغلالهم.

وَإِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ أَى يَحْمَلُونَكُمْ الْإِرْهَابَ وَالْعَذَابَ.

يُقْتَلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ وَ هَلْ هُنَاكَ نِعْمَةٌ أَفْضَلُ مِنَ التَّحَرُّرِ مِنَ إِرْهَابِ الطَّاغُوتِ وَ سَيْطَرَتِهِ، وَ كَمْ يَكُونُ الْبَشَرُ غَيِّبًا لَوْ أَرَادَ الْعُودَةَ إِلَى الْعِبُودِيهِ بَعْدَ الْحَرِيهِ، وَ التَّعَاسَةِ وَ الْبُؤْسِ بَعْدَ الرِّفَاحِ وَ الرَّاحَةِ.

إن استمرار حاله الثوره التي رافقت نجاه الأممه من الطاغوت هو أفضل وسيله للخلاص من عوامل الانتكاس في الثوره، و هذا ممكن مع تذكر أيام الطاغوت و كيف تغيرت.

ص: ٤٣٣

إشاره

وَإِعْدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ فِتْمٍ مِّمَّاتٍ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَارُونَ أَخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ (١٤٢) وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ نَرَاكَ إِلَّا بِجِبِلٍّ فَإِنْ إِشِيقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ نَرَاكَ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجِبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صِعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ (١٤٣) قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ (١٤٤) وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ (١٤٥)

اللغه

١٤٢[مِيقَاتٍ]:الفرق بين المِيقَاتِ و الوقت أن المِيقَاتِ ما قَدَّرَ ليعمل فيه عمل من الأعمال،و الوقت الشيء قدره و لذلك قيل مواقيت الحج و هي المواضع التي قدرت للإحرام فيها.

١٤٣[تَجَلَّى]:التجلى الظهور،و يكون تاره بالظهور و تاره بالدلاله.

[صِعِقًا]:مغشيا عليه.

١٤٥ [الألواح]: اللوح صحيفه مهياه للكتابه فيها.

ص: ٤٣٥

هدى من الآيات:

و واعد الله موسى ثلاثين ليله لميقاته، و ذهب موسى الى الميقات بعد أن وصّى أخاه هارون تلك الوصايا المؤكده، التي كان الرسل (عليهم السلام) يوصون بها قومهم باتباع سبيل الإصلاح، و ترك سبل المفسدين، و جاء موسى لميقات ربه و هو يحمل رجاء قومه بالنظر الى الله، فلما كشف لربه عن هذا الطلب الغريب التابع عن جهل الناس بالله و بصفاته الحسنی، أمره ربه بالنظر الى الجبل فان استقر مكانه فقد يكون لكلامه وجه، و لكن الجبل تدكدك و خرّ موسى صعقا، و أغمى عليه من هول المنظر، و لما أفاق قال سبحانك أنت منزّه عن هذا الطلب و أنا أول المؤمنين بك، و ربما كانت تلك هي البدايه الظاهره للثوره الثقافيه التي يقوم به الرسل بعد و قبل السيطره على السلطه، حيث إن الله سبحانه أوحى الى موسى (عليه السلام) برسالاته، و أنه كلمه من دون الناس تكليما، و أن عليه أن يأخذها بقوه، و ان يمتلأ قلبه رضا بها و شكرا، حتى يدافع عنها بكل قوه.

و كتب الله لموسى فى تلك الألواح التى أنزلها ما ينفع الناس من كل شىء، و فى كل حقل، و ذلك بهدف تزكيه الناس، و بيان تشريع مفصل لهم، و أمره بالدفاع عن هذه الرسالة، و أن يبلغها قومه حسب الظروف المختلفه، ففى كل ظرف يعملون بأحسن ما فى الرسالة، و أكثرها تطبيقاً على ذلك الظرف، و حذره من الفسق و عدم تطبيق بنود الرسالة، و قال له سأريكم دار الفاسقين.

بينات من الآيات:

حكمه الغيبه:

[١٤٢] مع انتصار بنى إسرائيل تلك الفئه المستضعفه التى آمنت بموسى و برسالته الاجتماعيه، ازداد تعلق الجماهير بقائدهم موسى (عليه السلام) تعلقاً شخصياً، و كان من الضرورى تحول هذه العلاقه من شخص موسى (عليه السلام) الى رسالته و قيمه ليستمر خطه من بعده و ربما لذلك غاب موسى (عليه السلام) بأمر من ربه عن قومه أربعين ليله، و كانت غيبه - كما سيأتى فى الدرس القادم - بامتحان عسير لقومه، كشف ما بهم من نقاط ضعف ثقافيه و اجتماعيه، و أعطى لموسى (عليه السلام) فرصه كافيه لتربيتهم و هدايتهم.

وَ وَعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً ۖ وَ اتَّمَمْنَا بِعَشْرِ ۖ وَ سِيَأْتِي فِي الدُّرُوسِ الْقَادِمَةِ حُكْمَهُ إِتْمَامُ الثَّلَاثِينَ بِعَشْرِ.

فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ۖ أَمَا وَصِيهِ مُوسَىٰ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) لِخَلِيفَتِهِ وَ أَخِيهِ هَارُونَ فَكَانَتْ هِيَ ضَرُورَةُ الْمَحَافِظَةِ عَلَى الْإِصْلَاحِ.

وَ قَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَارُونَ ۖ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي ۖ وَ أَصْلِحْ ۖ وَ لَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ

المُفسِدِينَ لقد سبق الحديث عن أن الأمم في بدايه انطلاقتها تهتم بالبناء و الانتاج و الإصلاح، أما بعدئذ فانها تقوم بالاستهلاك و الهدم و الفساد، و عندها كان الرسل (عليهم السلام) يحذرون الناس من الفساد، فأوصى موسى أخاه بهذه الوصيه عند ما تخلص بنو إسرائيل من الطاغوت، و خفّ عندهم شعورهم الثورى السابق.

و يتبين من الآيه كما من سائر الآيات: أن قوم موسى (عليه السلام) كانوا فريقين، مصلحين و مفسدين، و كانت تجربه غياب قائدهم و منقدهم كافيه لفرز هذين الفريقين، و بالتالى تركيه المجتمع عن طريق تصفيه فريق المفسدين.

من أين تبدأ الثوره الثقافيه؟

[١٤٣] لا يزال بنو إسرائيل تلك الطائفه التى عاشت فتره طويله فى ظل الطاغوت، و تعرضت لعمليات غسل الدماغ من قبل السلطه الظالمه، لا- تزال هذه الطائفه تحمل رواسب الماضى بعد تحررها، و لا بدّ من تفجير ثوره ثقافيه فيها، و لكن من أين تبدأ هذه الثوره؟ الثوره تبدأ من إصلاح جذر مشكله الثقافه عند البشر، حيث إن الإنسان يحن نحو الماديات الظاهره، و ينسى المعنويات، و يغفل عن الغيب، يغفل عن غيب القيم، و عن قدره الله و حكمته و رحمته، يغفل عن المستقبل و ما فيه من امكانيات، و يلتجئ الى الظواهر فى الحاضر، الى ما يشاهده من قوه السلطه الجباره، و ما يراه من امكانياته الحاليه، فيخضع لها، و يستسلم لاتجاهها.

و رسالات السماء توجه الناس الى الله، الى غيب الغيوب، الى ملهم القيم و مالك المستقبل، الى مبعث الأمل المشرق، و إذا تعلق الإنسان بالله (الغيب) فانه

يتخلص من كل رواسب الثقافه الماديه، لذلك بدأ الله فى إصلاح قوم موسى (عليه السلام) انطلاقا من هذه النقطة، حيث كان قوم موسى يلحون عليه بأن يريهم ربهم و مره قالوا له: اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ، و مره صنعوا لأنفسهم عجلا و زعموا انه هو إله موسى و هكذا، لذلك راح موسى يدعو الله أن يريه نفسه و هو يعلم ان الله لا يرى.

وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ نَرَاكَ وَ لَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ نَرَاكَ فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَ خَرَّ مُوسَى صَعِقًا

هدف المعجزه:

هناك فكره تقول: بأن كثيرا من طلبات الرسل، بل و كثيرا من أوامر الله لهم، تهدف تبليغ الرساله بطريقه صارخه، حين أمر الله نبيه إبراهيم (عليه السلام) بذبح ابنه كانت الحكمه من وراء ذلك نسخ عاده جاهليه معروفه آتتذ و هى ذبح الأبناء لله أو للأصنام، و لكن حين أمر إبراهيم بذبح ابنه و لم تعمل السكين، كانت تلك المعجزه أبلغ أمرا فى النفوس، و أقدر على نسخ هذه العاده من الموعظه الكلاميه، و كذلك حين طلب موسى (عليه السلام) من ربه بأن ينظر اليه، كانت دعوته هذه بهدف صنع واقع عينيّه تذهب مثلا فى الآفاق، و تتناقلها الألسن، حتى تنتزع من النفوس جذور الماديه، و لذلك طلب موسى (عليه السلام) المستحيل و هو رؤيه ربه و تجلى الله للجبل و جعله دكا متهاويا على نفسه، و وقع موسى مغشيا عليه.

فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَ أَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ و يبقى السؤال: ما هى مناسبه اندكاك الجبل مع استحاله النظر الى الله؟ و الجواب: أن قدره الإنسان محدوده بشكل انه لا يتحمل رؤيه جبل يندك، و هو

أهون شيء في ميزان قدرات الله سبحانه التي لا تحد فكيف يرى الله؟ وينظر إليه؟ وهو مبعث القدره والحكمه والرحمه والعظمه و..و..و بالتالى الأسماء التي لا تعد ولا تحصى، فكيف يراه البشر المحدود. الذى يتناهى فى ضعفه ومحدوديته؟ (سبحان الله)؟! [١٤٤] وحين ترسو قاعده التوحيد الراسخه على أساس الايمان بالغيب، فان بناء الثقافه الأصيله والتشريع السليم سيكون قويا ورفيعا، لذلك فان ربنا أوحى الى موسى (عليه السلام) برسالاته التي تمثل الثقافه والتشريع.

قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَىٰ النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَ بِكَلَامِي وَ عبر الرساله اصطفى الله القيادة السليمه المبدئيه التي تجسد الولايه الالهيه فى الأرض، و ميّز هذه القيادة بكلامه سبحانه المباشر لها، ولكنه أمر موسى (عليه السلام) فى المقابل بحراسه رسالاته، والعمل بها، والشهاده لها، وأيضا الاطمئنان إليها والرضا بها، والاحساس بأنها نعمه كبيره يجب ألا يفرض بها أبدا.

فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَ كُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ

محتوى رسالات الله:

[١٤٥] ما ذا كان فى رسالات الله و كتبه؟ كان فيها أولا: رساله متكامله بالنسبه الى كافه شؤون الحياه فى الثقافه والسياسه والاقتصاد و..و..

وَ كَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَ تَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ ثانيا: كان فى الكتب موعظه لتزكيه نفوس البشر، و اثاره عقولهم، و استجلاء

ثالثا: كان فيها تشريع مفصل للحياه، و لتلك السبل التى يهتدى إليها العقل و الفطره.

فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ أَى اتبعها و أنت قوى الاراده، لتتحدى الضغوط التى تترى عليك من اتباع هذه الرساله من لدن ذاتك و شهواتك، أو من جانب المجتمع المحيط بك.

إن أهم ميزه فى القياده هى: الثقة بالرساله التى تحملها، و الاعتماد عليها، مما يستقطب ثقه الجماهير بها و بالرساله.

أما الجماهير فان اتباعها لتلك المناهج لا يكون اتباعا أعمى، بل سوف يكون اتباعا واعيا بعد دراسه الظروف المحيطه بها، ليعرفوا أَى منهج هو الأقوم فى هذا الطرف أو ذاك، و كذلك بعد دراسه الحكم ذاته و هل جاء دائما أو خاصا بطرف معين؟ وَ أَمْرٌ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا ان تقييم الأحسن من الحسن إنما هو وظيفه الأمه، و من هنا يدخل الوعى و العقل فى الساحة.

سَأْرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ الَّذِينَ لا يتبعون الأحكام الشرعيه كلها، فان دارهم ستكون مهدمه على رؤوسهم، و تلك عبره كافيه لكم بألا تعصوا ربكم فى مناهجه.

اشاره

سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلاًّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا
وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا - ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ (١٤٦) وَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرِهِ
حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٤٧)

هدى من الآيات:

انها آيات الله الكريمة التي أوحى بها الى موسى (عليه السلام)، إنها كانت وسيلة لاختيار الله موسى (عليه السلام) قائدا و إماما لقومه، بيد أن الله حذر قوم موسى من التهاون في الأخذ بدساتير الله، و حذرهم بأن ذلك سيهدم دار الفاسقين الذين يعصون أوامر الله، و يبين في هاتين الآيتين ان الفسق قد يكون شخصا فيهدم دار الفاسق، و قد يكون اجتماعيا فانه سوف يسبب في الهلاك و حبط الأعمال، و الفسق الاجتماعى يتمثل فى هدف المجتمع ككل، إذا كان هدفا باطلا نابعا من التكبر بغير حق، و محاوله السيطرة على الآخرين، إذ ان ذلك سوف يسبب فى الكفر بالآيات، و قلب المقاييس الفطريه، حتى يصبح الرشده غيا عندهم، و الغى رشدا، كل ذلك بسبب التكذيب بآيات الله و الغفله عنها.

هذا من الناحية الفطرية، أما من الناحية العملية فان أعمال هؤلاء تحبط و لا تنفع شيئا، لأنها تسير فى الاتجاه الباطل، حتى و لو كان العمل صحيحا من الناحية

الجزئيه، إلا- أنه بسبب وقوعه فى سلسله الأعمال الخاطئه و الفاسده، فان تلك الأعمال سوف تغطى على حسنات هذا العمل الجزئى، كما أنه لو كانت مجمل أعمال الفرد أو المجتمع صحيحه فان هفواته الجزئيه تغفر له، لأن الحسنات يذهبن السيئات.

بينات من الآيات:

طريق الانحدار:

[١٤٦] كما السياره إذا وضعت فى طريق منحرف تعمل كل أجزاءها فى ذلك المسير و بصورة منحرفه، حتى إذا كانت سليمه بحد ذاتها و غير معطبه، كذلك المجتمع إذا توجه نحو تطلعات خاطئه، فان كل أعضائه تعمل فى ذلك الطريق و بصورة خاطئه.

التطلع السليم للمجتمع هو بناء ذاته، و التعاون على الخير مع سائر المجتمعات، أما إذا تكبر فى الأرض، و تطلع نحو استعباد الآخرين و استثمار طاقاتهم، فانه ليس فقط ينحرف فى هذه الجبهه، و فيما يخص علاقاته بالآخرين فحسب، بل سوف ينحرف بكل أبعاده حتى فيما يتصل بعلاقاته الداخليه، ذلك لأن الله لم يجعل فى جوف الناس قلبين، إنما هو قلب واحد فاذا كان متكبرا باحثا عن المجد الذاتى، متخذنا نفسه و ليس الحق محورا و معيارا، فان كل تصرفاته ستكون مصبوغه بصبغه التكبر.

لذلك لا- يكون الفرد مؤمنا و عاملا بآيات الله و رسالاته إذا تطلع نحو استعباد الآخرين، و تكبر فى الأرض بغير الحق، و أراد أن يتعالى بما لا يحق له.

سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ

ص: ٤٤٤

يبدو لى: أن كلمه الآيات هنا تعنى الآيات التشريعيه حسب السياق، حيث كان الحديث فى الآيه السابقه حول رسالات الله و كلامه.

وَ إِنْ يَرَوْا كُلاًّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَالْآيَةَ هُنَا -حسبما يبدو لى- تعنى الآيه التكوينيّه مثل المعاجز، و عبر التاريخ، و التطورات التى تبين الحقائق و هكذا لان القلب المتكبر لا يبحث عن الحقيقه، بل عما يخدم ذاته، و يشبع غروره، و لذلك فهو لا يلتفت الى الحقائق و لا يهتم أو يؤمن بها حتى إذا رآها رأى العين، و هو كذلك لا يبحث عن الطريق السديد لأنه قد انحرف بوعى و إصرار.

وَ إِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَ إِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا إِنَّهُمْ مَنحرفون و لذلك فهم يبحثون عما هو منحرف. ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَ كَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ إِنْ تَكْذِبُهُمُ الْآيَاتُ اللَّهُ جَعَلَهُمْ يَنْصَرِفُونَ عَنِ الْحَقَائِقِ، و يغفلون عن أهميه الآيات التشريعيه، إن البشر ينحرف أول ما ينحرف بسبب اختياره السيء، و لكنه ينحدر بعدئذ نحو الكفر و الجحود بصوره أقرب الى اللاختيار..

العاقبه فى الحقل العملى:

[١٤٧] تلك كانت عاقبه المتكبرين الفكرية: أنهم لا- يهتدون الى الحقيقه لا عن طريق رسالات الله التى يصرفون عنها، و لا عن طريق الحقائق و العبر الواقعيه، أما عاقبه المتكبرين العمليه فهى: أن أعمالهم الصالحه تحبط بسبب أعمالهم السيئه، و التى تكوّن استراتيجيتهم الأصلية دون تلك.

وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ لَانِ الْخَطِ الْعَامِ لِحَيَاتِهِمْ خَطٌ مَنحَرَفٌ، لِذَلِكَ فَانِ الْعَمَلِ الْجَزْئِي لَمْ يَنْفَعِهِمْ شَيْئًا، بَلِ سَوْفَ يَحْبِطُ وَ لَا يُؤَدِي مَفْعُولُهُ، وَ الْوَاقِعُ أَنْ سَبَبَ حَبْطِ الْعَمَلِ لَيْسَ عَدَمُ إِيمَانِهِمْ فَقَطْ، بَلِ لِأَنَّ عَدَمَ الْإِيمَانِ يُؤَدِي بِهِمْ إِلَى سَلْسَلَةٍ مِنَ الْإِنْحِرَافَاتِ الْعَمَلِيَّةِ الَّتِي تَكُونُ هِيَ السَّبَبُ لِحَبْطِ الْعَمَلِ، لِذَلِكَ قَالَ رَبَّنَا سُبْحَانَهُ:

هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ

ص: ٤٤٤

اشاره

وَ اتَّخَذَ قَوْمٌ مُوسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ (١٤٨) وَ لَمَّا سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَ رَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَ يُغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (١٤٩) وَ لَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعْجَلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَ أَلْقَى الْأَلْوَابَ وَ أَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَوْا سَبِيلَ عَفْوِي وَ كَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَ لَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (١٥٠) قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَ لِأَخِي وَ أَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَ أَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (١٥١) إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيِّئًا لَهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَ ذَلَّةٌ فِي أَلْبَابِهِمْ وَ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ (١٥٢) وَ الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَ آمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (١٥٣)

اللغة

١٤٨ [حليهم]: الحلوى ما اتخذ للزينة من الذهب و الفضة.

١٤٩ [سقط في أيديهم]: وقع البلاء في أيديهم أي وجدوه وجدان من يده فيه.

و رواسب الجاهليه الفرعونيّه

هدى من الآيات:

و ابتلى قوم موسى فى غيابه لمناجاه ربه بالعجل، حيث اتخذوا عجلا مصنوعا من حليهم و ذهبهم إليها، لقد كان جسدا له خوار و زعم السامرى انه إلههم، و لم يعرفوا أن الرب هو الذى يهدى الناس الى سبل السعاده، و هذا العجل لا يفعل ذلك، و هكذا ظلموا أنفسهم و حين انكشفت لهم الحقيقه ندموا و عرفوا مدى الضلاله التى وقعوا فيها قالوا: لئن لم يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَ يُعْفِرَ لَنَا لَكُنَّا مِنَ الْخَاسِرِينَ، و هذا الدعاء يكشف ان قوم موسى تجاوزوا مرحله الصنميه بعد التوبه.

و عند ما عاد موسى (عليه السلام) من مناجاه ربه غضب، و كان آسفا كيف عبد قومه العجل و نادى فيهم، بثسما خلفتمونى من بعدى، أ هكذا ينقلب الناس بعد غياب قادتهم، و ألقى موسى الألواح التى كانت برفقته و فيها رسالات الله، ألقاها جانبا لأنها لا تنفع قوما تركوا الايمان الى الشرك، و أخذ برأس أخيه هارون و هو يستفسر منه الوضع، و يسحبه من ذلك القوم الضال، و لكن هارون (عليه السلام)

وضح له الحقيقه و هى: أن قومه استضعفوه، و أنهم همّوا بقتله، و لذلك فهو أنقاهم حتى يعود موسى (عليه السلام) و طلب هارون من أخيه بألا يشمت به الأعداء، و لا يجعلهم يفرحون بمعامله موسى لأخيه المعارض لهم، كما طالبه بألا يفسر سكوته الظاهر بأنه نابع من رضاه بالوضع، كلا.. بل إنه كان سكوتا غاضبا بانتظار الفرج القريب.

بينات من الآيات:

لماذا العجل؟

[١٤٨] لماذا عبد بنو إسرائيل فى غياب موسى الى الطور العجل، و اتخذوه إلههم؟ يبدو أن رواسب الجاهليه الفرعونييه التى عاش بنو إسرائيل فى ظلها قرونا، و التى كانت تعبد العجل و تتخذ منه رمزا للرخاء الزراعى، إنها كانت السبب فى صناعه العجل، إلا أن الحلّى من الذهب و الفضة كانت ماده لهذه الصناعه، لأن بنى إسرائيل حين رحلوا عن أرض مصر حملوا معهم حلّهم، و كانوا يعترفون بها باعتبارها الرصيد الاقتصادى الوحيد الذى كانوا يملكونه، فحين ظهرت رواسب الجاهليه الكامنه على السطح، صنعوا من الحلّى عجلا، فهم فى الواقع كانوا يعبدون الذهب و الفضة و الرخاء باعتبار ان شكل العجل يدل على ذلك الرخاء، و باعتبار أن العجل صنع من الحلّى.

و هكذا دلّت الحادّته على ان التحول السياسى الذى حدث فى بنى إسرائيل لم ينعكس على ثقافتهم، و كانوا يحتاجون الى ابتلاء ليظهر واقعهم فيعالجه المصلحون، و ربما لذلك واعد ربنا موسى ثلاثين يوما ثم أضاف إليها عشرا حتى يكون الجو مهيبا للسامرى بأن يشيع نبأ كاذبا هو: أن موسى قد مات، و يظهر واقع السامرى و ما كان ينتظره من موت موسى ليخرج بدعته، و هكذا وقع السامرى فى المصيده المنصوبه.

وَ اتَّخَذَ قَوْمٌ مُوسَىٰ مِنْ بَعِيدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ الْخَوَارِ: صوت الثور، وربما كان السامري قد صنع جسد العجل و هيكله بطريقه معينه بحيث كان يخور إذا دخل فيه الريح، أو كانت القبضه التي أخذها السامري من أثر الرسول هي التي جعلت العجل يخور.

أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا بينما الله كان يكلم موسى تكليما، و قد فضّل له و لقومه رسالاته التي تهديهم سبل السلام.

إِتَّخَذُوهُ وَ كَانُوا ظَالِمِينَ و أَى ظلم أكبر من الشرك بالله و الردّه بعد الايمان، إن عجل بنى إسرائيل كان مثلا للقياده الباطله التي كان السامري يسعى من أجلها، لقد كان العجل يخور - كما القيادات الباطله تنطق بما لا يهدى سبيلا، و بما لا يوضح علما حقيقيا- و كان جسدا هيكلًا و لكن بلا روح، كذلك القيادات الباطله لا تعطى الأمه روحا معنويه.

[١٤٩] و جاء موسى (عليه السلام)، و انفضحت الكذبه الكبرى التي اعتمدها الردّه الجاهليه و هي موت موسى (عليه السلام)، و ندم الجميع و سقط في أيديهم، و ظهرت الحقيقه المخفيّه و هي: أنهم قد ضلوا، و آتئذ تابوا الى ربهم.

وَ لَمَّا سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَ رَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَ يُعْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ يبدو لى أن رحمه الله هنا متمثله فى هدايه الله التي من دونها يبقى البشر فى

امتحان و فرز:

[١٥٠] كانت عباده العجل امتحانا عسيرا لقوم موسى (عليه السلام) و تصفيه للعناصر الضعيفه و الخائنه فى المجتمع الرسالى الذى ينبغى أن يقود المجتمعات الأخرى، و يشهد عليها، لذلك حين عاد موسى الى قومه كان غضبان أسفا.

وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا يَبْدُو لِي ان الغضب هو الرفض الشديد لشيء ما مع القيام بعمل ما من أجل تغييره و إصلاحه و تعويضه، بينما الأسف هو: ردّ الفعل النفسى تجاه حادثه سابقه قد وقعت خطأ، و موسى (عليه السلام) كان متأسفا لما وقع عليه قومه سابقا من انحراف و ضلاله، و غاضبا عليهم الآن لما هم فيه من نقص و قلّه فهم و وعى..

قَالَ بِسْمًا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي لَقَدْ تَرَكْتُمْ وَصِيَّ كَقَائِدِكُمْ وَ كَشَاهِدِكُمْ.

أَعَجَلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَ أَرَدْتُمْ الْوَصُولَ إِلَيْهِ قَبْلَ مِيعَادِهِ.

إن قوم موسى كانوا لا يزالون فى مرحله الايمان بالحضور و الشهود لا بالمستقبل و الغيب، و هذا كان أحد العوامل لتسارعهم الى عباده العجل باعتباره إله موسى، كما كان السبب فى طلب فريق منهم رؤيه الله بأعينهم.

وَأَلْقَى الْأَلْوَابِحَ وَ أَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ

كان موسى يحمل معه الألواح التي فيها موعظه و هدى،فاذا به يرى قومه قد شكّوا في أصل الربوبية فلذلك ألقاها جانبا،و أخذ يعالج هذه المشكله،و بدأ بسؤال أخيه و خليفته باعتباره القائد عليهم من بعده،و لكن هارون(عليه السلام)أوضح له الحقيقه..

قَالَ ابْنُ أُمِّ إِبْنِ الْقَوْمِ اسْتَضَعُونِي وَ كَادُوا يَقْتُلُونِي فَلَا تُشْمِتْ بِي الْأَعْدَاءَ وَ لَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ أَي لم أكن أنا بنفسى قادرا على مقاومه الرده،لأنهم أفقدونى قومى و جعلونى ضعيفا،و جردونى من أسلحتى،و لذلك فقد كادوا يقتلونى لو لا إننى أمسكت عنهم بانتظار عودتك،و افتضح كذبهم،لذلك فمن الخطأ أن تحملنى مسئوليه عملهم أو تجعلنى معهم.

[١٥١]و هنا أدرك موسى حقيقه الأمر ..

قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَ لِأَخِي وَ أَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَ أَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ و مره اخرى أعتقد أن أبرز مظاهر رحمه الله هى هدايته للإنسان،و ان يعصمه من أن يزلّ فى الظروف الصعبه.

عاقبه عباده العجل:

[١٥٢]و تلك عاقبه الراضين لعباده العجل،أما عاقبه المستسلمين للعجل و الراضين بعبادته فإنه سيلحقهم غضب من الله،يتمثل فى ألوان العذاب الآتية من حكم الطاغوت،و انحراف المجتمع،و من نقص فى بركات الله تلك التى تأتى من القيادة السليمه فى المجتمع.

كما يصاب هؤلاء بذله حيث إن انحراف القيادة من قياده رساليه الى قياده

ص:٤٥٣

صنميه تسلب كرامه الإنسان، و تحوله الى أداه ذليله بيد الأصنام البشريه الحاكمه.

إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيِّئًا لَّهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَ ذَلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ أَيَّ الَّذِينَ يَكْذِبُونَ عَلَى اللَّهِ افْتِرَاءً عَلَيْهِ، وَ الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ طَرِيقًا خَاطِئًا وَ يَصَوِّرُونَهُ لِأَنْفُسِهِمْ طَرِيقًا سَلِيمًا سَيِّئًا لَّهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ.

[١٥٣] أما إذا تاب هؤلاء الى ربهم، و آمنوا بالله إيماناً صادقاً، و لم يتركوا سيئته الى سيئته أخرى، مثل أن يتركوا الرأسمالية بعد معرفه تناقضها و انحرافها الى الشيوعيه كلاً.. إنما تركوا السيئته الى الصراط المستقيم، أولئك يرحمهم الله.

وَ الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَ آمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ربما يكون معنى كلمه (بعدها) أي إنه بعد انتهاء آثار السيئته الأولى سوف تأتي رحمه الله.

ص: ٤٥٤

وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضِبُ أَخَذَ الْأَلْوَابَ وَفِي نُسُخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَزْهَبُونَ (١٥٤) وَإِخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَعِيعِينَ رَبَّجَلًا لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيْنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ (١٥٥) وَأَكْتُبُ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدُّنَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ (١٥٦)

فى الدنيا و فى الآخرة

هدى من الآيات:

و عادت الظروف الطبيعيه للأممه بعد ذلك الامتحان العسير، و عاد الى موسى هدوؤه بعد الغضب، فاذا به يأخذ الألواح ليقراً فيها الهدى و الرحمه.

حيث كانت تهدى الناس الى السبل السليمه المؤديه الى رحمه الله، و الرحمه و الهدى يشترط فيهما الرهبه و التقوى له سبحانه.

و هذه الرهبه لا تدخل قلب البشر لو لم يؤمن ايماناً صادقاً بالله، و الايمان الصادق لا يكون الا بعد معرفه الله فى الغيب الذى لا تراه الأبصار- و كان فى قوم موسى نزعه ماديه، لذلك طالب ممثلوهم و هم سبعون رجلاً- مختاراً، طالبوا موسى برؤيه الله جهره، فأخذتهم الرجفه الشديده فصرعتهم، و توسل موسى الى ربه أن يعيدهم و قال: ان هذا الطلب انما هو من السفهاء، و ان هذا امتحان منك، و انك رب الهدايه، و انك تضل من تشاء حين لا تريد هدايته، و انك و لنا جميعاً فاغفر لنا ما سلف من ذنوبنا، و أنت ارحم الراحمين فانزل علينا رحمتك و نعمك.

ان الهدى الذى كان فى كتاب الله لموسى كان يدعو البشر الى الالتزام بالخط المستقيم بين حاجات الدنيا و تطلعات الآخره، لذلك دعا موسى (عليه السلام) بأن يكتب الله لهم الحياه الحسنه فى الدنيا و الآخره. و هذا لا يكون الا بالتوجه الى الله، و ربنا الكريم يبين له أن عذابه انما هو من نصيب من يشاء، و اما رحمته فهى واسعه، و هى للذين يتقون و يزكون أنفسهم و يؤمنون بآيات الله.

بينات من الآيات:

حكمه الغضب:

[١٥٤] يصور القرآن الحكيم النبى موسى (عليه السلام) عبر آياته العديده شخصيه سريعه الغضب، مما يطرح هذا السؤال: هل كان موسى فعلا كذلك أم ان ظروفه كانت تستدعى ذلك؟ بحيث لو وضعنا أيوب مثل الصبر و الهدوء فى مكانه لكان يفعل ذلك أيضا؟ الواقع: ان بنى إسرائيل كانت امه مستضعفه اعتادت الذل و الهوان، و كانت بالرغم من ذلك شديده العلاقه بموسى باعتباره منقذا لها، لذلك كانت هذه الامه بحاجة ماسه الى التدخل المباشر من قبل موسى فى شؤونها اليوميه، و التدخل المباشر لم يكن ممكنا بصوره هادئه، انما بطريقه تثير دخائل و أعماق هذه الامه التى اعتادت الصياح و الزجر.

من هنا نعرف أن غضب موسى عليه السلام كان يسكت كلما كانت الظروف العاديه ترجع الى الامه، باعتبار ان غضبه ليس لنفسه و انما لرسالته و لله.

وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ وَ يَبْدُو لِي أَنْ غَضِبَ مُوسَى لَمْ يَسْكُتْ عَنْهُ إِلَّا بَعْدَ تَصْفِيهِ الْعُنَاصِرَ الْخَائِنَةَ، وَ قَتَلَ

أعداد كبيره منهم، و قبول توبه البقيه، بعدئذ أخذ موسى عليه السلام يخطط لبناء مجتمع سليم.

أَخَذَ الْأَلْوَا حَ وَ فِي نُسْخِهَا هُدًى وَ رَحْمَةً أَنْ التَّخْطِيطَ لِلْحَيَاةِ الْإِسْلَامِيَّةِ فِي الْمَجْتَمَعِ أَنْمَا يَكُونُ بَعْدَ إِرْسَاءِ قَاعِدَةِ التَّوْحِيدِ فِي النُّفُوسِ، لِذَلِكَ أَخَذَ مُوسَى (عَلَيْهِ السَّلَامُ) يَشْرَحُ مَا فِي الْأَلْوَا حِ لِلْجَمَاهِيرِ بَعْدَ انْتِهَائِهِ مِنْ تَصْفِيهِ الْعُنَا صِرَ الْخَائِنَةِ، وَ كَانَتْ الْأَلْوَا حِ تَهْدِي النَّاسَ إِلَى طَرِيقِ رَحْمَةِ اللَّهِ وَ نِعْمَتِهِ، وَ لَكِنْ هَذِهِ النِّعْمَةُ لَيْسَتْ إِلَّا لِلْمُتَّقِينَ.

لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ

كيف نصفي الشوائب:

[١٥٥] و لا تزال في نفوس بنى إسرائيل بعض الرواسب الجاهلية، لذلك قام موسى (عليه السلام) بعملية جديدة من أجل ترسيخ دعائم التوحيد في النفوس، و ذلك حين اختار سبعين شخصا من قومه ليرافقوه في مناجاته بطور سيناء، و كان هؤلاء يمثلون الشعب، و ينقلون طلباته لله سبحانه، فجاء هؤلاء و طلبوا رؤيه الله جهره، فاخذتهم الصاعقه ففضت عليهم، الا- أن موسى (عليه السلام) دعا ربه بإعادتهم الى الحياه.

وَ اخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلِ وَ إِيَّايَ أَ تَهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا حَيْثُ طَلَبُوا مِنْ هَؤُلَاءِ السَّبْعِينَ رُؤْيَاهُ فَتَنَلَّ اللَّهُ فَنَقَلَ هَؤُلَاءِ طَلِبَ السُّفَهَاءِ إِلَى اللَّهِ، أَجَلٌ.. كَانَتْ تَلَكَّ فَتَنَهُ امْتَحَنَ اللَّهُ بِهَا عِبَادَهُ، فَمَنْ اهْتَدَى فَاِنَّمَا بِفَضْلِ اللَّهِ سَبْحَانَهُ، وَ مَنْ ضَلَّ فَاِنَّمَا يَأْذَنُ اللَّهُ.

إِنَّ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضَلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيْنَا فَاعْفِرْ لَنَا وَ ارْحَمْنَا وَ أَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ ان ربنا سبحانه يجرى تحولات اجتماعيه، و تغييرات طبيعيه من فقر و غنى، و صحه و مرض، و عزه و ذله، و حر و برد، و رخاء و قحط، كل ذلك بهدف امتحان البشر ليستخرج كلما فى ذاته من قوه أو ضعف، و قدره أو عجز، و لكى يصلح نفسه و يكمل نواقصه، فمن اهتدى الى هذه الحقيقه، و توكل على الله، و استغفر من ذنوبه، و سعى من أجل إصلاح ذاته، فان الله سيرحمه و يغفر له، انه يرحمه بتكميل نواقصه، و يغفر له بإصلاحه لها.

واجب الإنسان:

[١٥٦] و الله سبحانه يكتب للناس و يقدر لهم الحسنات و السيئات حسب أعمالهم، و مدى ايمانهم أو كفرهم، و يبقى على الإنسان أن يتطلع الى اكتساب الحياه السعيده فى الدنيا و الآخره، و يعمل من أجلها حتى يبلغ مناه، ان التطلع الى الأفضل يخلق فى القلب دافعا الى العمل، و آنشد يحتاج البشر الى الخطه المتكامله ليتحرك عبرها نحو الهدف، و تلك الخطه هى مناهج الله سبحانه، لذلك قال أصحاب موسى:

وَ اكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَ فِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ ان هذا التطلع السامى الذى يمكن ضمانه تنفيذه عن طريق التوكل على الله، و الثقه بأنه سوف يكتب ذلك، انه من أبرز سمات المؤمنين الصادقين، الا أنه بحاجه الى عمل جاد، لذلك بين الله سبحانه ذلك و قال عِذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَ رَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَ يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَ الَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ

ان عذاب الله مهياً للمذنبين، بيد أن الأصل هو رحمه الله التي وسعت كل شىء، فتلك الرحمه هي مهوى تطلع البشر، و معتمد ايمانه و توكله، و منطلق تحركه.

بيد أن رحمه الله مشروطه بما يلي:

أولاً: التقوى و التعهد بالقيام بالواجبات.

ثانياً: الزكاه و هي العطاء من كلما يملكه الإنسان من مال و علم و جاه،

و قد جاء فى الحديث:

«زكاه الجاه بذله، و زكاه العلم نشره» ثالثاً: الايمان بكل الآيات سواء كانت فى مصلحه الشخص العاجله أو لم تكن، و عدم تبعض الإسلام بقبول الجانب السهل منه، و ترك الجوانب الصعبه، كأن يصلّى الشخص و لا يزكى، أو يحج و لا يجاهد كلاً. ان رحمه الله لا تسع قوما يجزءون الدين و يأخذون ببعضه فقط.

ص: ٤٦٠

اشاره

الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَ يُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْجَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَ اتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٥٧) قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَ كَلِمَاتِهِ وَ اتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٥٨) وَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَ بِهِ يَعْدِلُونَ (١٥٩)

اللغة

١٥٧[غرروه]:وقروه و عظموه.

ص:٤٤١

إشارة

وَ الْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ

هدى من الآيات:

فى سياق قصه موسى (عليه السلام) يذكر القرآن الحكيم برسالة محمد (صلى الله عليه وآله) ليربط الحاضر بالماضى، و ليعطى درسا حكيما منتزعا من حقائق تاريخيه، و ليشجع اليهود على اتباع الرسالة الجديده، و منهج القرآن فى الاستدلال منهج فطرى يستفيد من أقرب جهه الى القلب و الوجدان، و هنا يبين أن الرسالة الجديده تدعو الى ذات القيم التى كانت فى رساله موسى (عليه السلام) بالاضافه الى انها مكتوبه عندهم فى التوراه و الإنجيل، فلما ذا الكفر بها؟! ان هذه الرسالة - كما تلك الرسالات - تأمر بالمعروف الذى يتوافق مع فطره البشر، و تنهى عن المنكر، و تحل لهم الطيبات و تحرم عليهم الخبائث، و الهدف منها دفع ثقل الشرك و الاستبعاد، و فكّ أغلال المجتمع الفاسد، و السلطه الفاسده، و الفلاح إنما هو من نصيب أولئك الذين آمنوا بهذا الرسول و قوّوا جبهته، و نصره و اتبعوا رسالته، و جعلوها نورا يهتدون بها فى الحياه.

و الرسالة هذه إنما هي من الله سبحانه الذى له ملك السماوات و الأرض الذى لا إله إلا هو. و هو يحيى و يميت، و على الناس اتباع هذه الرسالة التى هى ملك لهم جميعاً، و بذلك يضمنون لأنفسهم الهداية بإذن الله، و ليس قوم موسى كلهم على ضلاله، بل إن فريقاً منهم يأمرون بالحق و يهدون إليه، و يجعلونه مقياساً لتقييمهم.

بينات من الآيات:

من خصائص الرسول صلى الله عليه و آله

[١٥٧]رسالات الله تتميز بأنها للناس جميعاً بعيداً عن أى تمييز قومى أو اقليمى أو عنصري أو ما أشبهه، و هى تدعو الى بناء أمة واحدة ذات رسالة سماوية، و رسول واحد، و الرسول فى هذه الرسالة ينتمى إلى تلك الأمة التى تتمحور حول الرسالة، و لذلك يكون من أبرز صفاته أنه أُمّى، و أنه نبي يوحى إليه، و أنه رسول يحمل لهم رسالة فيها مناهج لحياتهم.

الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ و كلمه-الأمى- كما يبدو لى منتزعه من الأمة، التى يقول عنها ربنا فى آية أخرى (إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً و أَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ) و هناك من قال بأن الكلمه منتزعه من الأم باعتبار أن الرسول لم يكن قارئاً أو كاتباً، أو الى أم القرى.

الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ و الْإِنْجِيلِ مَكْتُوبَ بصفاته و أسمائه، كما هو مكتوب بالقيم التى يدعو إليها.

يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ و يَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ و كل رسالة سماوية تثير دفائن العقول، و تنطلق بصميم الفطره، و تنسجم مع

حقائق الكون التي يشهدها أكثر الناس، و يبدو لى أن المعروف هنا هو ما يعرفه قلب البشر السليم، و المنكر ما ينكره.

وَ يُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَالطَّيِّبَاتِ وَالْخَبَائِثَ هُمَا أَيْضًا مِمَّا بَيْنَهُ الْوَحْيُ، وَ يَصَدِّقُهُ الْعَقْلُ.

وَ يَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمُ الْإِصْرُ هُوَ: الثَّقَلُ، وَ الْبَشَرُ يَعِيشُ فِي ذَاتِهِ ثَقُلَ الْمَادَّةِ، حَيْثُ يَحْنُ إِلَى مَا فِي الْحَيَاةِ مِنْ زِينَةٍ، وَ يَنْهَارُ أَمَامَ شَهَوَاتِ النِّسَاءِ وَ الثَّرَوَاتِ وَ الْمَنَاصِبِ وَ يَضْغَطُ عَلَيْهِ وَاقِعُ الْيَوْمِ دُونَ حَقِيقَةِ الْمُسْتَقْبَلِ، وَ هَكَذَا يَصْبِحُ الْبَشَرُ أَنْ لَمْ يَقْصِمَهُ اللَّهُ جِزَاءً مِنَ الطَّبِيعَةِ، يَتَحَرَّكُ حَسَبَ عَوَامِلِهَا وَ تَغْيِيرَاتِهَا.

وَ رِسَالَاتِ اللَّهِ تَنْقِذَ الْإِنْسَانَ مِنْ أَصْلِهِ، وَ تَرْفَعُ عَنْهُ هَذَا الثَّقَلَ الْمَادِي بِتَوْجِيهِهِ إِلَى الْعَالَمِ الْأَعْلَى، عَالَمِ الرُّوحِيَّاتِ، وَ عَالَمِ الْمُسْتَقْبَلِ الْقَرِيبِ فِي الدُّنْيَا، وَ الْمُسْتَقْبَلِ الْبَعِيدِ فِي الْآخِرَةِ.

وَ كَمَا تَرْفَعُ الرِّسَالَةَ إِصْرَ الْبَشَرِ تَرْفَعُ الْأَغْلَالَ الْآتِيَةَ مِنَ الْإِصْرِ، مِثْلَ الْأَغْلَالِ الْاجْتِمَاعِيَةِ الَّتِي يَفْرَضُهَا النِّظَامُ السِّيَاسِيُّ، أَوْ الْاِقْتِصَادِيُّ الْحَاكِمَ عَلَى الْمَجْتَمَعِ، وَ الْقَوَانِينِ الْمَعِيْقَةَ لِلتَّقَدُّمِ، وَ الْكِبْتَ وَ الْمَدِيكْتَاتُورِيَّةَ وَ الْإِرْهَابَ الْفِكْرِيَّ الَّذِي يَمْنَعُ تَفْجِيرَ النِّشَاطِ، وَ تَفْتَقُ الْمَوَاهِبَ.

شروط الفلاح

وَ عَاقِبَةُ هَذِهِ الرِّسَالَةِ الْفَلَاحُ وَ السَّعَادَةُ، وَ لَكِنْ بِشَرَطِ أَنْ يُؤْمِنَ الْبَشَرُ بِهَا، وَ أَنْ يَعْظُمَهَا وَ يُوَقِّرَهَا، وَ أَنْ يَنْصَرِفَ عَنْهَا بِاتِّبَاعِ كُلِّ مَنَاجِحِهَا، وَ أَنْ يَتَّخِذَ قِيَمَهَا

و معاييرها ميزانا لتقييم أحداث الحياه، و تفسير متغيراتها، و معرفه الناس.

فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ إِيمَانًا وَقَعِيًّا أُنزِلَ عَلَيْهِمْ سُلُوكًا سَلِيمًا
فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ إِيمَانًا وَقَعِيًّا أُنزِلَ عَلَيْهِمْ سُلُوكًا سَلِيمًا

وَ عَزَّوَجُودَهُ أَي جَعَلُوهُ كَبِيرًا فِي أَنْفُسِهِمْ، أَكْبَرَ مِنْ شَهَوَاتِهِمْ وَ مِنْ ضَغُوطِ الْحَيَاةِ.

وَ نَصَرُوهُ أَي قَدَّمُوا لَهُ امْكَانَاتِهِمْ، وَ جَعَلُوهَا فِي خَدْمِهِ رِسَالَتَهُ.

وَ اتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ وَ هُوَ الْقُرْآنُ، وَ كَمَا يَسْتَضِيءُ الْبَشَرُ بِنُورِ الْمَصْبَاحِ فِي اللَّيْلِ، كَذَلِكَ اسْتَضَاءُوا بِنُورِ الْقُرْآنِ فِي لَيْلِ
الْحَيَاةِ، فَرَأَوْا بِهِ وَ مِنْ خِلَالِهِ مَا فِي الْحَيَاةِ مِنْ خَيْرٍ وَ شَرٍّ، وَ حَقٍّ وَ بَاطِلٍ، وَ هُدًى وَ ضَلَالَةً.

أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ أَي السَّعْدَاءُ فِي الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ.

كيف نعرف الله؟

[١٥٨] معرفه الله سبحانه تسبق سائر المعارف الدينيه، و هي تتم بطريقه فطريه، و بالتذكيره بما في الكون من آيات، و بما في النفس
من بحث و وله، و حين يتذكر البشر و يعرف ربه يسهل عليه أن يعرف رساله ربه لما فيها من تناسب

ص: ٤٦٥

و تناغم، فرساله الله شامله واسعه رحمه، لطيفه المناهج، متينه الأركان كآى اسم آخر من أسمائه الحسنى، فهى كما الشمس و القمر، و مثل السماوات فى سعتها و قدرتها، و مثل الأرض فى متانتها و استقرارها، و مثل ظاهره الحياه فيما تعطىها للنفوس من حراره الحياه، لذلك كان من أقرب الطرق الى معرفه الرساله و الرسول هو معرفه الله، و التذكر بعظمته و قدرته و لطفه و رحمته، و لذلك أيضا كان يستشهد الرسل بالله على صدق رسالاتهم.

قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا وَ كَمَا أَنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ، كَذَلِكَ رَسَالَتُهُ فَهُوَ.

الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَ يُمِيتُ وَ مَثَلَمَا يَحْيِي الْخَلْقَ مَا دِيَا فَهُوَ يَهْدِيهِمْ بِالرَّسَالَةِ الَّتِي هِيَ حَيَاةٌ مَعْنَوِيَّةٌ، وَ مَثَلَمَا يَمِيتُهُمْ مَا دِيَا فَهُوَ يَضِلُّهُمْ حِينَ يَكْفُرُونَ بِالرَّسَالَةِ فَيَمُوتُونَ وَ هُمْ أَحْيَاءٌ.

فَأَمَّنُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَ كَلِمَاتِهِ وَ إِنَّمَا يَدْعُوكُمْ إِلَى اللَّهِ لَا إِلَى نَفْسِهِ، وَ هُوَ أَسْبَقَ النَّاسَ إِلَى الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَ بِرَسَالَاتِهِ الَّتِي أَوْحَيْتَ إِلَيْهِ.

وَ اتَّبَعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ إِنَّ إِتْبَاعَ الرَّسُولِ سَوْفَ يَنْتَهَى بِالْبَشَرِ إِلَى الْإِرْتِفَاعِ إِلَى مَسْتَوَى مَعْرِفَةِ الْحَقَائِقِ بِأَنْفُسِهِمْ.

[١٥٩] ليست رسالات الأنبياء مبعث خلاف و نزاع، و لا هى أنزلت لتكون أداه للعنصريه و الطائفية، لذلك فهى تؤكد أبدا على وحده الرسالات، و أهميه القيم،

و أن من يتبع القيم الرساليه فهو على صراط مستقيم حتى و لو لم يلتزم بخط معين في هذا الاتباع، لذلك أكد القرآن الحكيم هنا أيضا على أن الحكم الكاسح بكفر بنى إسرائيل جميعا خطأ، بل أن بعضهم على صواب ما دام يلتفت حول رساله السماء، و يشكل أمه واحده، و ما داموا يرشدون الى الحياه الفاضله عن طريق الحق، و يحكمون الحق في علاقاتهم الاجتماعيه، و في مواقفهم من الناس أو من الظواهر الحياتيه.

وَ مِنْ قَوْمِ مُوسَىٰ أُمَّةٍ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَ بِهِ يَعدِلُونَ

ص: ٤٤٧

اشاره

وَ قَطَعْنَا هُمُ اثْنَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَّمًا وَ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنْ إضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ وَ ظَلَلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّانَ وَ السَّلْوَىٰ كُلُّوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَ مَا ظَلَمُونَا وَ لَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (١٦٠) وَ إِذِ قِيلَ لَهُمْ أَسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَ كُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَ قُولُوا حِطَّةً وَ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ (١٦١) فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ (١٦٢) وَ سَأَلْنَاهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْبُدُونَ فِي السَّبْتِ إِذِ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَ يَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (١٦٣) وَ إِذِ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةُ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (١٦٤) فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَ أَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (١٦٥) فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ (١٦٦)

اللغة

١٦٠ [فانبجست]: الانبجاس خروج الماء الجارى بقله، و الانفجار خروجه بكثرة و كان يبتدئ الماء من الحجر بقله ثم يتسع حتى يصير الى الكثرة.

[الغمام]: السحاب الأبيض الرقيق.

١٦٣]يعدون[:يعتدون بالصيد المحرّم.

١٦٤]عتوا[:العتو الخروج إلى أفحش الذنوب،و العاتى المبالغ فى المعاصى،و الليل العاتى الشديد الظلمه.

[خاسئين[:المطروود المبعد عن الخير،من خسأت الكلب إذا أقصيته فحسأ أى بعد.

ص:٤٦٩

هدى من الآيات:

بنو إسرائيل فريقان: فريق مؤمن و هى الأعمه الحقه، و الفريق الثانى: ظالم و أول سماتهم اختلافهم، و استمرار التقسيمات الطبيعیه القبلية بينهم، و عدم شكرهم لربهم على ما رزقهم من المنّ و السلوى، و ظلّل عليهم السحاب، و أن ذلك ظلم لأنفسهم.

و حين أمرهم الله أن يسكنوا القرية ليأكلوا منها حيث شاءوا، و يستغفروا الله عن ذنوبهم حتى يغفر لهم خطيئاتهم، و أن يزيد المحسنين الذين يتجاوزون العمل بالواجبات الى الإحسان.

بيد ان هذا الفريق الظالم بدلوا قولا غير ما قيل لهم، فأرسل الله عليهم رجزا من السماء بسبب ظلمهم.

و هناك تجربه لا تزال ماثله فى ضمير التاريخ من ظلم هؤلاء لأنفسهم، انهم

كانوا فى قريه حاضره البحر و قريه منه، و كانوا يتجاوزون حدود الله سبحانه فى حرمه الصيد فى يوم السبت، و لكى يمتحن الله هؤلاء كانت الحيتان تأتيهم فى يوم السبت ظاهره على البحر، بينما لا- تأتيهم فى غير السبت، و اختلف الناس ثلاثا فى هذه القريه، ففريق عملوا الجريمه، و فريق سكتوا عنها، و فريق نهوا عنها، و حينما سألهم البعض: لما ذا تعظون قوما أهلكهم الله بالمعصيه؟ أجابوا: لاننا نأمل فى هدايتهم و لتتم الحجه عليهم، و كانت العاقبه أن الله عذب الفريقين الأولين و أنجى الفريق الثالث، و عذبهم بأن مسخهم قرده خاسئين.

بينات من الآيات:

التكامل الاجتماعى:

[١٦٠] و كانت بنو إسرائيل أمه منقسمه فى اثنتى عشره قبيله، كل قبيله أو سبط أمه تتبع قياده معينه..

وَ قَطَّعْنَا لَهُمْ اِثْنَتَى عَشْرَةَ اَسْبَاطًا اُمَّمًا و يبدو لى إن هذه الفرق المختلفه لم تبلغ مستوى تلك الامه التى تحدثت عنها الآيه السابقه، التى كانت تهدى بالحق و به تعدل، بل كانت لا تزال فى عهد التقسيمات الطبيعه حيث كانت القبائل تتبع رئاستها، و الله سبحانه الذى خلق الطبيعه قدّر لها سننها و هدى الناس إليها، بالوحى و العقل كما خلق الاسره، و جعل لها سنه التحابب و التعاون.

و هدى الناس بالوحى و العقل إلى أهميه الاسره فى بناء كيان المجتمع، كذلك خلق القبيله و شدّ بعضها الى البعض بحبال المحبه، و الوحده الثقافيه، و وحده الهدف و المصير، و هدى الناس الى أهميه إيجاد الترابط البناء بين أعضاء القبيله فى إطار

و لكن هذه السنن الطبيعيه لا- تعنى ان قمه الكمال هى فى التعرف عليها، و الاهتداء الى كيفية الاستفاده منها، بل قد يكون التكامل فى تغيير الطبيعه و تكييفها حسب القيم العليا للحياه، مثل تحويل الحياه القبلية الى حياه أميّه تستلهم من قيمه التقوى فى بناء علاقاتها الاجتماعيه، كما كانت الامه الاسلاميه الاولى، و كما تكون التجمعات الرساليه المكتمله، حيث يرتفع الفرد فيها على علاقاته الاسريه و القبليه، و يبنى أساس علاقاته على الاخوه المبدئيه، و يكون التجمع هو أبوه و أخوه و رابطته الأولى، و يرى نفسه ابنا للتجمع قبل أن يكون ابنا لوالديه، و منتما الى حزب الله قبل أن يكون منتما الى قبيله كذا أو عنصر كذا.

و من هنا بدأ الله حديثه عن الأمه الواحده فى بنى إسرائيل فى الدرس السابق ثم تحدث عن الأمم المتنافسه، و بين أن رساله موسى (عليه السلام) كانت تهتم أيضا بتلك القبائل و الأسباب، و تستخدم تلك العلاقات الطبيعيه فى تنظيم المجتمع، لذلك فجر الله لموسى اثنتى عشره عينا، لكل قبيله مشربا معيناً.

وَ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ثُمَّ بَيَّنَّ اللَّهُ النِّعَمَ الَّتِي أُسْبِغُهَا لِأَوْلَئِكَ النَّاسِ الَّذِينَ لَمْ يَدُوبُوا أَنفُسَهُمْ بِالْكَامِلِ فِي بَوْتِقَةِ الْإِيمَانِ، وَقَالَ تَعَالَى:

وَ ظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّٰ وَ السَّلْوَى الْمَنَّٰ هُوَ قِسْمٌ مِنَ الْحُلُوى، وَ السَّلْوَى هُوَ الطَّيْرُ الْمَشْوَى.

كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَ مَا ظَلَمُونَا وَ لَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ

لماذا لم يعد الغمام يظلمهم، والمن والسلوى لا ينزلان عليهم؟ لأنهم ظلموا أنفسهم كما سبق في آيات سورة البقره، حيث إنهم ملّوا حياه البداوه و دعوا ربهم بالعوده الى المدن.

نقاط الضعف الحضاريه فى المدينه:

[١٦١] و بعد أن هبطوا القرية التى هياها الله لهم فسدت أخلاقهم، فبدل أن يشكروا الله على النعم التى وفرها لهم، و بدل أن يستغفروه سبحانه بخضوع و قنوت حتى يتكاملوا عن طريق التعرف على نقاط ضعفهم و أسباب تخلفهم، و بدل أن يتخذوا الإحسان أداه لتنمية علاقاتهم الاجتماعيه و تزكيه نفوسهم، بدل كل ذلك مما أمرهم به الله غيروا و كفروا بأنعم الله، و استكثروا من اللذات و لم ينتبهوا لنواقصهم.

وَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَ كُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَ قُولُوا حِطَّةٌ أَيْ اللّٰهُمَّ حَطِّ ذُنُوبِنَا وَ اغْفِرْ لَنَا.

وَ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا خَاضِعِينَ لِلّٰهِ حَتَّى لَا يَسْتَبِدَّ بِكُمْ طَغْيَانُ النِّعَمِ وَ غُرُورُ الْقُوَّةِ.

نَعْفِرُ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَيَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ حَيْثُ ان المدينه تصبح آتذ سببا لتطوركم و رقيكم، ذلك لان عوامل الضعف فى المدينه هى العوامل التاليه التى نهى ربنا عنها:

أولاً: القيود الاضافيه التى لا فائده منها و التى تحدد انتفاع البشر بنعم الله، من العادات الجاهليه، و الآداب الزائده، و سائر القيود و قد نهى ربنا عنها بقوله: (وَ كُلُوا

مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ) فأمرهم بعدم التقيد بالأغلال الجاهليه التي ما أنزل الله بها من سلطان، وقد أوضح القرآن ذلك في آيات أخرى سبقت أو تأتي في سائر السور.

ثانيا: الغرور، والطغيان، والشعور بالاستغناء، حيث يخشى على المتحضرين من هذه الصفه الرذيله، وقد أمر الله بالاستغفار تحصنا من الغرور و الاعتزاز بالإثم، و الاعتقاد ببلوغ مرحله الاكتمال التام.

ثالثا: التجبر و الطغيان على خلق الله بسبب الغنى و العزه، و الاتحاد الموجود في المدينه، و أمر الله سبحانه بنى إسرائيل بالسجود لله عند دخول المدينه، لكي يعرفوا أن غناهم و عزتهم و وحدتهم كل ذلك انما هي من الله سبحانه، لا من عند أنفسهم حتى يتجبروا على الآخرين.

رابعا: البخل و الشح عن العطاء مما يسبب التفاخر و المنافسه الحاده، فأمر الله في نهايه الآيه بالإحسان، و بين أنه سوف يسبب زياده النعم حتى يتجاوز بنو إسرائيل في قريتهم هذه الصفه المهلكه، و قال سبحانه: (سَتَرِيدُ الْمُحْسِنِينَ).

من هنا نعرف أن المدينه مفيده و ضاره، مفيده إذا استطاع المجتمع تجاوز سلبياتها الأربعة، و إلا فهي ضاره و تحرق خيرات البشر.

[١٦٢] أما بنو إسرائيل فقد هزم دخول القرية لان أكثرهم لم يتقيدوا بتعاليم ربهم سبحانه..

فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ و انتهت حياتهم المدينه الى العذاب بسبب ذلك الظلم الذاتى.

[١٦٣] و كمثل على ذلك الظلم الذى انتهى الى العذاب بين الله لنا قصه السبت، حيث أمرهم بالألا يصيدوا يوم السبت تنظيما لحياتهم الاجتماعيه، و راحه لهم و تفرغا للعباده، و لكن الطمع دفع بهم الى تجاوز حد الله فى السبت إذ كانت الحيتان تأتيهم ظاهره فى يوم السبت.

وَ سَيَلُّهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْبُدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حَيَاتُهُمْ يَوْمَ سَيَتِيهِمْ شُرْعًا وَ رَبَّمَا الْمُرَادُ بِكَلِمَةِ حَيَاتَانَهُمْ هُوَ أَنَّ هَذِهِ الْحَيَاتَانَ كَانَتْ لَهُمْ بِالتَّالِي، فَمَا لَمْ يَصِيدُوا فِي يَوْمِ السَّبْتِ وَ فَرَّوْهُمَا لِيَوْمِ الْآخِرِ، وَ لَكِنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا يَفْقَهُونَ تَشْرِيحَ هَذِهِ الظَّاهِرَةِ.

وَ يَوْمَ لَا يَشِيْبُونَ لَا تَأْتِيهِمْ يَبْدُو أَنَّ الْمُرَادَ أَنَّهَا فِي غَيْرِ السَّبْتِ لَمْ تَكُنْ ظَاهِرَةً، وَ كَانَ ذَلِكَ امْتِحَانًا لَهُمْ وَ ابْتِلَاءً مِنْ قِبَلِ اللَّهِ حَتَّى يَعْرِفُوا مَدَى ضَعْفِهِمْ.

كَذَلِكَ نَبَلُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ إِذَا فَسَقَ الْإِنْسَانُ فَسَقًا خَفِيًّا وَ بِطَرِيقِهِ مَنَاقِقَهُ فَإِنَّ رَبَّنَا سَبْحَانَهُ يَمْتَحِنُهُ امْتِحَانًا صَعْبًا وَ ظَاهِرًا، حَتَّى لَا يَقْدِرَ عَلَى مَقَاوِمِهِ الْإِعْرَاءَ بِسَبَبِ فَسَقِهِ الْخَفِيِّ الَّذِي أضعف إرَادَتَهُ وَ خَوَّرَ عَزِيمَتَهُ، فَيضطر إلى إظهار واقعه، وَ هَذَا مَعْنَى الْإِبْتِلَاءِ حَيْثُ إِنَّهُ يَظْهَرُ الْوَاقِعَ الْخَفِيَّ.

و فى القصص التاريخيه بيان لطبيعه نفاق أصحاب هذه التوبه، حيث إنهم كما

جاء فى تلك القصة يلقون الشباك فى يوم السبت ثم يستخرجون السمك فى يوم الأحد، أو أنهم كانوا قد صنعوا أحواضاً على البحر يدخلها السمك يوم السبت ثم لا يستطيع أن يخرج منها فيصيدونها يوم الأحد.

مواقف المجتمع تجاه الجريمة:

[١٦٤] وانقسم أهل هذه القرية الساحلية الى ثلاث فرق، بعضهم المجرمون، و بعضهم الساكتون على الجريمة، و بعضهم الناهون عنها، و ينقل الله سبحانه حواراً بين الساكتين و الناهين.

وَ إِذِ قَالَتْ أُمَّهُ مِنْهُمْ لِمَ تَعْطُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا أَىٰ مَا لَكُمْ تَعْطُونَ الْمَجْرِمِينَ الَّذِينَ لَا فَائِدَةَ مِنْ وَعْظِكُمْ إِيَّاهُمْ، بَلْ سَوْفَ يَهْلِكُهُمُ اللَّهُ أَوْ يَعْذِيبُهُمْ.

قَالُوا مَعِيذَرَةٌ إِيَّاي رَبُّكُمْ لَانِ النَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاجِبٌ شَرْعِيٌّ حَتَّىٰ وَ لَوْ كَانَ يَهْدَفُ تَسْجِيلُ الْحُضُورِ، وَ بَيَانُ انْحِرَافِ الْمُنْحَرِفِ، وَ لَوْ مِنْ أَجْلِ الْأَجْيَالِ الْقَادِمَةِ، وَ اللَّهُ لَا يَعْذِرُ الْبَشَرَ بِمَجْرَدِ الْإِعْتِقَادِ بِأَنَّ النَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ لَا يَنْفَعُ.

وَ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ وَ هُنَاكَ أَمَلٌ بَانَ يَتَقَىٰ جَمَاعَهُ مِنْهُمْ رَبَّهُمْ فَيَكْفَىٰ ذَلِكَ ثَوَابًا.

[١٦٥] و ذكر الله هؤلاء المجرمين بالمناهج التي يجب إتباعها، و حذرهم من تجاوز الحدود و ذلك عن طريق الناهين عن المنكر من قومهم، و لكنهم نسوا ما ذكروا

به فأنجى الله الناهين، وأخذ الباقين بالعذاب.

فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَيِّسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ وَكَانَ بَيْنَ الْمُهْلَكِينَ السَّاكِتِينَ عَنِ الْمُنْكَرِ.

[١٦٦] و كان العذاب الشديد هو أن الله سبحانه قال لهم كونوا قردة خاسئين.

فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ وَتَكَبَرُوا عَلَيْهِ.

قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ

ص: ٤٧٧

اشاره

وَ إِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لِيُبَيِّنَنَّ عَلَيهِمْ اِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسِيئُ مِنْهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ اِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيْعُ الْعِقَابِ وَ اِنَّهُ لَغَفُوْرٌ رَحِيْمٌ (١٦٧) وَ قَطَعْنَا لَهُمْ فِي الْمَارِضِ اَمَمًا مِنْهُمْ الصَّالِحُونَ وَ مِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ وَ بَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَ السَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (١٦٨) فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرَثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْمَادِنِيِّ وَ يَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَ اِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلَهُ يَأْخُذُوهُ اَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِثْلَ الْكِتَابِ اَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ اِلَّا الْحَقَّ وَ دَرَسُوا فِيهِ وَ اَلْدَارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِيْنَ يَتَّقُونَ اَفَلَا تَعْقِلُونَ (١٦٩) وَ الَّذِيْنَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَ اَقَامُوا الصَّلَاةَ اِنَّا لَا نُضِيعُ اَجْرَ الْمُصْلِحِيْنَ (١٧٠)

اللغه

١٦٩[عرض]:العرض ما يعرض و يقل لبثه،و منه سمي العرض القائم بالجسم عرضا لانه يعرض في الوجود و لا يجب له من اللبث ما يجب للأجسام.

[و درسوا]:الدرس تكرار الشيء،و يقال درس الكتاب إذا كرر قراءته،و درس المنزل إذا تكرر عليه مرور الأمطار و الرياح حتى انمحي أثره.

هدى من الآيات:

و أعلن ربنا سبحانه حكمه الحاسم الذى جاء نتيجة ذلك السلوك الفاسد لبنى إسرائيل حيث عصوا رسالات ربهم، و كان ذلك الحكم هو سيطره الطاغوت عليهم الى يوم يبعثون حتى يسومهم سوء العذاب، ذلك لأن الله سريع العقاب و هو غفور رحيم.

و كان من مآسى بنى إسرائيل تشتتهم فى البلاد، كل جماعه منهم سكنوا منطقته، و كان بينهم الصالحون و غيرهم، و قد امتحن الله بنى إسرائيل بالحسنات لعلهم يشكرون، و امتحنهم بالسيئات لعلهم يتوبون اليه و يعودون الى شرائعه و مناهجه.

و يبدو أن بنى إسرائيل هبطوا بعدئذ الى درك التخلف الثقافى، حيث انتشرت فيهم الثقافه التبريريه، فخلف من بعد ذلك الجيل جيل فاسد ثقافيا حيث كانوا يهتمون بمظاهر الدنيا، و يزعمون بأن الله سيغفر لهم و لكن كيف يغفر الله لهم و هم لم يتوبوا توبه نصوحا، بدليل أنهم لو وجدوا مثل تلك المظاهر لأخذوا بها أيضا!!

إن تلك الأفكار التبريرية التي كانت تشجع على الفساد بأمل الاستغفار لم تكن أفكاراً دينية، لأن ميثاق الكتاب و عهده يقضى بالألّا ينسبوا الى الدين إلاّ الحق، و كان الحق السليم هو الاهتمام بالآخرة و أولويتها على عرض الدنيا.

و فى ظلمات تلك العصور كان يشع نور الطليعه الرساليه الذين تمسكوا بقوه بالكتاب، و أقاموا الصلاه، و كان همهم هو إصلاح الناس بعد إصلاح أنفسهم، و الله لا يضيع أجر هؤلاء حيث إنه بنسبه عملهم كان يرفعهم.

بينات من الآيات:

التقليد داء المجتمع:

[١٦٧] لقد مسخ فريق من بنى إسرائيل قرده خاسئين، و بالرغم من ان ذلك الفريق السىء الحظ قد هلك بعد ثلاثه أيام أو سبعة أيام حسب ما جاء فى التاريخ، إلاّ أن تلك الحاله قد استمرت بعدئذ فى أجيال بنى إسرائيل التى عصت ربها و اتبعت شهواتها، أو حتى لم تحترم قوانين الدين.

ما هى تلك الحاله؟ لا بدّ أن نعرف مسبقاً أن أبرز سمات القرد هو التقليد و التشبه بالآخرين، و هذا يستدرج منتهى درجات الذله و القماءه، و لذلك فان الحاله التى استمرت مع الأجيال الصاعده من بنى إسرائيل كان الاستعباد و الذله، حيث سلط الله عليهم طاغوت الظلم و الإرهاب، و أنظمه القهر و الديكتاتوريه فاذاقتهم سوء العذاب، و ذلك بسبب عصيانهم لربهم أو سكوتهم عن المعاصى.

وَ إِذِ تَأَذَّنَ رَبُّكَ

ص: ٤٨١

أى أعلن ذلك بوضوح كاف..

لِيُعَذِّبَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُوءُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ مَا دَامُوا فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ أَوْ بالسكوت عن المعاصي، وإذا غيروا ما بأنفسهم
غير الله لهم حالهم..

إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ بالرغم مما يتراءى للبشر ان عقابه بطيء.. كلا إنه سريع يلحق بالبشر في الدنيا، وقبل الوقت الذي يسوف
العاصي فيه التوبة، و يمني نفسه بتأخر العذاب.

ثم إن عقاب الله ما دام ثابتا لا محاله، فان كل آت قريب يحدوه إليه الليل و النهار بسرعه فائقه، ولا يقدر البشر على الفرار منه إلا
إليه سبحانه، وبالعودة الى مناهجه، وإصلاح الفاسد، ذلك لان رحمه الله واسعه..

وَ إِنَّهُ لَعَفُورٌ رَحِيمٌ

نتائج الظلم الاجتماعي:

[١٦٨]الظلم الذي مارسه بنو إسرائيل من هتك حرمة السبت كان ظلما اجتماعيا عاما و سبب في تبدل النظام السياسي، و تسلط
الطغاه على الحكم و قيامهم باضطهاد الشعب،

(كما تكونوا يولى عليكم) و كان من نتائج هذا الظلم الاجتماعى و أشباهه الانهيار فى مجتمعهم، حيث تساقطت حدود المجتمع
و تفرقت بنو إسرائيل مجموعات..مجموعات..

وَ قَطَّعْنَاَّهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَّمًا مِنْهُمْ الصِّحُونَ وَ مِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ و كانت تلك بدورها مرحلة من مراحل سقوط هذا المجتمع
المؤمن، حيث تفرقوا

و اختلفوا، و لكن بقيت فيهم أمه صالحه و أمم متدرجه في الصلاح، و لكن الله أنزل عليهم الحسنات حينا و السيئات حينا لكي يختبرهم و يمتحن مدى صمودهم أمام إغراء الحسنات و عذاب السيئات..

وَ بَلَّوْنَاَهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَ السَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ حيث إن فلسفه الاختبار هي: ظهور ما خفى على الإنسان من واقعه الضعيف حتى يصلحه و يكمل نفسه.

ثقافه التبرير:

[١٦٩] أما المرحله الاخطر التي هبط إليها بنو إسرائيل فقد كانت انتشار الثقافه التبريريه التي تتخذ من الدين ستارا لاتباع الشهوات، كما هو الحال عند بعض المسلمين حيث انهم يعملون المعاصي بعد التحايل على الدين، بزعمهم بطريقه أو بأخرى، فيرابون باسم البيع، و يسكتون عن الظالم باسم أنه ولي الأمر، أو باسم أن العصر هو عصر التقيه و الانتظار، أو يشجعون الخلافات باسم أنها الاولى بالاهتمام، و هكذا.. كانت بنو إسرائيل في هذه المرحله تتوسل ببعض النصوص و تفسرها حسب آرائها، و تعمل المعاصي باسمها.

فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ وَ لَكِنَّمْ لَمْ يَعْمَلُوا بِهِ وَ إِنَّمَا كَانُوا..

يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْمَادَنِيِّ وَ يَقُولُونَ سَاءَ يُغْفَرُ لَنَا وَ إِنِّي يَا تَهُمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ يَأْخُذُوهُ إِن تفسيرهم للاستغفار ساذج و بعيد عن الحقيقه، ذلك لأن الاستغفار هو في واقعه الندم و العزم على ترك المعصيه، و إصلاح آثار الذنب السابق، أما هؤلاء فقد

زعموا أن مجرد التمنى بالمغفرة كاف في درء خطر العذاب، علما بان ذلك كان نتيجة اتخاذ الدين وسيله تبرير لأخطائهم، و الدليل على ذلك أنهم يعودون الى الذنب كلما وجدوا عرضا زائلا من إعراض الدنيا، و خطوره هذا النوع من التفكير أنه يكرس ضلاله البشر، إذ أن وسيله إصلاح البشر و هى الدين قد اتخذت عندهم وسيله تبرير للفساد فكيف يمكن إصلاحهم؟! لذلك فان القرآن شديد أبدا على أولئك الذين يحرفون الدين و يفسرون نصوصه و تعاليمه تفسيرا خاطئا و قد اتخذ مسبقا العهود و المواثيق على من أرسل عليهم الكتاب بالآ ينسبوا الى الله غير الحق المتمثل فى توصيه الناس بأن الآخره أفضل من الدنيا، و ذلك هو هدى العقل إذا انتفع الإنسان بعقله.

أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَ دَرَسُوا مَا فِيهِ وَ كَانَتْ تَعَالِيمَ السَّمَاءِ وَاضِحَةً بِالنِّسْبَةِ إِلَى الدُّنْيَا وَ أَنَّهَا عَرَضٌ زَائِلٌ..

وَ الدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ [١٧٠] و بالرغم من أن أكثر هؤلاء قد انحرفوا و حرفوا الدين و نسبوا الى ربهم أفكارا باطله، إلا أن طائفه منهم تمسكت بالكتاب تمسكا شديدا، و طبقت تعاليمه و منها: إقامة الصلاه، و الاستلهاهم من الله فى تصرفاتهم و موافقهم عن طريق إقامة الصلاه، و الله سبحانه لا يضيع أجر هؤلاء لأنهم مصلحون، لا يكتفون بالصلاه بل بإقامتها و تطبيق سننها فى الحياه.

وَ الَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَ أَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ

إشاره

وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَادْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٧١) وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ
مِنَ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَنَّا نَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا
غَافِلِينَ (١٧٢) أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ (١٧٣) وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ
الْآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (١٧٤)

اللغه

١٧١[نتقنا]:التق قلع الشيء من الأصل، و كل شيء قلعته ثم رميت به فقد نتقته.

لمواجهته اتباع المبطلين

هدى من الآيات:

متى أخذ الله من بنى إسرائيل ذلك الميثاق الذى كان من أبرز بنوده ألا يقولوا على الله الا الحق؟ الجواب: مرتين، مره حيث قلع قسما من الجبل و جعله فوقهم كأنه ظلّه أو سقف، تصوروا أنه سيقع و يقضى عليهم، و هنالك أخذ ميثاقهم و قال لهم: خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَ اذْكُرُوا مَا فِيهِ، و ليكن هدف ذكر ما فيه التقوى و الالتزام بواجبات الله سبحانه.

هذه مره، و مره اخرى حين أخرج الله ذريه آدم فى صورته ذر و نشرهم فى الفضاء، و أشهدهم على أنفسهم و قال لهم: «أَلَسِيْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا» و آتخذ حذرهم الله من التبريرات التى قد يتخذونها و سيله لعدم الالتزام بالحدود، و منها:

أن يقولوا يوم القيامة: إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ، أو يقولوا: «إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَ كُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ» كلا.. ان كل جيل مكلف و مسئول عند ربه بما أتاه الله من

فطره و عقل، و بما اتخذ عليه من شهاده فى عالم الذر و لذلك لا يصح أن يقول أحدهم « أَفْتَهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ».

ان هذه الآيات التى يفصلها ربنا سبحانه تهدف اعاده الإنسان الى فطرته النقيه،الى حيث تعاليم الله.

بينات من الآيات:

خذوا ما آتيناكم بقوة:

[١٧١] فى قصه سبق الحديث عنها فى سورة البقره،اقتطع ربنا جانبا من الجبل و جعله فوق رأس بنى إسرائيل، و أمرهم بأن يتعهدوا بأخذ ما آتاهم أخذًا قويًا دون ان يتكاسلوا أو يتوانوا فيه..

وَ إِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ اى رفعنا جزء من الجبل فوقهم.

كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ اى كأنه شىء يظلمهم كالسقف و السحاب.

وَ ظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ اى واقع عليهم، وفاتك بهم.

خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ اى اجمعوا عزمتكم، و سخرُوا همتكم، و اثبتوا تصميمكم على اتباع الدين، فالدين ليس متكأ لكل خاوى العزيمه، ضعيف الهمه، فاقد التصميم، أو لكل

كسول جبان متعاجز،انما هو رساله الله الى الإنسان،و رساله المؤمن الى نظرائه من البشر، انه يصقل شخصيه البشر و يفجر طاقاته،و يظهر مدى تحمله للصعوبات و تعهده بالمسؤوليه،انك لا تستطيع أن تطلب من الدين شيئا قبل أن تعطيه من نفسك و من قدراتك التضحيه و الإيثار،و أن تكون لديك العزيمه الكافيه لاتباع مناهجه مهما كلف الأمر.

و حين تخونك عزيمتك،و تخشى أن يداخلك الشيطان و يفسد عليك تصميمك، عليك أن تعود الى الكتاب و تتدبر فى آياته،و تذكر تعاليمه حتى تخشى الله،و تتعهد بالمسؤوليه،و تتسلح بالتالى بالتقوى.

وَ اذْكُرُوا^٣ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ و بقيت لنا كلمه فى هذه الآيه و هى: أن كل الناس و بالذات الرساليين منهم يمتحنهم الله كما امتحن بنى إسرائيل،فأخذهم بالبأساء و الضراء حتى يتعهدوا بالمسؤوليه و يأخذوا الدين بقوه،و لا يجب دائما ان تكون الظله قطعه جبل،فقد تكون الظله كابوس نظام ظالم،أو فقرا مدقعا أو مرضا مزمنا،و قد يكون الرسول الذى يبلغه ضروره الالتزام بالدين و التعهد باتباعه بقوه،قد يكون أحد المبلغين القادمين،أو حتى آيات فى الكتاب يتذكرها المؤمن فى تلك اللحظات،و منها هذه الآيه التى تصدق فى كل مكان و مع كل إنسان و لكن بطرق شتى.

كيف نبلىر جوهر الذات؟

[١٧٢]كما حبه حيه يدفنها التراب و الوحل و السماد و لكنها تنشط و تتحدى و تخرج الى النور و تبرز حيويتها،و قدراتها،و امكاناتها و تعطى ثمراتها،كذلك كل واحد من أبناء البشر يدفنه ركام الخرافات،و وحل الضغوط و الشهوات،عليه أن ينشط و ان يتحدى و أن يبلىر جوهرته الانسانيه،و أن ينبعث خلقا جديدا،و هذه

مسئوليه الإنسان، و ذلك ميثاق الله الذى تعهد به كل فرد من أبناء آدم و حواء.

و لكن كيف يبلور الواحد منا جوهر الانسانيه فى ذاته، و يصبح ذلك الإنسان الذى فضّله الخالق و أكرمه و خلقه فى أحسن تقويم؟ انما عن طريق الاتصال المباشر بالله، و الانطلاق من الايمان به نحو بناء حياه جديده لنفسه، مستقله عن تقليد الآباء، و حرّه بعيده عن الغفله و النسيان.

لقد كنا فى صوره ذر كما جاء فى أحاديث صحيحه، و كنا فى صلب آدم، أو كان بعضنا فى صلب البعض، و أخرجنا الله سبحانه و اشهدنا على أنفسنا.

وَ إِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ قَدْ يَكُونُ مَعْنَى هَذِهِ الْعِبَارَةِ أَنَّ رَبَّنَا أَخْرَجَ كُلَّ وَلَدٍ مِنْ ظَهْرِ وَالِدِهِ.

وَ أَشْهَدُهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ الْغَفْلَةُ لَا تَكُونُ تَبْرِيرًا مَقْبُولًا لِلْبَشَرِ عِنْدَ اللَّهِ، بَلْ يَجِبُ أَنْ يَتَحَدَّى الْبَشَرُ حِجَابَ الْغَفْلَةِ بِنُورِ التَّذَكُّرِ، وَ بُوْهِجِ الْعَقْلِ الَّذِي يَشْعُ فِي ضَمِيرِ الْبَشَرِ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ إِنْ لَمْ يَكُنْ دَائِمًا.

[١٧٣] أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَ كُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ إِنْ هَذَا التَّبْرِيرُ لَيْسَ سَلِيمًا وَ لَا مَقْبُولًا عِنْدَ اللَّهِ، إِذْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَخَذَ الْمِيثَاقَ مِنْ كُلِّ وَاحِدٍ مِنَّا وَ حَمَلَهُ مَبَاشَرَةً مَسْئُولِيهِ الْإِيمَانِ، وَ إِذَا قَصُرَ جِيلٌ فِي إِيمَانِهِ فَأَنَّ الْأَجْيَالَ الْقَادِمَةَ غَيْرَ مَعْدُورَةٍ بِاتِّبَاعِ ذَلِكَ الْجِيلِ الْأَوَّلِ، وَ هَذِهِ الْآيَةُ تَحذِّرُ مِنَ التَّقْلِيدِ بِبَلَاغِهِ

كافيه.

[١٧٤] و ربنا الحكيم يذكرنا بهذه الحقائق لكي نعود الى فطرتنا، و نبلور جوهر الإنسان في ذواتنا، و نرفع عن أنفسنا غشاوه الغفله، و أغلال التقاليد.

وَ كَذَلِكَ نَفْصَلُ الْآيَاتِ وَ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ

ص: ٤٩٠

اشاره

وَأُتِلُّ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ (١٧٥) وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى
الْمَأْرُضِ وَاتَّبَعَ هِيَاةَ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكُمْ مِثْلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ
الْقِصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (١٧٦) سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسِهِمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ (١٧٧) مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَنْ
يَضِلَّ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (١٧٨)

هدى من الآيات:

حين يتخذ الدين اداه لشحد العزيمه، و وسيله لتكامل البشر، فان ذلك سيكون وفاء لميثاق الإنسان و عهده مع ربه، و لكن حين يكذب البشر بآيات الله، و لا يتمسك بها بقوه، بل ينسلخ منها إذا تعرض لضغوط ما، فإن الشيطان سيلحق به ليملاً قلبه الذى فرغ من آيات الله فيصبح خاوياً، و الله قادر على ان يرفع البشر بآياته، و لكن بشرط ان ينبعث البشر بذاته عن جاذبيه الأرض، و لا يتبع هواه، أما إذا أخلد الى الأرض، و ركن إليها، و اعتمد على العرض الزائل من الدنيا، فمثل هذا الشخص كمثل الكلب فى خسته و دناءته، و ارتباطه بالدنيا و اتباعه لأهلها بأقل شىء، و هناك صفه اخرى له هى أنه يلهج بآيات الله التى لم يستفد منها إلا ألفاظاً و أسماء، فهو حين تجادله فى آيات الله يلهث بها، أو تتركه يلهث بها وراء و نفاقاً.

و لقد ضرب الله هذه الامثله لعل الناس يتفكرون، و لا يتخذون الدين تقليداً أو أسماء بلا معانى.

ان الذين يكذبون بآيات الله هم المثل السيء الذى يعكس واقعا فاسدا لأنهم يظلمون أنفسهم بتكذيبهم آيات الله.

ان الهدى من الله، لا ما يتخيله البشر بفكره القاصر، اما الضلاله فهى نتيجته طبيعیه لفقدان هدايه الله، و من لم يهده الله فإن أساطير البشر و خيالاته هو لا تعطيه الهدايه، بل تزيد خساره و ضلالا..

بينات من الآيات:

ضروره الالتزام:

[١٧٥] لا- بد للإنسان ان يتبع منهجا، و يلتزم بميثاق، فان اتبع منهج الله و ميثاقه فقد فاز، و الا فسوف يملأ الشيطان فراغه، فيتبع منهجه، و يصبح من حزبه، و حين يؤتى الله فردا نعمه الرساله، فينزل عليه آياته، فعليه أن يتعهد بميثاق الله فيها، و هو الالتزام المطلق بها دون ان يترك شيئا منها، تحت ضغط الشهوات أو سبب الإهمال.

أما إذا ترك جانبا من آيات ربه بعد أن استوعبها، فإن الشيطان سوف يصبح قرينه و ساء قرينا، و يكون مثله مثل الكلب كما علماء السوء. و الأحبار و الرهبان، و كل من أوتى علما فتركه.

وَ اتلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْعَاوِينَ [١٧٦] وَ لَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا ان الله قادر على ان يجعل آياته سببا فى رفعه البشر، بشرط أن يسعى هو من أجل ذلك، أما إذا لازم الأرض و ما فيها من ذله و صغار، و شهوات عاجله زائله، فإن الله

يتركه لشأنه..

وَلِكِنَّهُ أَحْلَمَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَ اتَّبَعَ هَوَاهُ وَ اتَّبَعَ الْهَوَى هُو نتيجه مباشره للخلود الى الأرض، و الاكتفاء بها و شهواتها، و عدم التطلع الى السماء، و الى القيم الروحيه و الى المستقبل الأفضل، و الى مرضاه الله و الى الجنه.

ان العلم معراج البشر، و لكن إذا ركن الفرد الى الأرض و شهواتها و جاذبيتها، فإن العلم سوف يترك مكانه للجهل، و العقل للشهوات، و تصبح كلمات العلم عند صاحبها كلهث الكلب.

فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكُهُ يَلْهَثْ ان كل الحيوانات تلهث حين تتطلب الحاجه الى اللهث، كما إذا حمل عليها فإنها تلهث دفاعا أو استعدادا للخطر، أما الكلب فإنه يلهث بمناسبه و بدون مناسبه لان عادته اللهث كذلك العالم الذى يتبع هواه، يلهج بالعلم لا من أجل العمل به، أو توجيه الناس الى الخير به، بل من أجل المباهاه و التعالى على الناس باسمه، فالعلم بدون هدف أو العلم الذى يستخدم لأغراض دنيئه، كما لهث الكلب لا فائده من ورائه و لا كرامه.

ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصِصْ الْقِصَّةَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ الَّذِينَ يَكْذِبُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَجِدُونَ عِلْمًا يَهْتَدُونَ بِهِ، أَوْ نورا يستضيئون به، و انما يتعلمون كلمات يلهجون بها، كما يلهث الكلب بلا هدف.

انما يستفيد البشر بالعلم إذا تفكر، و تحول العلم الى جزء من شخصيته، و تعلم

علما يفيده، و كان تعلمه لهدف مقدس، اما وسيله تعلمه فهى القصص الواقعيه التى يستلهم منها رشدًا و عبرا و دروسا.

حب الشهرة:

[١٧٧] ان أكثر ما يخدع رجال العلم فيدفعهم نحو المتاجره بالعلم هو حب الشهرة، بيد أنهم سوف يشتهرون بالسوء أكثر ما يشتهرون بالخير، و هم يضربون بذلك أسوء الأمثله.

سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسِهِمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ [١٧٧] إنهم أسوء مثل، لأنهم وجدوا فرصه للفلاح فظلموا أنفسهم بترك الفرصه.

[١٧٨] من أسباب هلاك البشر هو اتكاله على نفسه، و غروره الذى يستغنى به عن هدى الله، و عظمه رسل الله و العلماء بالله، و خصوصا علماء السوء فإنهم يهلكون بهذا الزعم كثيرا، و لذلك يؤكد ربنا على ان الهدى من الله، و على البشر ان يتمتع بالتسليم و القنوت له سبحانه حتى يهتدى، أما إذا لبس رداء الغرور و الكبرياء فسيضل، لأنه سوف لا يهديه، و ليس هناك مصدر آخر للهدايه.

مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَ مَنْ يَضِلْ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ [١٧٨]

ص: ٤٩٥

اشاره

وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا ۚ وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا ۚ وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ أُولَئِكَ كَالْإِتْمَانِ يَلُومُهُمْ أَضَلُّ أَوْلِيئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ (١٧٩) وَ لِلّٰهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَ ذُرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٨٠) وَ مِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَ بِهِ يَعْدِلُونَ (١٨١) وَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ (١٨٢) وَ أُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ (١٨٣)

اللغه

١٧٩[ذرأنا]:الذرع بمعنى الإنشاء و الاحداث و الخلق.

١٨٣[أملئ]:الاملاء التأخير و الامهال.

ص:٤٩٤

هدى من الآيات:

لقد خلق الله الإنسان فى أحسن تقويم، و زوده بكل وسائل الهدى، و لكن حيث ترك الانتفاع بها أصبح حقيرا الى درجه لا ينفع الا- لجهنم، و كأنه قد خلق لها و من أجلها، لقد زود الله البشر بالقلب و جعل التفقه به من مسئوليه البشر، و زوده بالعين و لكن التبصر بها من واجبه، و كذلك الإذن جعلها من أجل السماع الاستماع لا يمكن الا بإرادته البشر و بقراره.

ان الإنسان الذى لا- يقرر الانتفاع بوسائل الفقه و المعرفه التى عنده يشبه الانعام، بل أضل منها منهجا و طريقا، لان الانعام لا تملك قدره و لبشر يملكها و لا ينتفع بها، و هؤلاء غافلون عن قدراتهم العامله، و عن المستوى الذى بإمكانهم بلوغه.

و لله سبحانه الأسماء الحسنی، و كل اسم من أسمائه يشير الى قوه فاعله فى الحياه، أو سنه جاريه فيها، فإذا عرفنا الله بآياته عرفنا تلك الأسماء، و من خلالها استطعنا أن نكيف أنفسنا مع الحق، و دعاء الله بأسمائه الحسنی يكرس روح

الحقيقه فى البشر، أما من يغير أسماء الله فعلينا ان نتركهم للجزاء العادل.

و هناك من يحكم بالحق و يجعله مقياسا لتقييم الحياه، أما الذين يكذبون بآيات الله فإنهم سوف يتدرجون الى النار من حيث لا يعلمون، و ان الله يملئ لهم و يمهلهم الى حين.

بينات من الآيات:

الحكمه الربانيه:

[١٧٩] أن ربنا رحيم و رحمته واسع، و لكن رحمته سبحانه قد حددها بحكمته البالغه، بأولئك الذين ينتفعون بالنعم و يقررون الاستفاده منها، أما من لا يشتغل قلبه و سمعه و اذنه و بالتالى مداركه فان رحمه الله تتبدل بالنسبه اليه الى نقمه شديده، حيث يلقى به فى جهنم و كأنهم قد خلقوا لها.

و لَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَ الْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَ لَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَ لَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا مِّنَ الْآيَةِ يَظْهَرُ بوضوح أن الهدى من الله، و لكن الاهتداء بالهدى من البشر و من صنعه، فهو الذى يقرر التفقه بالقلب، و التبصر بالعين، و السماع بالأذن، و من دون هذا القرار فان الله لا يكره أحدا على الهدى.

أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ لَأن الانعام تهتدى بفطرتها نحو منافعها، و هؤلاء ينحرفون حتى انهم ليضرون بأنفسهم بوعى و من دون وعى، كالذى يشرب الخمر و يضرر بنفسه، و الذى يسلط الطاغوت ليستعبده، و الذى يعاقر المخدرات و يمارس الفاحشه ليضرر بنفسه، مما لا يفعله الحيوان لأنه يهتدى بفطرته الى مصالحه..

أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ الغافل هو:الذى يملك ذخائر المعرفة و لكنه لا يستفيد منها فيقع فى المهالك.

الكفر بالأسماء و الصفات:

[١٨٠]بسبب الإلحاد و الانحراف فى أسماء الله، ينحرف كثير من الناس فيزعمون مثلا أن الله واسع الرحمة و انه لذلك لا يعذب أحدا لان رحمته تآبى ذلك،أو يزعمون بأنه لو زلَّ أحد فانه قد سقط نهائيا و سوف يعاقبه الله لأنه شديد العقاب، و لا يرجى له الخير أبدا،هذا التصور الخاطئ أو اذاك يكرس انحراف البشر،بينما الاعتقاد السليم أن الله واسع الرحمة و أنه شديد العقاب كل فى محله و حسب الحكمة، و ان الرحمة و النعمة تأتيان بعد اراده البشر و مشيئته،فلو أراد الرحمة لنفسه لحصل عليها،و لو شاء العذاب لابتلى به،هذا الاعتقاد السليم يبعد البشر من انحرافاته، و هذا الاعتقاد السليم انما يبلغه الإنسان بفطرته النقيه و عقله و بصيرته،حيث ينسب بها الى ربه أحسن الأسماء.

□
وَ لِلّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ إِنَّ دَعَاءَ اللَّهِ بِأَسْمَائِهِ الْحُسْنَىٰ يَكْرُسُ الضمير الحسن عند الإنسان،فيهدى الى السنن الحاكمه فى الحياه و التى يجريها ربنا بأسمائه الحسنی.

وَ ذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ □ □ كَانُوا يَعْمَلُونَ و الإلحاد فى أسماء الله يسبب انحرافات عمليه،و على تلك الانحرافات يعاقب الله عباده،لا على مجرد التصور الخاطئ،بل نستطيع أن نؤكد ان الانحرافات العمليه هى السبب المباشر فى الإلحاد فى أسماء ربنا،إذ من دون سبب و إذا ترك البشر فطرته النقيه عرف الله بأسمائه الحسنی،و لذلك لا ينفع الجدل فى أسماء الله

و المناقشه مع الملحدين فيها، لان سبب الانحراف و الإلحاد ليس سوء لفهم بل سوء النيه، و ربما لذلك أمرنا الله بترك هؤلاء الملحدين و شأنهم، إذ المجادله مع المنحرفين بوعى مسبق و إصرار عليه تشوش رؤيه البشر الصافيه، و تشككه فى حقه.

و تبقى كلمه فى أسماء الله و هى:

يبدو أن الخليقه تقاد بقوى معينه مثلا- بالعلم، و الحكمه، و القدره، فالشمس تجرى لمستقر لها، و لكن كيف؟ الحكمه هى التى تجعل للشمس هدفا تتحرك نحوه من أجل تحقيقه، و العلم هو الذى يحدد مسيره الشمس بحيث تبلغ الهدف، و القدره هى التى تنفذ الحكمه و العلم و تقهر الشمس على اتباع تلك المسيره المحدده، هذه هى أسماء الله سبحانه، و تجلياته، فالعلم اسم من أسمائه الذى يتجلى فى كل صغيره و كبيره فى الكون، و الحكمه كذلك، و القدره و هكذا..

و حين ندعو الله بأسمائه و نقول يا عليم، يا قدير، يا حكيم، أو نقول نسألك بعلمك، و بقدرتك، و بحكمتك، فاننا فى الوقت الذى نكرس فى أنفسنا قيمه العلم، و القدره، و الحكمه و نستخدمها فى واقعنا، فان هذه القيمه لا تكون منفصله عن توحيد الله و عن عبادته، و عن الايمان بأنه أعلى من أسمائه، و أن علينا التوكل عليه لا الاعتماد فقط على أسمائه.

التوسل بالذات لا بالصفات:

ان من أكبر أخطاء البشر هو التوسل بأسماء الله سبحانه دونه، لان ذلك يشكل جزءا من الحقيقه الكونيه، و هو يؤدى الى الايمان ببعض الحقيقه، فمثلا، الايمان بالعلم دون الحكمه يسبب جعل العلم معبودا وحيدا كما فعل الفرنسيون فى منطلق

ص: ٥٠٠

ثورتهم. و العبوديه للعلم تجعل العلم بلا هدف، بل بهدف استغلال البشر، و سحق القيم المعنويه عنده. كذلك القدره إذا أصبحت معبوده بذاتها لا بصفتها اسما من أسماء الله الحسنی، فان القدره المنطقه بلا حكمه تستهوى الناس و تجعلهم يطلبونها بشتی الوسائل، حتى بفداء القيم.

و من هنا تركز الادعيه المأثوره على تذكر الأسماء الحسنی بأنها منسوبه الى الله و جاء في بعض الادعيه:-

١- [اللهم انی أسألك باسمك يا الله يا رحمن، يا رحيم، يا كريم، يا مقيم، يا عظيم، يا قديم، يا عليم، يا حلیم، يا حكيم، لا اله إلا أنت، الغوث الغوث، خلصنا من النار يا رب]. (١)

-٢

[اللهم انی أسألك باسمك يا على يا وفي، يا غني، يا ملي، يا صفي يا رضى، يا زكى يا أبدى، يا قوى يا ولى]. (٢)

-٣

[اللهم إنى أسألك من بهائك بأباه و كلّ بهائك بهي، اللهم إنى أسألك ببهائك كله، اللهم إنى أسألك من علمك بأنفذه و كلّ علمك نافذ، اللهم إنى أسألك بعلمك كله]. (٣)

-٤

[اللهم إنى أسألك برحمتك التي وسعت كلّ شيء، و بقوتك التي قهرت بها كلّ شيء، و خضع لها كلّ شيء، و ذلّ لها كلّ شيء، و بجبروتك التي غلبت بها كلّ شيء، و بوجهك الباقي بعد فناء كلّ شيء، و بأسمائك التي ملأت أركان كلّ

ص: ٥٠١

١-١) من دعاء الجوشن الكبير في مفاتيح الجنان.

٢-٢) من دعاء البهاء في مفاتيح الجنان.

٣-٣) دعاء كميل للإمام على عليه السلام

إنَّ أسلوب الادعية يكرس قيمه الأسماء التي تذكر تاره بالعموم و تاره بالتحديد،و لكن تبقى قيمه التوحيد فوق قيمه أسماء الله،لان هذه الأسماء تتصل بالتالى بالله سبحانه.

موقف التصديق:

[١٨١]و حين يدعو المؤمن ربه بأسمائه الحسنى يجعل الحق مقياسا و قيمه،لأنه بمعرفه الله سبحانه و معرفه أسمائه الحسنى يستوعب البشر جوانب الحق.

وَ مِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَ بِهِ يَعْدِلُونَ وَ الملاحظ في الآيه أن الله سبحانه عبر عن أولئك الذين يحكمون بالحق ب(الأمه) باعتبارهم طائفه منتظمه تحت قياده إمام،ثم إنهم يهدون الناس الى الحق،و هم بدورهم يأخذون بالحق و يجعلونه مقياسا لتطبيق العدالة في المجتمع.

موقف التكذيب:

[١٨٢]و في مقابل هؤلاء جماعه يكذبون بآيات الله التي تهدي الى الحق،و جزاء هؤلاء استدراجهم حتى يصلوا الى الدرك الأسفل من حيث لا يعلمون] وَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسِدْ تَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ و الاستدراج هو:إعطاء الطرف الآخر فرصه التقدم حتى يقع في الفخ مفاجئه، لذلك لا يجوز للبشر أن يستريح على المهله التي يعطيها الله له،أو على النعم التي

ص:٥٠٢

تترى عليه، أو ما أشبهه.. فان المهله أو النعمه قد تكون مصيده له، و فذا سرعان ما يقع فيه.

[١٨٣] وَ أُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ أَىْ أَعْطِيهِمْ مَهْلَهُ، وَ ذَلِكَ خَطَهُ لِأَخْذِهِمْ أَخْذًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى الْفِرَارِ مِنْهُ، لِأَنَّ خَطَهُ اللَّهُ مُتَكَامِلَهُ وَ مُحْكَمَهُ.

ص: ٥٠٣

إشاره

أَوْ لَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ (١٨٤) أَوْ لَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجْلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ (١٨٥) مَنْ يَضَلِّ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (١٨٦) يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّبُهَا لَوْفَتَهَا إِلَّا هُوَ ثَقَلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (١٨٧)

اللغه

١٨٤[جنه]:الجنه الجنون و أصله الستر.

١٨٧[الساعه]:الساعه التي يموت فيها الخلق.

[أيان]:متى و هو سؤال عن الزمان على وجه الظرف للفعل.

[مرساها]:الارساء الإثبات،و مرسيها مثبتها،و رسا الشيء يرسو فهو رأس إذا ثبت.

[حفي]:الحفيّ المستقصى في السؤال،و احفي فلان بفلان في المسأله إذا أكثر عليه و ألح.

هدى من الآيات:

زود الله البشر بأدوات التفكير ليكتشف الحقيقه بنفسه،و إذا لم يفعل فان ضلالتة مؤكده،و عن طريق التفكير يبلغ البشر الى طبيعه الأشياء و الظواهر،فظاهره الرساله لو تفكر المرء فيها عرف انها حق،و ان الرسول ليس به جنون،بل ان ما يرى فى هذه الظاهره من مظاهر الانتفاضه و التغيير فانما هو شهادة على واقع جديد سيأتى وراءه،و الرساله إنذار واضح بوقوع ذلك الواقع.

و كذلك لو تفكر المرء فى ملكوت السماوات و الأرض و ما فيهما من عظمه و فخامه،و لو تفكر فى خلق أى شىء مخلوق و ما فيه من متانه و لطف و دقه و إتقان، آنشد يعرف أن هذا النظام المتكامل يعتمد على هيمنه قوه أعلى منه،و أن هذا النظام يهدف أولاً-إمتحان البشر،و ثانياً:أن المدبر له لو شاء ترك النظام يتهاوى و هذه اللحظه محتمله فى أى وقت.و إذا تفكر البشر فى الرساله،ثم تفكر فى الخليقه لآمن بها،و إذا تولى جحودا فلا شىء آخر يمكن أن يؤمن به بعقله،كيف و الهدى من الله

و قد تولى عنه؟ و من يضلله الله يمنع هداه عنه، فان طغيانه و استكباره سيجعله قابعا فى ضلالته الى الأبد.

و هم يسألون الرسول عن الساعه: متى ترسو عليها سفينه الكون؟ تلك الساعه الثقيل وقعها فى السماوات و الأرض، إنها لا تأتى إلا مفاجئه و علمها عند الله، و أكثر الناس لا يعلمون.

بينات من الآيات:

لا للتبرير:

[١٨٤] سبق الحديث فى آيه (١٧٣) على ان على البشر مسئوليه المعرفه و التصميم، و انه لا يمكنه تبرير فساده بالغفله و التقليد، و ها هو القرآن يذكرنا مره اخرى بمسئوليه التفكير الوسيله الوحيد لمقاومه الغفله:

أَو لَمْ يَتَفَكَّرُوا و لأهميه التفكير و ضرورته الفطريه يتساءل الله: لماذا لم يتفكروا؟ ما بصاحبهم من جنه إن هو إلا نذيرٌ مُبينٌ إن الرسول يخبرهم عن أشياء جديده غير مألوفه و لذلك فيمكن أن يكون هذا فى نظرهم جنونا عارضا أو إنذارا مبينا، و بالتفكير نعرف المتانه فى الكلام، و القوه فى الدليل، و السلامه فى النيه، و شواهد الوجدان و العقل مما يدل جميعا على ان كلام الرسول ليس جنونا بل هو إنذار حق و واضح.

[١٨٥] ذلك الإنذار الذى يحذر من المصير الذى ينتهى اليه المجرمون، يمكن أن

نسمعه من الرسول و من لسان الكون أيضا،الذى ينطق بالنظام الدقيق و العظمه المتناهيه.

أَوْ لَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِمَا مِنْ عِظَمِهِ تَدَلُّ عَلَى قَدَرِهِ الْخَالِقِ وَ هِيَمَتِهِ..

وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَ مَا فِي كُلِّ شَيْءٍ يَنْظُرُ إِلَيْهِ الْإِنْسَانُ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ دَلَالَهُ وَاضِحَهُ عَلَى دَقِّهِ النَّظْمِ، وَ إِتْقَانِ الْخَلْقِ، وَ حَسَنِ التَّدْبِيرِ.

إن النظر فى عظمه الكون، و فى أى شىء مخلوق، يهدينا الى الله الذى يهيمن على تدبير الكون، و الله فى أى لحظه يمكن أن يسحب تدبيره عن الكون فيتهاوى، و إنه لم يخلق الخلق عبثا و بلا هدف، بل بحكمه بالغه هى: ابتلاء الإنسان، و اختبار تحمله لمسؤوليه التفكير، و اراده التصميم..

وَ أَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدْ أَفْتَرَبَ أَجْلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ إِذَا تَرَكَوا هَذَا الْحَدِيثَ الَّذِي هُوَ إِذْئَارٌ مُبِينٌ، وَ يَشْهَدُ عَلَيْهِ النَّظَرُ فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ فِي أَيِّ مَخْلُوقٍ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا مِنْ خَلْقِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ، هَلْ هُنَاكَ حَدِيثٌ أَفْضَلُ مِنْهُ يُؤْمِنُونَ بِهِ؟ [١٨٦]الذى لا يهتدى بهدى الله فان الدليل الوحيد له هو الضلاله الدائمه.

لماذا؟ لان عدم ايمانه بهدى الله ناشئ من طغيانه على الله و الحق، و هذا الطغيان باق معه و يسبب له العمه و الضلال.

مَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ

متى تقوم الساعة؟

[١٨٧] إذا كانت شواهد الكون تدل على أن النظام الذى يمسك السماوات و الأرض سوف ينتهى فى يوم، و ان سفينه الكون سوف ترسو فى نهايه المطاف على شاطئ، فان هذا السؤال سوف يطرح أيا ن مرسى هذه الساعه؟ متى؟ و كيف؟:

يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا وَ متى تقف عند الشاطئ النهائى.

قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَبدو لى: أن ساعه كل طائفه تنتهى فى حين، فما ذا ينفعها حين ينتهون؟ إن الحياه تستمر فى غيرهم، إن ساعه قوم لوط رست عند ما نزل العذاب عليهم فى صوره زلزال عظيم، و ان ساعه فرعون و قومه قد حلت حينما أغرقوا فى اليم، و هذه الساعه تأتى مفاجئه و دون إنذار.

و ربما يشير الى ذلك ضمير (كم)، ذلك لان نهايه الكون لا تأتى الجميع، بل فقط أولئك الذين يتواجدون آنئذ.

و يبقى السؤال: لما ذا يطرح الناس هذا السؤال على الرسول؟ أو ليسوا هم المسؤولون أولا و أخيرا عن أنفسهم؟ أو لا يهتمهم أمر نهايتهم و بلوغ ساعتهم، أو ان الرسول حفى بها..مطلع عنها؟ يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا

يستقصى السؤال عنها، ويطلع بجوانبها، بينما هم المسؤولون و عليهم التقصى كما الرسول.

قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ فَهُوَ الَّذِي يَقَرَّرُ مَتَى يَنْتَهَى وَقْتُ الْإِمْتِحَانِ، وَيَبْلُو وَاقِعَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنَّا، فَيَقَرَّرُ بِمَشِيئَتِهِ الْمَطْلُوقَةَ مِيعَادَ الْجَزَاءِ..

وَ لَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ هَذِهِ الْحَقِيقَةُ الْوَاضِحَةُ وَ هِيَ: أَنَّ مَصِيرَ الْبَشَرِ بِيَدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ، لَا بِيَدِهِمْ أَوْ بِيَدِ الرَّسُولِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آله).

ص: ٥٠٩

إشاره

قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتَ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَاسْتَكْتَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَ
بَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (١٨٨) هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيًّا
فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتِنَا صَالِحًا لَنُكَونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ (١٨٩) فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا
آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (١٩٠) أَيْشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ (١٩١)

هدى من الآيات:

لو تدبر الإنسان فى كتاب الحياه لعرف الحقيقه، كذلك لو تدبر فى نفسه و ما فيها من علائم النقص و آيات الخلقه.

من أنا؟ و كيف خلقت؟ و ما أملك؟ و من يملك أمرى؟ إننى موجود لا- أملك لنفسى نفعاً و لا ضراً إلا فى حدود الحريه و الامكانيات التى وفرها الله لى، و لا أعلم الغيب بدليل انى أخسر كثيراً بسبب جهلى بالمستقبل و بالغائب عن نظرى، و كثيراً ما تحمل الحوادث السوء لى و انا استقبلها جهلاً، و الإنسان بحاجة الى الرسول الذى ينذره بالمستقبل و يجعله يتحذره، و يعرّفه كيف ينتفع بالمستقبل.

كيف خلقتنى الله؟ لقد غرز الله شهوه الجنس فى والدى، حيث خلقهما من نفس واحده و جعل

أحدهما يسكن الى الآخر، ويتكامل وجوده النفسى و الجسدى و المعيشى بالثانى، و حين أتى الرجل زوجته حملت منه حملا سهلا لم تشعر بثقله حتى انها كانت تقوم بأعمالها العاديه، حتى أثقلت بالحمل بعد فتره، و هناك شعرا-هى و زوجها- بمسؤوليه الطفل و دعوا الله أن يرزقهما صالحا غير فاسد، و تعهدا بشكر الله، و لكن حين رزقهما الله ولدا صالحا نسيا الله و نسا ولاده الطفل الى بعض الشركاء، دون أن يفكرا فى أن الشركاء لا يملكون لهما نصرا و لا يمكن الانتصار لهما، كما أنهم عباد مخلوقون و لا يقدرون على خلق شىء، كما انهما نسيا تلك الحاله السابقه حيث توسلا عندئذ فقط بالله دون الشركاء!! لأنه فى حاله الشعور بالخطر ينسى المرء الشركاء.

بينات من الآيات:

من هو الرسول؟

[١٨٨] من الرسول؟ هل هو شخصيه متميزه جسديا؟ كلا... إنه فقط يتميز بالرساله الموحى بها اليه، و بالاتصال بينه و بين ربه، فما لديه إنما هو من الله سبحانه و به.

قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَ لَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَاسْتَكْتَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ فحِينَ أُصَابُ بِالسُّوءِ كَأَيِّ بَشَرٍ آخَرَ، و حين لا استكثر الخير لعدم معرفتى بالمستقبل، فانى بشر مثلهم. نعم أعلم الغيب فى حدود تعليم الله لى و وحيه على، كما أنى أملك النفع و ادفع الضر فى تلك الحدود أيضا.

إِن أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَ بَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ

ص: ٥١٢

أما الذين لا يؤمنون فإن الوحي لا ينفعهم إذ الوحي إنما ينفع من يريد و يصمم على تطبيقه و تنفيذ مناهجه،و إذا كان الرسول لا يملك نفعا و لا ضرا،فكيف بسائر الناس؟و معرفه الإنسان بنقاط ضعفه تجعله يعود الى واقعه و يعرف انه مربوب مخلوق.

قصه الخلق:

[١٨٩]الآن لا- أملك شيئا إلا- بقدر ما ملكنى الله،أما فى الماضى فقد كنت نتيجة غريزه جنسيه خلقها الله فى والدى،و ربما الوالدين لم يستهدفا من وراء الزواج ولادتى،بل ربما أرادا قضاء شهوه جامحه! هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَلذلك يحن الواحد منا الى الآخر،و يعطف عليه و يأنس اليه،و لذلك أيضا لا فوارق بين البشر و نظيره البشر،و خصوصا لا فرق بين الذكر و الأنثى فرقا حقيقيا..

وَ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَالرجل خلق متكامل مع الأنثى لذلك لا يسكن إلا إليها،و من مظاهر السكن، إن كل شخص يشعر بنقص حتى يكتمل،بالزواج،و آئذ يكون بإمكان الطرفين تكميل حياتهما معا،فاذا وفر الذكر للحياه المتكامله:القوه،و العزيمه،و خشونه التحدى،فان الأنثى توفر لها الرحمه،و العاطفه،و نومه الرقيق،و كلما هو ضرورى للتعاون..

فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ أَى مارست أعمالها العاديه بسهولة و يسر،دون ثقل عليها من قبل الجنين، الذى يتكامل فى رحمها بسرعه،أو ليس ذلك يدل على إتقان الصنعه،و لطف

التدبير، من قبل الرب الحكيم العليم..

فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَنُكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ إِنَّ الشُّعُورَ بِالثَّقَلِ لَا يَلَازِمُ أَبَدًا الشُّعُورَ بِالصُّعُوبَةِ، إِذِ الْمَرَأَةُ السَّلِيمَةُ لَا تَشْعُرُ بِصُعُوبَةِ بَالِغِهِ بِسَبَبِ الْحَمْلِ إِلَّا قَبِيلَ الْوِلَادَةِ، وَ لَكِنْ هَذَا الشُّعُورُ إِنَّمَا هُوَ بِمَهْدَفِ إِشْعَارِهَا بِالمَسْئُولِيَةِ القَادِمَةِ، وَ ذَلِكَ لِلِاسْتِعْدَادِ لَهَا وَ تَوْفِيرِ وَسَائِلِ الرَّاحَةِ وَ الْأَمَانِ لِلضَّعِيفِ الجَدِيدِ، وَ هَكَذَا نَرَى كَيْفَ يَتَغَيَّرُ الوَالِدَانِ وَ يَشْعُرَانِ بِمَسْئُولِيَةِ بَالِغِهِ تَجَاهِ الوَلِيدِ، وَ أَوَّلَ طَلِبِهِمْ هُوَ: أَنْ يَكُونَ خِلَاصَهُ حَيَاتِهِمَا وَ فَلِذِهِ كَبِدِيهِمَا سَالِمًا وَ صَالِحًا، جَسَدِيًّا وَ رُوحِيًّا، وَ لِفِرْطِ الْإِحْسَاسِ بِالمَسْئُولِيَةِ يَنْسِيَانِ الشُّرَكَاءَ المَزِيْفِينَ وَ يَتَوَجَّهَانِ إِلَى اللَّهِ رَبَّهُمَا، مِثْلَمَا يَنْسَى الْبَشَرَ كُلَّ الشُّرَكَاءِ فِي أَوْقَاتِ العَسْرِ الشَّدِيدِ، بَلْ وَ يَتَعَهَّدَانِ بِالشُّكْرِ لِلَّهِ، وَ الْقِيَامِ بِوَأَجَابَاتِ الوَلِيدِ الجَدِيدِ مِثْلَ: التَّرْبِيَةِ السَّلِيمَةِ، وَ الِارْتِفَاعِ إِلَى مَسْتَوَى الْأَبِ وَ الْأُمِّ إِذَا آتَاهُمَا صَالِحًا..

الإنسان و النسيان:

[١٩٠] وَ لَكِنْ سَرَعَانَ مَا يَنْسِيَا هَذِهِ التَّعْهَدَاتِ حَيْثُ يَعُودَانِ إِلَى الشُّرَكَاءِ، وَ هِيَ كَلُّ القُوَى المَادِيَةِ الَّتِي تَضْغُطُ عَلَى الْبَشَرَ بِاتِّجَاهَاتٍ مَنَحْرَفَةٍ، مِثْلَ المَجْتَمَعِ الفَاسِدِ وَ رَمِزِهِ السُّلْطَةُ، وَ مِثْلَ الثَّقَافَةِ الفَاسِدَةِ وَ رَمِزِهَا الْأَحْبَارُ، وَ الرَّهْبَانُ، وَ الشُّعْرَاءُ، وَ مِثْلَ الاِقْتِصَادِ الفَاسِدِ وَ رَمِزِهِ أَصْحَابُ المَالِ، وَ الرَأْسَمَالِيَةِ.

فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ وَ لِذَلِكَ لَمْ يَطْبُقْ نَاهِجُ اللَّهِ فِي تَرْبِيَةِ الْأَوْلَادِ، بَلْ اتَّبَعَا الشُّرَكَاءَ، فَافْسَدَاهُ اجْتِمَاعِيًّا حِينَما اخْضَعَا، لِلطَّاغُوتِ، وَ أَفْسَدَاهُ ثَقَافِيًّا حَيْثُ سَلِمَاهُ بِيَدِ ادَّعِيَاءِ العِلْمِ وَ الدِّينِ وَ هُمَا يَعْرِفَانِ فِسادَهُمْ، وَ أَفْسَدَاهُ اِقْتِصَادِيًّا حَيْثُ رِبَطَاهُ بِعَجَلِهِ الرَأْسَمَالِيَةِ.

ص: ٥١٤

بينما كان الواجب عليهما تربيته على أساس سليم، وفصله عن سلبيات الشركاء أنى كانوا، و تحريره لله و جعله مرتبطا به و برسالاته، ذلك الرب الذى أعطاهما إياه و جعله صالحا غير فاسد، و لكنهما هما اللذان أفسداه، و كما

قال الرسول (صلى الله عليه و آله):

كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون أبواه يهودانه أو ينصرانه (١) و الله أعلى من الشركاء، و الحق الموصى من عنده سوف يجرف غثاء الشركاء و زبدتهم، و يحرر الناس من يد الفاسدين.

قابليه الانهزام و الاستعمار:

[١٩١] و الناس لا يفكرون ما هى قوه الطاغوت، أو قوه الرأسماليه، أو علماء السوء؟ إنهم ضعفاء لولا تسليم الناس لهم، و خضوعهم لسيطرتهم الظالمه، إن هؤلاء الشركاء لا- يخلقون شيئا بل هم الذين يخلقون، يخلقهم الله، فيسرقون إمكانات الناس، و يفرزهم الوضع الفاسد.

أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئاً وَ هُمْ يُخْلَقُونَ إِنَّ الطَّاغُوتَ مَخْلُوقَ اللَّهِ، و لكنه فى الوقت ذاته يستغل جهل الناس و غفلتهم، و اطماع طائفه منهم و صغر نفوسهم، يستغلها فى خلق قوه ضاربه له يتسلط بها على المستضعفين، فكيف يخضع البشر لبشر مثله مخلوق غير خالق؟ خلقه الله و صنعه الوضع الفاسد؟ [١٩٢] أ نهذف من وراء اتباع السلطان، أو التسليم للوضع الفاسد، الركون الى

ص: ٥١٥

قوته و نصرته فى الوقت الذى لا يملك الشركاء قوه و نصرا، بل إذا تدبرنا جيدا عرفنا:

أنا نحن الذين نصر الطاغوت و نعطيه السيطرة علينا، بسبب سكوتنا عليه و خضوعنا له..

□
وَ لَا يَشِيطُوعُونَ لَهُمْ نَصِيرًا إِنْ الطغاه و الفاسدين المفسدين من جلاوزتهم يزعمون أبدا: أن وجودهم و استمرار سيطرتهم يضمن للمجتمع الأمن و الازدهار، بينما لا- يضمن الطغيان إلا- الخراب و الدمار، لأنه يكبت طاقات الناس، و يضعف إرادتهم، فلا هم قادرون على عماره بلدهم لأن طاقاتهم مكبوتة، و لا هم قادرون على المحافظه على بلدهم لأنهم ضعفاء الاراده.

لقد ثبت عليما: أن أبرز الأسباب المباشرة للتخلف هو: الديكتاتوريه كما ان جيوش البلاد التى يسودها الطاغوت لم تقدر على الدفاع بمثل الجيوش الحره، و ربما كان من أبرز أسباب هزيمه النازيه ديكتاتوريتها، بل أن الطاغوت أضعف من الناس العاديين لأنه يعتمد على قوه الناس فى الدفاع عن شخصه، بحيث لو تركه الناس تهاوى و سقط، لذلك قال ربنا سبحانه:

□
وَ لَا أَنْفُسُهُمْ يَنْصُرُونَ فحتى أنفسهم لا يستطيعون الدفاع عنها، فكيف نعتد عليها؟

وَلَا يَسْتَبِيْعُونَ لَهُمْ نَصِيْرًا وَلَا أَنْفُسُهُمْ يَنْصُرُونَ (١٩٢) وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ (١٩٣) إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَلُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (١٩٤) أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُوا فَلَا تُنظِرُونَ (١٩٥) إِنَّ وِلِيَّ اللَّهِ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ (١٩٦) وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَبِيْعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنْفُسُهُمْ يَنْصُرُونَ (١٩٧) وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ (١٩٨)

هدى من الآيات:

إن الشركاء الذين يدعون من دون الله لا يرجى هدايتهم، لأنهم فاسدو الضمير، و لذلك يجب أن يتركوا، ثم لا بد أن يتحرر الناس من عقده الذل تجاه الشركاء (الطاغوت و أعوانه من علماء السوء و الأغنياء و الجنود) لا بد أن يعرفوا أنهم عباد كما هم، لا فرق، و أنهم لا يستجيبون للناس، و أن أعضاءهم مشلوله، و انهم ضعفاء، دعهم يجتمعون فإنهم لا يفعلون شيئا.

بينما الله ولى الصالحين من عباده، قد نزل الكتاب يهدى الناس، فكم هو الفرق بين من لا يهتدى و بين من يهدى الجميع؟! أما الذين يدعوهم الناس لا يقدرين على الانتصار لأنفسهم، فكيف ينصرونهم، و إن قلوبهم قد اسودت حتى انهم لا يسمعون دعوه الإصلاح و لا يبصرون، بالرغم من استخدامهم لعيونهم ظاهرا.

آخر الدواء الكى:

[١٩٣] إن أئمة الضلال الذين ينازعون الله سبحانه رداء الحاكميه إنهم قد هبطوا الى الفساد الى الحضيض، و لذلك فان علينا قتلهم و هذا هو العلاج الوحيد لهم، و حين يزعم بعض من البسطاء ان الطغاه يمكن ان يهتدوا، فان هذا الزعم تبرير لتكاسلهم و تقاعسهم عن التمرد عليهم، و لذلك فان القرآن الحكيم قد قضى على هذا التبرير السخيف بقوله سبحانه:

وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُواكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ فَلَا يَجِبُ أَنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ، فإذا لم يستجيبوا ثورون ضدّهم كما فعل موسى (عليه السلام)، بل يمكن ان يسبب ذلك فى فشل خطط الرساليين.

[١٩٤] إن أئمة الضلال هم فى واقع أمرهم بشر مثل الآخرين بل هم أقل، لان الناس العاديين يتقبلون الهدى، بينما الطغاه لا يستجيبون للهدى.

إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَلُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ أَيْ ان كنتم صادقين فى نسبة العقل و القدره الى هؤلاء الشركاء، و يحتمل أن يكون المراد من الآيه الأصنام الحجرية التى لا تعقل و كذلك الآيه التاليه.

[١٩٥] إن هؤلاء أضعف من الناس العاديين لأنهم لا يقدرّون على الاستفادة من أعضائهم بسبب تعودهم على استثمار الآخرين..

أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ

أَذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قَلِيلٌ اذْعُوا شُرَكَاءَكُمْ مِنَ الْأَصْنَامِ الْبَشْرِيَّةِ كَالطَّغَاهِ، أَوِ الْأَصْنَامِ الْحَجْرِيَّةِ..

ثُمَّ كِيدُونَ فَلَا- تُنظَرُونَ أَىْ ثُمَّ اَعْمَلُوا جَمِيعًا ضِدَى وَ ضِدَّ خَطَطَى وَ لَا- تَمَهَلُونَى، وَ هَذَا تَحَدُّ صَارِخٍ لَهَا، لِيَعْرِفَ الْجَمِيعُ أَنَّهَا أَضْعَفُ مِنَ الْمَقَاوِمِ فَيَتْرَكُونَهَا، إِنْ النَّاسُ يَغْتَرُونَ بِقُوَّةِ الْأَصْنَامِ وَ بِقُدْرَتِهَا عَلَى حِمَايَتِهِمْ مِنْ مَكَارِهِ الطَّبِيعَةِ، وَ مِنْ مَشْكَالَاتِ الْحَيَاةِ، فَيَلْتَجِئُونَ إِلَى الطَّغَاهِ أَوِ الْأَصْنَامِ، وَ لَا يَعْرِفُونَ أَنَّهُمْ أَضْعَفُ مِنْهُمْ فِى الْمَقَاوِمِ لَوْلَا الْاِعْلَامُ الْمَزِيْفُ وَ الْإِرْهَابُ.

من هو ولى الصالحين؟

[١٩٦] أما ولى الصالحين، و معبودهم، و ناصرهم، و من هو أولى بهم، فهو الله الذى ينزل الكتاب و ضمّنه رساله مفصله تبلور عقولهم، و تربى أنفسهم، و توضح مناهج الحياه، و تندرهم و تبشرهم رهبه و رغبه..

إِنَّ وَلىَّ اللَّهِ الَّذِى نَزَلَ الْكِتَابَ وَ هُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ وَ لَأَنَّهُ نَزَلَ الْكِتَابَ فَمَنْ عَمِلَ بِهِ وَ كَانَ صَالِحًا فَقَدْ فَازَ بِوَلَايَةِ اللَّهِ، بِهَدَايَتِهِ وَ قِيَادَتِهِ وَ نَصْرَتِهِ.

[١٩٧] و أما غير الله من سائر الأولياء لا ينصرون أحدا و لا حتى أنفسهم ينصرونها، بل هم بدورهم يحتاجون الى النصرة.

وَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ وَ مِنْ دُونِ أذْنِهِ..

ص: ٥٢٠

لَا يَسْتَبِيحُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ أما من أمر الله باتباعه كالرسل والأئمة (عليهم السلام) فإن المناهج التي يأخذون الناس عليها تنصر التابعين لها وهم الصالحون، ذلك أن ما ينصر البشر ضد شرور نفسه و مكاره الطبعه ليس قوه غيبه يعيده عن إرادته، بل هو عمله الصالح الذى يباركه الرب العزيز الحكيم.

[١٩٨] و هؤلاء ليسوا فقط لا يهدون أحدا بل لا يهتدون أيضا لان قلوبهم مغلقة و نفوسهم فاسده.

وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ فأدوات الإدراك عندهم مشلوله، فحتى نظرهم ليست بقصد الاهتداء و التبصر و الفهم بل بقصد النظر ذاته، ذلك لان الطغاه و المستكبرين لا يهدفون من وراء الحياه شيئا، بل اتخذوها ذاتها هدفا مقدسا، و نهايه لرغباتهم و تطلعاتهم، و لذلك فليست نظرهم للبصيره و لا آذانهم للسمع.

و قد سبق ان الطغيان سبب مباشر للكفر، و هؤلاء قد بلغوا حضيض الطغيان فكيف يهتدون؟!!!

اشاره

خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ (١٩٩) وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٠٠) إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْتَلُونَ (٢٠١) وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَىِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ (٢٠٢) وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بَأْيُهُ قَالُوا لَوْ لَا اجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي هَذَا بَصَائِرٌ مِنْ رَبِّكَمْ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٢٠٣) وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (٢٠٤) وَأُذَكِّرْ رَبِّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ (٢٠٥) إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ (٢٠٦)

اللغة

١٩٩[بالعرف]:العرف ضد النكر، ومثله المعروف و العارفة و هو كل خصله حميده يعرف صوابها العقول، و تطمئن إليها النفوس.

٢٠٠[نزغ]:النزع الإزعاج بالإغراء و أكثر ما يكون ذلك عند الغضب، و أصله الإزعاج بالحركة، و النزغ أدنى حركة تكون، و من الشيطان أدنى وسوسه.

٢٠١[طائف]:وسوسه ما.

٢٠٢:[لا يقصرون]:لا يكفون عن إغوائهم.

٢٠٣[اجتبيتها]:الاجتباء افتعال من الجبايه، و نظيرها الاصطفاء و هو استخلاص الشيء للنفس، و أصله الاستخراج.

هدى من الآيات:

لكى تتكامل شخصيه الإنسان عليه أن يأخذ العفو، و يأمر بالمعروف، و ان يعرف عن الجاهلين، و لكن السؤال: كيف يمكن للإنسان أن يفعل ذلك و الشيطان يفسد قلبه؟ الجواب: عليه أن يستعيد بالله و يتوكل عليه فى مقاومه نزعات الشيطان، ان الله سميع عليم.

ذلك أن المتقين الذين ترسخ الايمان فى أنفسهم، إذا مسهم من الشيطان شىء طائف، و خاطره خاطفه فإنهم يتذكرون ربهم، و بعد التذكر يبصرون و يميزون خواطر الشيطان عن حقائق الايمان.

بينما اخوان الشياطين يمدون أصحابهم ليستمروا فى الغى، و هم لا يقصرون و لا يبخلون فى دعم أصحابهم بالضلاله.

بينات من الآيات:

فمثلا: كل الآيات لا يقبلونها، و انما يطالبون الرساله بآيه معينه، و يتساءلون لماذا لم يصطف الرسول هذه الآيه، بينما الرسول ليس هو الذى يختار الآيات، و انما الله الذى أوحى بالكتاب: بصائر و رؤى و هدى، و رحمه للمؤمنين.

و لذلك على البشر أن يستمع الى القرآن، و ينصت إجلالا له إذا تليت آياته، و أن يذكر الله تضرعا و خيفه، حتى يتأصل الايمان فى أنفسهم، و ألا يكون غافلا و لا مستكبرا عن عباده الله، بل يسبح له و يسجد له..

أبعاد الحياه الاجتماعيه:

[١٩٩] ما هى رساله الإسلام، التى لو اتبعها المجتمع حقق أهدافه، و أحرز المنعه التى يريد؟ تلخص الآيه الكريمه هذه الرساله:

فأولا: أخذ العفو.

ثانيا: الأمر بالمعروف، الذى تتقبله فطره الإنسان و تستسيغه، لان الإسلام دين الوجدان النقى، و العقل النير البعيد عن مؤثرات الهوى.

ثالثا: الاعراض عن الجاهلين، و عدم اتباع بعضهم الفاسد، و عدم الخوض معهم فيما يخوضون.

خُذِ الْعَفْوَ وَ أْمُرْ بِالْعُرْفِ وَ أَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ إن الأدوار الثلاث تلخص الحياه الاجتماعيه فى ثلاث أبعاد: البعد الاقتصادى -

ص: ٥٢٥

و البعد القانونى -و البعد الأخلاقى.

ففى البعد الاقتصادى يجب أخذ الأنفال الاضافيه التى لا يحتاج إليها الفرد، لتجعل للخدمه الاجتماعيه.

و فى البعد القانونى يجب تنظيم الحياه الاجتماعيه وفقا لأفضل ما يراه العقل السليم، فى الظرف الخاص، مما يعطى التشريع مرونة كافيه لاحتواء تطورات الحياه.

أما فى البعد الاخلاقى فيجب رفع الجهل و الجهاله، و تكتل المؤمنين الصالحين لقياده الحياه.

ماذا نحتاج للتطبيق؟

[٢٠٠] و لكن هذه التعاليم بحاجه الى قلب سليم، و عقل نير، و شخصيه متكامله، و ذلك كله لا يمكن توفيره إلا بتخلص البشر من نزع الشيطان و فساده و بعلو البله، و علاج ذلك يكون بالتوكل على الله، و الاستعاذه به من الشيطان الرجيم.

وَ إِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ يَسْمَعُ نَجْوَاكَ، و يعلم ما فى ضميرك، فاذا قلت ظاهرا و أضمرت واقعا فانه سوف ينصرك على الشيطان.

[٢٠١] الذين تكرست فى أنفسهم ملكه الالتزام بالتعاليم الالهيه، و أصبح الدين بالنسبه إليهم عاده بسبب المزيد من العمل فإنهم إذا انزلقوا بسبب ضغط الشهوات فإنهم سرعان ما يتذكرون و يلتزمون بالواجبات مره ثانيه..

إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ

ص: ٥٢٤

حين يعودون الى الله ترتفع عن أنفسهم غشاوه الشهوات، فيصرون حقيقه الذنب فيجتنبونه.

[٢٠٢] بينما الكفار و اخوان الشياطين الذين لا يملكون حصانه التقوى فإنهم، ليس فقط لا يعطيهم الشيطان حصانه، بل يمدّهم الشيطان في غيهم، و يبرر لهم سيئاتهم غرورا..

من الفكر التبريري:

وَ إِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ [٢٠٣] من تلك الأفكار التبريرية التي يمد بها الشيطان إخوانه، و يكرس بها سلبياتهم هي: أن كل آيه كانت تنزل عليهم كانوا يكفرون بها، و يطالبون بآيه أخرى، و يزعمون أن الآيات تنزل عليهم بطلب الرسول.

وَ إِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي وَالْقُرْآنَ بَصَائِرٍ يَرَى الْمَرْءُ بِسَبَبِهَا وَ مِنْ خِلَالِهَا الْحَيَاةَ فَمَثَلًا: القرآن يميز للبشر بين العقل و الجهل، الشهوات و الغضب، حتى يلامس وجدان كل واحد حقيقه نفسه و ما بها من عقل و شهوه، أو عقل و غضب، و القرآن يذكر البشر بربه عن طريق إثارة الوجدان، و بلوره عقه، ثم يربط بين الايمان بالله و بين ما يرى في الكون من آثار عظمه و جمال، و من نقاط ضعف و عجز، و يربط بعدئذ بين كل ذلك و بين ضروره التسليم لله و لرسالاته، كل تلك بصيره يرى المرء من خلالها الحياه رؤيه واضحه.

و إذا تعذر على المرء رؤيه الحياه بسبب أو بآخر، فإن الله هو الذي يعطيه الهدى بصوره مجمله أو مفصله، فيكشف له طبيعه الدنيا و الآخره و ما فيهما من عوامل تقدم أو تخلف، حضاره أو دمار.

و البصائر و الهدى تعطى البشر رفاها و سعادته هي:الرحمة التي ينزلها الله للمؤمنين باتباع البصائر و الهدى.

تعظيم القرآن:

هَذَا بَصَائِرٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَ هُدًى وَ رَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ [٢٠٤] لان القرآن بصائر و هدى فعلى البشر ان يكبره و يعظمه،فاذا قرىء القرآن فعلى الجميع أن يتركوا كلامهم و يستمعوا الى آيات الذكر.

وَ إِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَ أَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ أئى تنالون السعادة و الرفاه بالاستماع الى آيات الذكر الحكيم.

كيف تقاوم الانسلاخ عن القرآن:

[٢٠٥] و لكى يقاوم البشر عوامل الانسلاخ من آيات الله،و لكى لا يصبح مثل الذين لهم قلوب لا يفقهون بها،و لهم آذان لا يسمعون بها،و لهم أعين لا يبصرون بها،و بالتالى لكى لا ينسلخ البشر من إنسانيته،فان عليه أن يداوم قراءة القرآن، و أن يتذكر آيات الله و أسمائه،و لكن ذكر الله له شروط معينه هي:

أولاً: أن يكون التذكر فى نفس البشر،لكى لا يكون الذكر رياء أو نفاقاً أو قشريا لا يغور فى العمق.

ثانياً: أن يكون الذكر تضرعا و تدللا،و معرفه من الفرد بأنه عبد ذليل لله،لا يملك لنفسه نفعاً و لا ضراً.

ثالثاً: أن يخاف الفرد ربه و ما يترتب على معصيته له من عذاب شديد.

رابعاً: ألا يكون ذكر الله جهراً بما يزيد احتمالات الرياء،و لا يجعل الفرد

يتعمق فيما يقول.

خامسا: أن يكون الذكر بالغدو و الأصال، صباحا و مساء، كل ذلك يرفع الغفلة عن الإنسان.

وَ اذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَ خِيفَةً وَ دُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَ الْأَصَالِ وَ لَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ

قاوم التكبر فى نفسك:

[٢٠٦] و على الإنسان أن يقاوم روح الاستكبار فى ذاته، و يطيع الله إطاعه كامله، و أن يسبح الله و ينزهه من آثار النقص و العجز الموجود فى خلقه، و أن يسجد لله رمزا لتلك الطاعه و العباده.

إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ الْقَرِيبِينَ، و الأنبياء، و الشهداء، و الصالحين الذين يتحسسون حضورهم أمام الله و هيمنه الله عليهم، و أنه سميع بصير، و أنه أقرب إليهم من جبل الوريد، إن هؤلاء الذين يعتبرون قدوه صالحه لكل واحد منا..إنهم..

لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَ يُسَبِّحُونَهُ وَ لَهُ يَسْجُدُونَ و عند ما يشعر الفرد أنه عند الله، و ان ربه حاضر عنده، آتئذ يشعر بجلاله الله و مدى عظمته، فيخضع لله و ينزع عن نفسه الاستكبار الزائف، و عندئذ يعرف الله و يزداد إيمانا بعظمته، فيسبحه و ينزهه عن النقص، و عندئذ تظهر علامات الخشوع عليه فيسجد لله، و هذه القمه الانسانيه التى كانت سوره الأعراف تهدف إيصال البشر إليها..جعلنا الله سبحانه ممن يتطلع للوصول إليها بالتوكل عليه.

ص: ٥٢٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

الزمر: ٩

المقدمة:

تأسس مركز القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان بإشراف آية الله الحاج السيد حسن فقيه الإمامي عام ١٤٢٦ الهجرى في المجالات الدينية والثقافية والعلمية معتمداً على النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائيين والمثقفين في الجامعات والحوزات العلمية.

إجراءات المؤسسة:

نظراً لقلّة المراكز القائمية بتوفير المصادر في العلوم الإسلامية وتبعثها في أنحاء البلاد وصعوبة الحصول على مصادرها أحياناً، تهدف مؤسسة القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان إلى التوفير الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلى الباحثين في العلوم الإسلامية وتقديم المؤسسة مجاناً مجموعةً إلكترونيةً من الكتب والمقالات العلمية والدراسات المفيدة وهي منظمة في برامج إلكترونية وجاهزة في مختلف اللغات عرضاً للباحثين والمثقفين والراغبين فيها. وتحاول المؤسسة تقديم الخدمة معتمدةً على النظرة العلمية البحتة البعيدة من التعصبات الشخصية والاجتماعية والسياسية والقومية وعلى أساس خطة تنوى تنظيم الأعمال والمنشورات الصادرة من جميع مراكز الشيعة.

الأهداف:

نشر الثقافة الإسلامية وتعاليم القرآن وآل بيت النبي عليهم السلام
تحفيز الناس خصوصاً الشباب على دراسة أدق في المسائل الدينية
تنزيل البرامج المفيدة في الهواتف والحاسوبات واللابتوب
الخدمة للباحثين والمحققين في الحوزات العلمية والجامعات
توسيع عام لفكرة المطالعة
تهميد الأرضية لتحريض المنشورات والكتّاب على تقديم آثارهم لتنظيمها في ملفات إلكترونية

السياسات:

مراعاة القوانين والعمل حسب المعايير القانونية
إنشاء العلاقات المترابطة مع المراكز المرتبطة
الاجتناب عن الروتين وتكرار المحاولات السابقة
العرض العلمي البحت للمصادر والمعلومات

الالتزام بذكر المصادر والمآخذ في نشر المعلومات
من الواضح أن يتحمل المؤلف مسؤولية العمل.

نشاطات المؤسسة:

طبع الكتب والملزمات والدوريات

إقامة المسابقات في مطالعة الكتب

إقامة المعارض الالكترونية: المعارض الثلاثية الأبعاد، أفلام بانوراما في الأمكنة الدينية والسياحية

إنتاج الأفلام الكرتونية والألعاب الكمبيوترية

افتتاح موقع القائمة الانترنتى بعنوان : www.ghaemiyeh.com

إنتاج الأفلام الثقافية وأقراص المحاضرات و...

الإطلاق والدعم العلمى لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدينية والأخلاقية والاعتقادية والردّ عليها

تصميم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ويب كيوسك kiosk، الرسالة القصيرة (sms)

إقامة الدورات التعليمية الالكترونية لعموم الناس

إقامة الدورات الالكترونية لتدريب المعلمين

إنتاج آلاف برامج فى البحث والدراسة وتطبيقها فى أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ويمكن تحميلها على ٨ أنظمة؛

JAVA.١

ANDROID.٢

EPUB.٣

CHM.٤

PDF.٥

HTML.٦

CHM.٧

GHB.٨

إعداد ٤ الأسواق الإلكترونية للكتاب على موقع القائمة ويمكن تحميلها على الأنظمة التالية

ANDROID.١

IOS.٢

WINDOWS PHONE.٣

WINDOWS.٤

وتقدّم مجاناً فى الموقع بثلاث اللغات منها العربية والانجليزية والفارسية

الكلمة الأخيرة

نتقدم بكلمة الشكر والتقدير إلى مكاتب مراجع التقليد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسسات، الكتاب وكل من قدم لنا المساعدة في تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.

عنوان المكتب المركزي

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آواده اي، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلي، الرقم ١٢٩، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الإلكتروني : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزي ٠٣١٣٤٤٩٠١٢٥

هاتف المكتب في طهران ٠٢١ - ٨٨٣١٨٧٢٢

قسم البيع ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩ شؤون المستخدمين ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩.

مركز
للبحوث والتحريرات الكمبيوترية
اصبهان
الغمامية

WWW

للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم
www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩